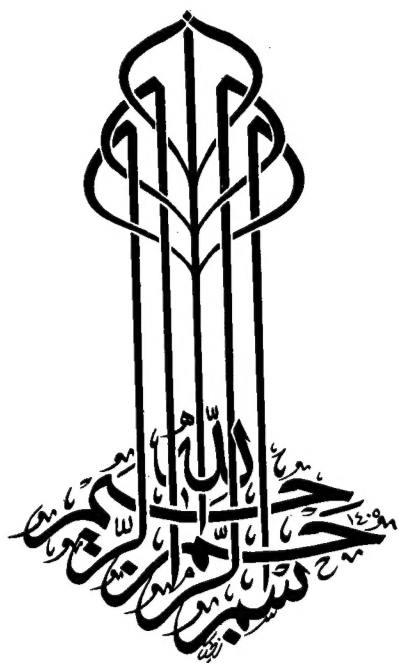


ديوان حمزة شحانة

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م



هَذَا الدِّيَّوَانُ

بقلم الأستاذين
محمد علي المغربي وعبد المجيد شبكشي

هذا الديوان ، أو هذه المجموعة الكاملة من شعر الشاعر الكبير الأستاذ حمزة شحاته ؛ يرحمه الله ، مدينة بظهورها إلى النور لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ، فهو الذي سعى إلى جمع ما تفرّق منها ، ونظم ما تناثر من أوراقها ، لتخرج إلى الناس مجموعة بين دفتي كتاب ؛ وليس هذا بالغريب على كرم سموه ، فاهتمامه بالشعر والأدب ، لا يأتي من فراغ ، وهو الشاعر الرقيق المبدع الذي حاز على جوائز الشعر والأدب ، من داخل المملكة وخارجها .

ونرى لزماً علينا ، وقد عهد إلينا سموه بالإشراف على جمع هذه المجموعة ، وإعدادها للنشر ، أن نعرّف القارئ بالطريقة التي تمّ بها جمع الديوان ، وتبويبه ، وترتيبه .

كان أول ما اتجهنا إليه في جمعنا للديوان أن تقدمنا إلى سعادة الشيخ محمد نور صلاح جمجوم رجل الأعمال المعروف ، والذي تربطه بالشاعر الراحل صداقة حميمة طويلة ، والذي يحتفظ بمجموعة كبيرة من قصائد الشاعر ، تقدمنا إليه بطلب هذه المجموعة التي يحتفظ بها ، فقدمها لنا راضياً ، وكانت هذه المجموعة تمثل شعر الشاعر قبل هجرته إلى مصر ، وكثير منها كان قد نشر في الصحف المحلية في الحجاز ، ويمثّل بعضها الآخر ما نظمه الشاعر في مصر بعد هجرته إليها ، مما يمكن وصفه بالشعر التقليدي الذي يلتزم عمود الشعر العربي وزناً وقافية . ولا بدّ لنا أن نشير إلى أن الشاعر بعد أن طالّت إقامته في مهجره بمصر ، ظهرت له قصائد شعرية مما يطلق عليه وصف « الشعر الحديث » ، بعضها يلتزم التفعيلة ، وبعضها يشذّ عنها ، ولم يكن فيما

وجدناه في مجموعة سعادة الشيخ محمد نور هجوم شيء من هذا « الشعر الحديث » ، رغم أن صلته بالشاعر استمرت إلى حين وفاته .

وعلمنا أن سعادة الدكتور عبد اللطيف صلاح هجوم يحتفظ بمجموعة من شعر الشاعر ، وبعد اتصالنا به تبين أن ما لديه هو نسخ مكررة مما وجدناه لدى سعادة أخيه الشيخ محمد نور هجوم .

وأن من واجبنا أن نشكر للشيخ محمد نور هجوم احتفاظه بهذه المجموعة الشعرية السنين الطوال رغم ما يمتلئ به وقته من مشاغل أعماله ، فلقد أسدى للأدب والشعر في بلادنا يداً تذكّر له بالثناء والفضل .

وإلى جانب مجموعة الشيخ محمد نور هجوم ، قدمت السيدة شيرين شحاته ، ابنة الشاعر ، مجموعة أخرى من الشعر ، تضم قصائد قديمة ، كما تضم قصائد الشاعر الجديدة التي نظمها في مصر .

وكانت مهمتنا الأولى هي استعراض كل القصائد التي تجمعت لدينا ، واستثناء المكرر منها ، ثم تبويبها ، وترتيبها .

وقبل أن نتحدث عن التبويب والترتيب يجب أن نذكر أن مجموعة من قصائد الشاعر طبعت في مصر في نوفمبر ١٩٧٥ م بعنوان (شجون لا تنتهي) ، وهذه المجموعة هي عبارة عن أربع عشرة قصيدة ، لم نستطع إثباتها تحت هذا العنوان ، لأنها تختلف مع الترتيب الذي ارتأيناه للديوان ، وقد كنا وضعنا هذه القصائد في مواضعها التي اخترناها لها ، ولم يضاف ديوان (شجون لا تنتهي) إلى المجموعة أيّ جديد ، فالقصائد كلها كانت موجودة ضمن ما تجمع لدينا من قصائد الشاعر ، بل إن بعضها كان سبق أن نشر في الصحف بزمان طويل .

هناك مجموعة أخرى من قصائد الشاعر جمعها صديقه الأستاذ عبد الحميد مشخص ، وسماها الأستاذ مشخص (رجع الصدى) ، وقد راجعنا هذه القصائد ، فلم نجد فيها جديداً نضيفه إلى ما لدينا باستثناء قصيدتين : الأولى بعنوان (إلى ابنتي شيرين) ، وهي من الشعر الحديث ، ومطلعها : (يا بنتاه أديرى رأسك) ، والثانية بعنوان

(وداع) ، وهي كذلك من « الشعر الحديث » ، ومطلعها :
(يا سيدتي قد كان فضولا مني أن أحمل قلبي بين يدي) .

كما تفضل الأستاذ عبد الحميد مشخص فحصل من الأستاذ محمد سعيد بابصيل على المجموعة التي يحتفظ بها من شعر الأستاذ شحاته ، وكذلك الأستاذ محمد سعيد طيب فقد وافانا بمجموعة من شعر ونثر شاعرنا الراحل .

بعد أن تم استعراض كل هذه المجموعات ، رأينا تقسيم شعر الشاعر إلى أربعة أقسام : -

- ١ - الشعر الوجداني . ٣ - الملحمة الكبرى .
- ٢ - شعر الغزل . ٤ - شعر المتنوعات .

وقد أدرجنا في الشعر الوجداني كل ما نظمه الشاعر من شعر الوجدان ، وما تغلب عليه مسحة التأمل المشوب بأشجان الشاعر وأحلامه ، وأدرجنا في شعر الغزل كل قصائد الشاعر الغزلية ، وما يجري مجراها من فنون .

أما الملحمة الكبرى فقد أدرجنا فيها كل القصائد التي نظمها الشاعر في معركته الشعرية مع الشاعر الراحل الأستاذ محمد حسن عواد ، وأضفنا إليها بعض قصائد الهجاء التي دارت بين الشاعرين - يرحمهما الله - .

وأدرجنا في باب المتنوعات البقية الباقية من شعر الشاعر ، وبعضها يدخل في باب الإخوانيات ، وهي قصائد موجهة إلى أصدقاء الشاعر ، وهي مما نظم في الحجاز قبل هجرته إلى مصر .

وبعضها يمكن أن نطلق عليه عنوان (هموم البيت) ، وفيه يتحدث الشاعر عن أحوال بيته وأسرته ، والبعض الآخر يدخل في باب (الشعر الضاحك) ، وتنخلله بعض الكلمات العامية ، والبعض يدخل في باب (النقد والهجاء) ، ولأن هذه القصائد محدودة العدد فقد أدرجناها جميعاً تحت باب المتنوعات .

أما بالنسبة لترتيب القصائد فقد عمدنا إلى تقديم القديم من القصائد ، ليكون لدى القارئ فكرة عن التسلسل التاريخي لشعر الشاعر ، وقد وجدنا قصائد قليلة جداً سجل فيها الشاعر تاريخ النظم ، فأثبتنا ذلك كما سجله الشاعر ، واعتمدنا في الترتيب تقديم القصائد التي نظمها الشاعر في الحجاز قبل هجرته إلى مصر ، ثم ألحقنا بها القصائد الأخرى التي نظمها في مصر بعد هجرته إليها ، وقدمنا القصائد التي التزم فيها الشاعر بعمود الشعر قافية ووزناً . ثم أتبعنا ذلك بشعره الحديث ، وقدمنا ما التزم فيه الشاعر بالتفعيلة على ما لم يلتزم فيها بها ، واعتمدنا هذا الترتيب في جميع أقسام الديوان .

وأخيراً ، فإن الشاعر لم يكن يضع عناوين لشعره ، والقصائد التي وضعت لها عناوين قليلة جداً ، وقد أثبتناها كما وضعها ، وقد لاحظنا أن العناوين التي وضعها الشاعر لقصائده كانت موجزة أشد الإيجاز ، كان يكتفي بكلمة واحدة لعنوان القصيدة ، فوضعنا العناوين للقصائد الباقية بنفس الأسلوب ، وحرصنا أن يكون العنوان على إيجازه معبراً عن محتوى القصيدة .

وأخيراً ، فإن أغلب ما تجمع لدينا من قصائد الشاعر على اختلاف مصادره كان مكتوباً بخط اليد ، وبعض ذلك بخط الشاعر ، وهو السليم من الأخطاء ، والبعض الآخر قام بنسخه بعض أصدقاء الشاعر ، كما وجدنا بعض القصائد مطبوعة على الآلة الكاتبة ، وكانت الأخطاء في القسمين الأخيرين واضحة ، ونستطيع أن نقول : إن القسم الأكبر من المجموعة قد مضى على كتابته ونسخه السنون الطوال ، وتعرض بحكم التصوير والقدم إلى طمس بعض السطور أو الكلمات ، وقد بذلنا جهدنا في تصحيحه ما وسعنا ذلك .

وقبل أن نختم كلامنا هذا نود أن نشير إلى المعونة القيّمة التي قدمها لنا سعادة الشيخ سالم أسعد نعمان الذي أشرف على نسخ الديوان ، وشارك مشاركة فعالة في ترتيبه وتبويبه مما استحق التنويه بهذا الجهد والثناء عليه .. وبالله التوفيق.

عبد المجيد شبكشي محمد علي مغربي

هَذَا الشَّاعِرُ

بقلم الأستاذ
عزيز ضياء

في اللحظات التي أوشكت فيها أن أفرغ من قراءة مجموعة القصائد ، التي آن لها أخيراً ، أن تجتمع بين دفتي كتاب يمكن أن يطلق عليه : (ديوان حمزة شحاته) ، وأن تطبع فعلاً على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل آل سعود ، فتتواجد بين أيدي المثاق من القراء الذين لا أستكثر أن أقول إنهم فُتِنُوا ، أو أنهم مفتونون فعلاً ، ليس فقط بشعر الشاعر ، وإنما باسمه الذي قلَّ بين المثقفين من لم يسمع به ... في هذه اللحظات كان أغرب ما يتبلور في ذهني ، هو أن حمزة - رحمه الله - قد تمتع بشهرة واسعة مستفيضة ، ليس لأنه هذا الشاعر ، الذي يجد القراء اليوم شعره بين دفتي هذا الديوان ، وإنما لخصائص أخرى غير الشعر قطعاً ، أو لأسباب ، إن كانت لها علاقة بالشعر ، فلأن بعض هذا الشعر ، ومنه الهجاء ، بينه وبين الأستاذ محمد حسن عواد - رحمه الله - قد ظهر في فترة كان فيها حمزة ، الشاعر ، والصديق ، والعضو البارز وربما الأهم بين كوكبة من الشباب الذي كان يشق طريقه إلى تلك الآفاق المسحورة أو الساحرة التي كانت تتلحح في حياتنا ، أو هي تسطع كلما صدر في مصر أو في لبنان كتاب ، لتوفيق الحكيم ، أو الدكتور طه حسين ، أو شبلي شميل ، أو لطفي السيد ، إلى آخر تلك الأسماء التي توفّر لها من الإبهار في حياة أمثالنا ، ما كان له الفضل في شدّنا إلى محاولة التحليق في تلك الآفاق . فكان يتاح للقصيدة من شعره - وهو في تقديري أوائل شعره - أن تنتهها عيون وأذهان هذه الكوكبة من الأصدقاء ... ولعلي لا أثير ذكريات غمرتها رمال الزمان ، إذا قلت إن قصيدته القصيرة التي مطلعها :

بعد صفو الهوى وطيب الوفاق عزّ حتى السلام عند التلاقي

كانت تتردد على أذهان المجموعة في هوس أو هلوسة ، لا تكاد تهدأ حتى تنور ، ولعلي لا أنسى أن الأستاذ عبد السلام الساسي - رحمه الله - وكان من المدمنين أو الحريصين على ألا تفوتهم جلسة « المركز » في رياض المسفلة ، قد حفظ هذه القصيدة - كما يحفظ غيرها - فلا نكاد نجتمع ، ويوضع على المنضدة براد الشاهي ، حتى يردد الساسي أحد أبيات هذه القصيدة مازحاً ، أو مثيراً لشهية الحوار ، فنسمعه يقول :

أنت حر ، والحسن لا يعرف القيـد.....د ، فصادر حرّيتي وانطلاقي
لم يكن باليسير صبري على عسـ.....د فإفك لو أنني طليق الوثاق
فلا يكاد ينتهي الساسي ، حتى نسمع عبد الله عريف - رحمه الله - يرسلها ضحكة صاخبة قائلاً : يعني إيه ؟؟؟ يعني كنت رايع تعمل إيه ؟؟؟ تتضارب معاه ؟
فيلاحقه أحدهم قائلاً :

لا ... كان يزيد من وثاقه ... كأن يربط نفسه في روشن
المقعد ... عشان يشوفه وهوه نازل يتمشى في العصر .
وتتلاحق الضحكات ، ليفاجئنا الساسي بسرد قصيدة من أبياتها ذلك البيت :

واهاً لماضي أنيق اللّه كنْتُ به إلى وفائك بالآمال أختلفُ
يجري الحديث رموزاً بين أعيننا يَلِينُ مسراه تارابَ وَيَعْتَسِفُ
والصَّحْبُ بالخفيل مشغولونَ عن يدع تجلو فتونَ جناها الروضة الأنفُ
واليومَ يثينك عن داري وقد قُربْتُ مالفق الصَّحْبُ عن سري وما اقترفوا

وعند الدار التي قربت ، يدور أشد الحوار صخباً وتعليقات ،
ربّما يداخلها الأستاذ أحمد قنديل رحمه الله ليقول :
ماتزال دارك في جدة ... وأنت هنا ... فكيف قربت الدار ؟؟
ويجبب آخر :

إنك لا تدري أنه الآن قد نزل داراً في الطريق إلى المركز .

* * *

ولا أذكر الآن مَنْ مِنْ ذلك الرعيل الذي عايش مراكز المسفلة ،
يذكر ذلك المساء الذي ظهرت فيه تلك القصيدة ، التي ما تزال - في
تقديري - تعد أروع وأحفل شعره بمعان ، أثارت الكثير الكثير من
الحوار والنقاش ، حين وجد من قال إنه متأثر فيها بالشريف الرضي ،
ومن نفى التأثير كلياً ، مصرّاً أنها فريدة من فرائد الشعر العربي ، في
القرن العشرين ... إنها : التي تظهر في هذا الديوان بعنوان (لِمَ
أهواك) ... وهكذا ظهرت ، في المجموعة التي نشرها الأستاذ الساسي
رحمه الله ... إنها التي يقول فيها :

يا حبيبي .. يا ملتنقى السحر والفتنة ، يا غالبي على أمرٍ نفسي
لِمَ كانت - ولا أسومك لوماً - قسمتي في هواك قسمة وكس
ألأني آثرت في حبك القاء هر عزي ذهبت تطلب تعسي
أم لأني ضحية الأليم الصبا مت أطوي على الجوانح حسني
ومنها ذلك البيت الذي يقول فيه :

أم لمعنى شئت مفاتنك العذبة به عنه فكاذ أن يتراءى
فالمعاني في الكون ليست على الإنس سنان وقفاً إلّا هووى وادعاء

وهو بيت ، زعموا يومها أن حمزة ، رحمه الله ، كان ينظر فيه إلى
رأي الجاحظ في المعاني ، التي قال إنها لا تميز شاعراً عن شاعر ، وإنما
التمييز والفحولة ، في صياغتها ... في الألفاظ التي تصاغ بها المعاني .

ويبدو أنه لا بد من وقفة عند هذه القصيدة التي تعدّ من أشهر
ما كتب حمزة ، بل قد لا يبالغ من يذهب إلى أنها رائعته الكبرى ، التي
ندر أن قرأها قارئ في تلك الأيام ولم تعلق بذهنه بعض أبياتها . والوقفة
تحتّمها حقيقة أن الأستاذ أحمد قنديل قد ظهرت له في نفس الفترة
قصيدته التي تُعدّ هي أيضاً من روائعه ، والتي تستوقفك بأنها تحلق في
نفس الأفق الذي تحلق فيه رائعة حمزة .

وُجد من ذهب إلى أن القنديل كتب رائعته متأثراً ، إن لم يكن
منافساً للأجواء التي حلّق فيها حمزة ، إذ نجد في (لِمَ أهواك ؟)
تساؤلاً ، يتدفّق بعده حمزة في شتيت من الصور والمرائي والأفكار ،
والرفض لحقيقة ، ثم التناغم مع نفس الحقيقة ، بفكرة أن التناقض طبيعة

المشاعر التي يشعل أتونها الحب ... أو نظرة الحب .

ولا نكاد نغضي مع قصيدة قنديل (ما الذي فيك ؟) حتى نشعر أننا في نفس الأفق التي كنا فيها مع (لِمَ أهواك ؟) ... ونفس الآفاق هنا لا تعني التطابق أو التماثل ، أو حتى التشابه في المعاني والصور ، ... كلا ... وإنما هي آفاق التساؤل .. والحيرة ... والوقفة الذاهلة ، والإلحاح على اكتناه ما وراء المحجوب المستور من معاني الحسن ، كما يزدهم بها إحساس الشاعر .

وأجواء الأستاذ أحمد قنديل في رائعته ، تعايش مكانم الحسن ، وتلتمسها هنا وهناك ، وكأن الشاعر يخلق في أجواء فردوس عبقرى ، لا يدري هو نفسه ، كيف يصوره أو يعكس إحساسه نحو مرائيه . كل ما فيك فائنٌ ، يعجز اللفظ ظ إذا رام للذي فيك حلًا وإذا شاء أن يحدّد معنا ك تنهى فما يكاد يُبين ثم .. تستدرجه مكانم الحسن والحس فيقول :

في البريق الذي يضيء بعيني لك معانٍ كثيرة لا تُسمّى ملؤها السحر والدلال و (شيء) لست أدري لمعنييه مُسمّى فهو نورٌ يهدي القلوب إليه وظلامٌ (يُصير العقل أعمى) كلما امتد من معانيه ضوءٌ كان قلبي لذلك الضوء مرمى فإذا قلت (ما الذي فيك ؟) - من بعد د - تراءى هذا الخفي المبين ويسترسل القنديل ، فيقف ، تارة عند هذا الثغر المنسق ... فهو الحياة تأخذ العين ، وتخفى في منتهى شفثيه ، وتارة أخرى عند (الجمال) ككل ... ولكن الجيب ، يتعالى حتى على هذا الجمال ، إلى أن يقول :

ليس أمر الجمال والود إلّا متعة تنقضي وإلّا تغالى فتنتفنن في الظن ، ينكشف الأم سر ، فيا طالما تصيب الظنون ومع أي كنت صديقاً للشاعرين ، ولم يكن عندي ما يمنع أن أسأل كلا منهما عن الذي سبق الآخر في إبداع قصيدته ، فإني رغم تعدد المحاولة ، لم أظفر بجواب حاسم ... ومن هنا يظل التساؤل معلّقاً ... وتظل القصيدتان ، تعيش كل منهما حياتها في الأذهان ، رائعة من روائع

الإبداع ، لو قُدِّرَ لهما أن تجدا مجاهلما للنشر في العالم العربي - منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان ، لكان من الطبيعي أن تنصدرا الكثير من الأعمال الفنية ، التي كانت تصطبغ بها حركة الإبداع ، في هذا العالم ، ومصر منه خاصة ، التي كنا نتهافت على ما يتسلل إلينا منها بين الحين والحين .

وليست هاتان القصيدتان ، هما وحدهما ، اللتان ، تشابهتا موضوعاً وآفاقاً ، فهناك قصيدة (جدة) . لكل من الشعارين الكبيرين ... والشاعران في القصيدتين عن جدة ، لا يجاري أحدهما الآخر في الوزن أو القافية ، بل ويختلفان في النظرة إلى هذه العروس التي رأياها ، بمشاعر وأحاسيس بالغة الرهف ، بل بالغة الحب ، عروساً قبل أن تتألق وتبرج ، وتته هذا التيه الذي يكاد يملأ النفوس انبهاراً بها ، وبما تحقق لها من النمو .

نظرة الأستاذ حمزة شحاته إلى جدة ، فيها هذا الخيال الجموح الذي يرى في جدة ، في تلك الأيام (دنيا رفاة بمنى الروح وكون بالمعجزات نطوق) و :

جدتي أنت عالم الشعر والفتنة.....سنة يروي مشاعري ويروؤ
فإذا أومض الخيال بذكرا.....ك تداعت بعض لبعض يتوق
ويخلق حمزة تحليقا بالغ السموق في إحساسه بجدة حين يقول :
جدتي ... لا التي يحب الخليلو.....ن شقاء عذب وأسر أنيق
وصراع بين الحجا والأمني يطلق الحس تارة ويعوق
ولكم يستوقفنا ، الشاعر ، مع مشاعر التفجع والأسى ، بل والاستنكار حين يقول :

حبذا أنت لو وفيت وأجملت.....يت ، ولم ينتهك لديك الصديق
فوفاء الحبيب أسمى معاني السا.....حسن ، والطهر بالجمال خليق
إلى أن يقول ، في نبرة توجع ملؤها الحزن :

أكذا أنت للنقائض ورد يستوي عنده التقى والفسوق
بين من تمنحنيهم وذك السا.....ئع قوم ودادهم ممذوق
من مياسير جاهلين أضاعو ك ، وكل بما يشين غلوق

ومهازيل كالضفادع في الظل.....مة أقصى ما يستطيع النقيق
قادمهم أخرق الخطى للدنيا وهو فيهم بما جناه مسوق
وشباب غراسه ما زكت في.....لك - ولاغرو - فالغراس العروق
لعلت صرخة النهوض حواله.....لك ، وأصواتهم لديك نعيق
هم أسارى مناعم العيش والح.....ق عليهم - مما أذيل حنيق
إلى أن يقول :

لا تلومي على عتابك حرّاً قلبه منك بالجراح شريق
أنا للمجد - والهوى يؤثر العز.....وغيرى لغيره مخلوق

وتختلف نظرة الأستاذ أحمد قنديل إلى جدة ، في هذه القصيدة ، إذ
فيها إلى جانب مشاعر الحب والوله ، لمسات من الذكرى ... ذكرى
الأمس البعيد ، ومشاعر الانتهاء أبناء وجذوراً ، وطفولة وصبا وشبابا ،
والإحساس العميق (والهادئ) بأنها جزء من موطن (ملء
القلب) ... وفيها وقفات الوصف المبدع عند الخضم ، الذي يشبهه
(بصب على الباب طريح وهي عنه عيوف) .

وبترامي من هو فتقصينه عنك فترتد ... والمحـب ضعيف
وفي قوله (والمحـب ضعيف) نوع من النظرة الرائية لهذا المحـب ،
الذي لا يملك إلا أن يرتد أمام الحسن ، أو أمام الحب ، إلى أن يقول :
هكذا أنت فتنة من كوى الفك.....سر يراك المدلّـ المشغوف
ولدى عالم الحقيقة شيء دون هذا لولا هواك العنيف

* * *

وبعد ... فهذه المجموعة من الشعر الذي قدر له أخيراً أن يظهر
ديواناً ، كانت بالنسبة لي شخصياً مفاجأة ، إذ كان مما رسّخه الشاعر
عندي ، وعند فريق من أصدقائه الشعراء وغير الشعراء أنه لا يحتفظ
بشيء مما يكتب من شعره ... يميزه ، أو يتناساه ، فيما يتناسى من
مهملات ملفاته وأوراقه ... ولقد عكفت على قراءة معظم قصائد
المجموعة ، متوخياً أن ألمس تطور حركة الإبداع عنده ، وإذ وجدت
المجموعة ضخمة نسبياً ، قدّرت أنني سأجد شواهد هذا التطور فيما
لم يسبق أن قرأت من هذا الشعر ، ولكن لست أدرى ، إن كانت

نظرتي إلى مفهوم التطور في الإبداع ، أم توقف حركة التطور في شعر حمزة ، هي التي جعلتني أقول بعد كل قصيدة قرأتها : إن أوائل ما أبدع من شعره في مكة وجدة ، وربما بعد ذلك بفترة قصيرة في مصر ، يظل هو الذي بنى له هذه الشهرة وذيوع الصيت كشاعر في القمة ... وعدم التطور أو وقوف حركة التطور لا تعني بطبيعة الحال أنه هبط عن مستواه ... ولكن لا شك أنه لم يرتفع ، وباستثناء (نفيسة) أو (فتاة بولاق) ، وقصيدة (قالت شجرة لأختها) ، وقصيدة (العجل أبيس) ، لا أجد في جملة ما قرأت ، ما يجعلني أشعر أنه تفوق على نفسه ، أو حتى جاء بمثل الروائع التي عرفت له في بداية حركة إبداعه ، مما سبق أن نشر له في الصحف ، أو فيما عني بنشره الأستاذ عبد السلام الساسي ، رحمه الله .

تلك نظرة ، أعلم أن كثيرين يرفضونها ، إذ للشاعر ذلك الأثر الفتان ، على كل من سمع عنه ، أو قرأ له روائعه الأولى ... ولكن قد ينبغي ألا أحجم عن أن أقول : إن الشعر لم يكن وحده خصيصة الشاعر الذي استقر في الأذهان عبقرياً من عباقرة هذا البلد في القرن العشرين ، فهو - رحمه الله - طراز فريد في شخصيته ، كمحدث ، يملك أذهان وأسماع مستمعيه ... وككاتب أشعر أن نثره ، إن لم يكن أقوى من شعره كثيراً ، فإنه النثر الذي تشعر بقوته ، ولا تملك إلا أن تسترشد من قراءته ، كما في (المحاضرة) التي ألقاها في جمعية الإسعاف ... وكما في رسائله إلى ابنته (شيرين) ... بل وفي الكثير جداً من رسائله إلى أصدقائه ، وهو ما أرجو أن يتجمع ، وأن يظهر في كتاب في يوم ما .

وبعد ... فليرحم الله الشاعر الفذ ، وليغدق عليه من شآبيب رضوانه ... ولعله قد آن الأوان بعد اليوم ، لنسمع ونقرأ آراء النقاد في إبداعه ... وهو ما لا بد أن تزدهم به أنهار الصحف ، والفضل في ذلك لليد الكريمة ، يد الشاعر الأمير عبد الله الفيصل ، الذي يعطينا المثال الفذ ، لرعاية دوحة الأدب والفن ... ولا عجب فهو الأديب الفتان ، الذي سيأتي اليوم الذي يعكف النقاد على دراسة شعره ، فيما صدر ، وفيما سوف يصدر له ، إن شاء الله .

عزيز ضياء

مَا تَمَّ عَمَلُهُ فِي هَذَا الدِّيَوَانِ

بقلم

الدكتور بكري شيخ أمين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح

العرب أجمعين .. وبعد ..

فلقد سَعِدْتُ يوم كُلفْتُ بالإشراف على ديوان الشاعر الكبير
المرحوم حمزة شحاته ، وإعداد ما يلزم من نواح علمية أو فنية لإخراجه
إلى الناس على الصورة الطيبة المقبولة .

وكان من أسباب سعادتي أن هذا الديوان يخرج بهذا التَّكامل
لأول مرة ، وأن العلماء والأدباء والمثقفين في قلب المملكة العربية
السعودية وخارجها ، سيتلقفون الديوان ، وسوف يَنكَبُ فريق من
الباحثين على دراسته ، وقد يكون موضوعاً لعدد من الدراسات العليا في
الجامعات المختلفة .

إضافة إلى ذلك ، فإن الشاعر حمزة لم يكن بالشاعر الهين ،
أو اللين ، أو الضعيف ، وإنما كان يملأ الساحة الأدبية في أيامه ، يُصاول
ويُجاول ، ويُصالح ويُخاصم ، ويقف كالطُود في كثير من القضايا ،
وأمام عديد من الناس ، حتَّى لَيَصْدُقَ فيه قول القدماء عن أبي الطَّيِّب :
(مَلَأَ الدُّنْيَا وَشَغَلَ النَّاسَ) .

ولقد يظنُّ كثير ممن لا يعرفون هذا الشاعر حقَّ المعرفة أنَّ شعره
شبيه بما نُحِثَّ على الشُّراع الحجري المنصوب على جانب من شواطئ
(كورنيش) الحمراء بمدينة جدة ، فيه السَّهولة والسَّلاسة والحلاوة ،
حتَّى لَكَأَنَّهُ شعر البُحْثري أو الشريف الرُّضَيِّ .. من تلك الأبيات قوله
في جدة :

النهي بين شاطئيك غريقُ والهوى فيك حالمٌ ما يُفيقُ
ورؤى الحبِّ في رحابك شتى يستفزُّ الأسير منها الطليقُ
ومغانيك ، في النفوس الصدياً.....ت إلى ربيها المنيع رحيقُ
إيه ! يا فتنة الحياة لصبَّ عهده في هواك عهدٌ وثيقُ
كم يكرُّ الزمانُ ، مُتبدِّد الخطُ.....و ، وغصنُ الصبا عليك وريقُ
ويذوبُ الجمالُ في لهبِ الحبِّ.....إذا آب ، وهو فيك غريقُ
جدتي ! أنت عالمُ الشعرِ والفنِّ.....نة ، يروي مشاعري ، ويروقُ

لكنَّ الحقيقة تختلف عن هذا ، فبينما نجدُه في قصيدةٍ مُناسبة ،
مُترقِّقاً ، واضحاً ، إذا هو في أخرى معقَّد ، غامضٌ ، ميَّالٌ إلى اللَّفظِ
الغريب ، والمعنى الغامض ، والتركيب المتعاضل .

لهذا ، فإنَّ شعرَ حمزة شحاته لا يمكن أن يُقرأ بسرعة ، ولا بدَّ من
التوقُّف بين الحين والآخر ، وإعادة القراءة - أحياناً - مرَّة بعد مرَّة ،
ليُتضح المراد ، ويترابط الموضوع ، وبدون ذلك يَبقى المقروء في عالم
الغموض والإبهام .

من هذا الجانب كان الديوانُ بحاجة إلى جُهد ، ومراجعة ،
وتأمل ، وإعادة نظر ، وشرح ، وإتقان في الطبع ، ليتمكن الإفادة منه ،
وبدون ذلك نكون قد ظلَّمتنا الشاعِر والقارئ .

كان في النسخة المعتمَدة للطباعة غير قليل من أوهام نحويَّة
وإملائية وتطبيعية .. وكان أمرُ تصحيحها سهلاً يسيراً .

أما التصحيح ، والكلماتُ المحرَّفة ، أو غير الواضحة ، فكانت
كثيرة - إلى حدِّ ما - .

ويبدو أنَّ ذلك أمرٌ عاديٌّ وطبيعيٌّ ، فبعض هذه القصائد أُخذَ
من الصَّحف أو المجلات ، ووجود مثل هذه الهنات مألوف ، ومعضلةٌ
مزمنة ، وداءٌ قديمٌ وغريق .

ولقد أعان الأُخ المفضل الشيخ محمد علي مغربي على توضيح عددٍ منها ، وراجعَ معي الأصولَ المختلفة التي بين يديه في أكثر من جلسة ، وأكثر من لقاء .

ومع ذلك فقد كان في النسخة التي بين يديّ عدد من الألفاظ ، يقل عن المائة بقليل ، يحتاج إلى تقليب نظر ، وتدقيق ، كما يحتاج إلى تأمل طويل ، ليُمكنَ فَهْمُهُ وَرَبْطُهُ في سياق ما جاوره من ألفاظ ، وما ارتبط به من معان ، وحاولت - قَدَّر الإمكان - أن أجهّد ، وأصلّ فيه إلى أقرب الحلول ، وأصحّها - من وجهة نظري - وكان معظم تلك الألفاظ قد أصابها التصحيف ، أو التطبيع ، - في غالب الظن - من ذلك مثلاً : (أشعاري) صحّفت إلى (أسفاري) ، و (الوجد) إلى (الوجه) ، و (وصله) إلى (مصله) ، و (مزقوا) إلى (فرقوا) ، و (ترامى) إلى (تراخى) ، و (فرعت) إلى (قرعت) ، و (شأو) إلى (شأن) ، و (اعثبي) إلى (اعتبي) ، و (يعيب) إلى (يغيب) ، وهكذا .. ومثل هذا يحتاج إلى أناة ، وتَبَصُّر قبل الإقدام على أقلّ تصحيح أو تصويب .

الأمر الآخر هو أن الشاعر كان - على ما أظنّ - يغوص في المعجم ، ويستخرج في أحيان كثيرة ألفاظاً غير متداولة ، يصعب فهمها على القارئ المتوسط ، وتحتاج إلى شرح وإيضاح ، وبدون ذلك يبقى المعنى غير مفهوم .. وكان القاموس المحيط وصحاح الجوهري ، ولسان العرب ، والمعجم الوسيط وسيلتي لهذا الشرح في الحاشية .

وهنا لابدّ لي من الإشارة إلى أن بعض قصائده الهازلة ، أورد فيها عشرات المفردات غير الفصيحة ، منها ما يرتدّ إلى أصل هنديّ ، ومنها ما يرجع إلى أصل إنكليزيّ ، ومنها ما هو عاميّ محليّ ، أو مصريّ ، ومنها ما هو من اختراع الشّاعر ، كما فعل بَشَّار في غَزَل حمارة فاخترع (تَحَدَّ الشَّيْفَران) . وكان الأخ العالم الأستاذ المغربي خيرَ عَوْنٍ على شرح هذه الكلمات .

أضف إلى ذلك أنَّ الشَّاعر - رحمه الله - كان - على ما يبدو - عريضَ الثقافة ، واسعَ الاطِّلاع ، كثيرَ القراءات .. فأنتَ تجد في شعره إشاراتٍ إلى بعضِ مناحي الأدب وتاريخه ، وإشاراتٍ إلى أساطير شتَّى يونانيَّة ، ورومانيَّة ، وفرعونيَّة ، وإشاراتٍ إلى كتب وكُتَّاب من مختلف بلاد العالم من مثل كتاب اللامنتمي ، والكاتب كولن ولسون ، وغير ذلك .. وكان مرجعي في هذه الإشارات موسوعة المَوْرِد ، والموسوعة الميسرة ، وتاريخ الحضارة لِذْيُورَانْت .

وتقضي الأمانة العلميَّة أن أشير إلى أن كثيراً من الأبيات لم تكن مقسَّمة الشُّطرين تقسيماً عروضياً سليماً . فلقد تجد - أحياناً - شطراً فيه تفعيلات أكثر ، أو أقل ، ممَّا في الشُّطر الآخر ، أو تجد بيتاً يختلف في عدد تفعيلاته عن سائر أبيات القصيدة أو المقطوعة ، ولقد حرصت على إعادة التوازن العروضي بين الشُّطرين من جهة ، والإشارة في الحاشية إلى زيادة التفعيلات أو نقصانها .

أمَّا موضوع ضبط الكلمات وتشكيلها فقد آثرت أن أضبط ما يُشكِّلُ على القارئ - بوجهٍ عامٍّ - وما يُسهِّلُ عليه القراءة ، والفهم وراء ذلك ، ولم أضبط الكلمة كاملة ، كما هو الأمر في القرآن الكريم وكثير من كتب الحديث النبويِّ ، لِظني أنَّ الأمر لا يحتاج إلى كل هذا التشكيل ، وكانت إشارات التَّرقيم التي وضعتها عوناً آخر - في اعتقادي - على الوصول إلى فهم المعنى والقراءة الصحيحة .

واستكمالاً للعمل ، قمتُ بنفسِي بمراجعة التجارب (البروفات) للديوان ، خلال مراحل الطَّبع المختلفة ، للاطمئنان على سلامة التَّصوُّص ، لِتُخرَجَ كما تركها الشَّاعر الراحل حمزة شحاته - قَدَّرَ الإمكان - .

وفي الختام : لا أدعي أنَّ عملي في هذا الديوان جاء مستكملاً لأسباب التَّحقيق والتوثيق العلميَّين لِتَعَلَّاتٍ جمَّتْ على بعضها فيما تقدَّم ، ولأنَّ النَّقص من صفات البَشَر ، فالله ، سبحانه وتعالى ، أُنَى

إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَمَالُ لِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّقْتُ
فِي حُدُودِ طَاقَتِي وَعَمَلِي فِي إِخْرَاجِ هَذَا الدِّيَّانِ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي تَكْفُلُ
لِلْبَاحِثِينَ أَنْ يُعَوَّلُوا عَلَيْهِ ، وَيُفِيدُوا مِنْهُ ، دُونَ أَنْ يَجِدُوا فِيهِ كَبِيرَ مَشَقَّةٍ
أَوْ وَعُورَةٍ مُسَلِّكَةٍ .

وَإِذَا أَخْطَأْتُ التَّوْفِيقَ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِي هَذَا ، كاجْتِهَادٍ فِي ضَبْطِ ،
أَوْ شَرْحِ ، أَوْ تَقْوِيمِ ، أَوْ تَفْسِيرِ ، أَوْ تَوْجِيهِ ، فَأَرْجُو اللَّهَ أَلَّا يَحْرِمَنِي
أَجْرَ مَنْ اجْتَهِدَ فَأَخْطَأَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ .

الدكتور

بكري محمد شيخ أمين

جدة المحروسة :

١٠ شوال ١٤٠٨ هـ

٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٨ م

سَعْدُ الْغَزَلِ

سَطْوَةُ الْحُسْنِ

بَعْدَ صَفْوِ الْهَوَى وَطِيبِ الْوِفَاقِ عَزَّ حَتَّى السَّلَامِ عِنْدَ التَّلَاقِ ^(١)
 يَا مُعَافَى مِنْ دَاءِ قَلْبِي وَخُزْنِي وَسَلِيمًا مِنْ حُرْقَتِي وَاشْتِيَاقِي !
 هَلْ تَمَثَّلَتْ ثَوْرَةَ الْيَأْسِ فِي وَجْهِ هِيَ وَهَوْلُ الشَّقَاءِ فِي إِطْرَاقِي ؟
 أَيْ سَهْمٍ بِهِ اخْتَرَقَتْ فُؤَادِي حِينَ سَدَّدَتْهَا إِلَى أَعْمَاقِي ؟
 مُسْرِعًا فِي الْمَسِيرِ ، تَنْتَهَبُ الْخَطْ ، فَهَلْ كُنْتَ مَشْفِقًا مِنْ لِحَاقِي ؟
 إِذْ تَهَادَيْتَ مُبْدِلًا نَظْرَةَ الْعَطْ فِي بَاحْرَى قَلِيلَةِ الْأَشْوَاقِ
 وَتَهَيَّأْتَ لِلسَّلَامِ ، وَلَمْ تَفْ عَمَلٌ ، فَأَغْرَيْتَ فُضُولَ رِفَاقِي
 هَبَّكَ أَهْمَكَ وَاجِبِي ، صَافًاءَ مِنْ كَ ، فَمَا ذَنْبٌ وَاجِبُ الْأَخْلَاقِ ؟ ^(٢)
 وَاعْتَرَى قَلْبَكَ الْمَلَالُ ، فَأَعْرَضَ تَ ، فَهَلَّا أَنْتَظَرْتَ يَوْمَ الْفِرَاقِ ؟
 لَا أَدَاجِيكَ ، وَالْكَرَامَةُ مَعْنَى ، تَتَجَلَّى فِي صَحْحَةِ الْمِثَاقِ ^(٣)
 قَدْ يُطَاقُ الصُّدُودُ ، يُوَجِّهُ الذَّنْبُ بٌ ، وَصَدُّ الْمَلَالِ غَيْرُ مُطَاقِ
 سَطْوَةُ الْحُسْنِ حَلَلَتْ مَا كَ نَ حَرَامًا ، فَافْتَنَّ فِي إِرْهَاقِي
 أَنْتَ حُرٌّ ، وَالْحُسْنُ لَا يَعْرِفُ الْقَيْ دَ ، فَصَادِرُ حَرِيَّتِي وَانْطِلَاقِي
 لَمْ يَكُنْ بِالْيَسِيرِ صَبْرِي عَلَى عَسَ فِكَ لَوْ أَنَّني طَلِيقُ الْوِثَاقِ ^(٤)

(١) عَزَّ : صار عزيزاً . وَعَزَّ السَّلَامُ : قُلْ فلا يكاد يوجد .

(٢) هَبَّكَ : أصلها : هَبَّ أَنتَ ، واختصرت للضرورة ، وهي بمعنى : أحسب وأعدد . الصِّلَف : التكبر .

(٣) أَدَاجِيكَ : أَدَارِيكَ .

(٤) الْعَسَف : الظلم .



صَحْوَةٌ

جَمَالٌ ، وَلَكِنْ لَا أَرَاهُ يَثِيبُ
 هُمَا ظُلْمَةُ الْمَاضِي انْجَلَتْ وَتَقَشَّعَتْ
 تَأَلَّفَنِي الدَّاعِي إِلَيْهَا بِحُزْنِهَا
 وَهَلْ بَيْنَنَا مِنْ سَالِفِ الْوُدِّ مَوْقِفٌ
 وَنَحْنُ ، عَلَى قُرْبِ الدِّيَارِ وَبُعْدِهَا ،
 فِيهَا صُورَةُ الْمَاضِي الْبَغِيضِ ، تَرَاجَعِي
 ذَكَرْتُ بِكَ الْأَيَّامَ سُوداً تَلْفَنِي
 وَمَا أَثْقَلَ السَّاعَاتِ فِي نَفْرَةِ الْكَرَى
 قُبُورٌ وَأَجْسَادٌ تَجَنَّبُهَا الرَّدَى
 فَيَنْتَصِبُ الْمَاضِي لِعَيْنَيَّ بُورَةً
 أَرَاكِ بِهَا كَأْساً تَطُوفُ مَطَافُهَا
 مَدَارِكُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْإِثْمِ ضَيِّقٌ
 وَمَا هُوَ إِلَّا مَازِقُ الضَّنكِ وَالْأَسَى

أَضَعْتَ عَلَى فَجْرِ الشَّبَابِ هِدَايَةً * * * فَمَا أَنْتِ مِنْهَا وَالْمَشِيبُ غُرُوبٌ ؟

(١) يَثِيبُ : يكافئ ويجازي (من الثواب) . وقد تعني : يُعيد ويُرجع .

(٢) نَتُوبُ : نرجع ، ونتوب .

(٣) نَفْرَةُ الْكَرَى : هروب النوم . ساري الرؤى : أحلام الليالي .

(٤) تَلُوبُ : تحوم حول الماء عطشاً

(٥) مَثِيبُ : عائد وراجع . وقد تكون اسم فاعل من أثاب .



كَمْ ذَا أَصَانِعَ فِي هَوَاكَ وَأَتَّقِي ؟
 تُخْفِي طَلَاقَتَهُ جَهَامَةً مُطْرِقٍ ؟^(١)
 نَجَوَى ضَمِيرِكَ - إِذْ تَقُولُ - وَمَوْثِقِي ؟
 رَدَّتْ خُطَاكَ ، وَمَا لَنَا لَا نَلْتَقِي ؟
 أَمْ كُنْتَ فِي مَسْعَاكَ غَيْرَ مُوَفِّقٍ ؟
 فَجَعَلْتَهُ فِي رَغَبَاتِهِ يَدٌ أُخْرِقَ^(٢)
 صَعْبًا ، فَمَنْ لَكَ أَنْ تَكُونَ الْمُرْتَقِي ؟^(٣)
 وَأَجَلْتَ فِي عُقْبَاهُ رَأْيِي الْمُشْفِقِ^(٤)
 يَرْجُو الْمَعُونَةَ مُوَثَّقٌ مِنْ مُوَثَّقٍ ؟^(٥)
 فَتَرُدُّنِي عَنْهَا عُلَّالَةً شَيْقٍ^(٦)
 إِنْ كَانَ حَظِّي ، مِنْكَ ، حَظَّ الْمُخْفِقِ

حَسْبِي بِمَا حَمَلَ الْفَوَازُ وَمَا لَقِي
 وَعَلَامَ تَلْقَانِي بِوَجْهِهِ مُشْرِقٍ
 مَاذَا يَصُدُّكَ عَنْ هَوَايَ وَدُونِهِ
 قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالصَّعَابِ فَمَا لَهَا
 هَانَتْ عَلَيْكَ مَوَاجِعِي فَتَسِيَّتْهَا
 بَلْ قَدْ مَنَعَتْ ، وَلَسْتُ أَوَّلَ رَاغِبٍ
 وَلَقَدْ تُجَشَّمُكَ الرَّغَائِبُ مُرْتَقِي
 وَلَقَدْ دَعَوْتُكَ لِلخَطَارِ فَهَيْبَتُهُ
 وَمِنْ الْغَرَائِبِ أَنْ أُسُومَكَهُ وَهَلْ
 وَتُسِيءُ ظَنِّي فِيكَ فِتْرَةً سَائِمٍ
 وَأَمَّا وَحُبُّكَ مَا الرَّجَاءُ بِمُسْعِدِي

* * *

(١) الجهامة : عبوس الوجه .

(٢) الأخرق : الأحمق .

(٣) تجشَّم الأمر : تكلفه .

(٤) الخطار : جمع الخطر . المشفق : الخائف الحذر .

(٥) أسومكه : أسومك إياه . وسام فلاناً الأمر : كلفه إياه وألزمه به . الموثق : اسم مفعول من أوثق بمعنى

ربط وشد يديه أو رجليه بحبل أو سواه .

(٦) الفترة : الضعف والانكسار ، ومن معانيها : المدة . سائم : الزاهب على وجهه من غير هدى .

العلالة : ما يُتَعَلَّلُ به أو يُتَلَهَّى . الشيق : المشتاق .

أُنْكِرْتُ فِيكَ الذُّلَّ حَتَّى رُضْتُنِي
وَأَنَا الْأَبْيُّ ، وَقَدْ عَرَفْتَ خِلَائِقِي
يَا مَوْرِدِي الْفَيَاضَ ، حَسْبِي وَقْدَةُ
الْعَابِثُ اللَّاهِي حَيْالِكَ نَاهِلٌ
الْقَاكُ مَشْبُوبُ الْجَوَانِحِ لَاظِيأً
مُتَوَقِّدُ الْأَنْفَاسِ ، أَصَمْتُ وَالسَّنَا
مَاذَا فَعَلْتَ بِقَلْبٍ حَرٍّ قَادَهُ
قَدْ كُنْتُ قَبْلَ هَوَاكَ أَخْطَرُ ضَاحِكاً
مَتَهَلِّلُ الْقَسَمَاتِ ، يَرْتَفِقُ الْهَوَى
وَالْيَوْمَ أَطْرُقُ فِي مَقَامِكَ صَامِتاً
أَنَا ذَلِكَ الصَّدَّاحُ أَخْرَسَنِي الْأَسَى
أَيَّامَ تَعْرِضُ لِي ، فَتَرْتَجِلُ الْمُنَى
فَتُعِيدُهُ شَفْتَكَ سِحْراً رَائِعاً
وَتُدِيرُ مِنْهُ - وَقَدْ طَرِبْتَ - سُلَافَةً
وَالْكُونُ حَوْلَكَ سَابِغٌ فِي حُلْمِهِ
وَالْحَقْلُ مُحْتَفِلٌ يَطَارُحُهُ الْهَوَى

فَطَوَّبْتُ دُونَكَ لِلجَهَامَةِ مَفْرَقِي^(١)
فَاعْرِفْ عَلَى حُبِّكَ بَعْدَ تَخَلُّقِي^(٢)
مِمَّا يُنَازِعُنِي إِلَيْكَ تَحَرُّقِي
وَالْعَاشِقُ اللَّهْفَانُ لَمَّا يَسْتَقِي
غَصَّانَ ، أَسْبَحُ فِي الضَّرَامِ الْمُحْرِقِ^(٣)
لَوْ شِئْتُ شَعَّ بَدَائِعاً فِي مَنْطِقِي
غَيُّ الصَّبَابَةِ فِي هَوَاكَ الْمُزْلِقِ ؟
بِفؤَادِ مَوْصُولِ الْمَسْرَةِ ، مُطْلَقِ
سِحْرِي ، وَيَحْتَبِلُ الْمَفَاتِنَ رَوْنَقِي^(٤)
وَتُورِي لِغَيْرِي نُهْزَةَ الْمُتَشَدِّقِ^(٥)
وَلَكُمْ مَنَحْتُكَ كُلَّ لَحْنٍ مُشْرِقٍ
شِعْرَ الْهَوَى ، كَالْعَارِضِ الْمُتَدَفِّقِ^(٦)
يُزْرِي بِكُلِّ مُنْضِدٍّ وَمُنَسَّقِ^(٧)
تَدْعُ الْكَلِيلَ يُرِيغُ شَاوُ الْمُفْلِقِ^(٨)
فِي مِثْلِ هَالَةٍ وَجْهَكَ الْمَتَالِقِ
أَسْرَارُ حُسْنِكَ ، ضَاحِكاً ، وَتَعْلُقِي

(١) راض المهر : ذلله وطوعه . المفرق : - هنا - كناية عن الوجه .

(٢) حُبِّكَ : حبي إياك .

(٣) اللاظي : اللاهب من اللظى . الغصان : الذي صار في حلقه غصّة ، وهي بمعنى : غاص .

(٤) ارتفق : انتفع ، استعان . الرّونق : البهاء والحُسن .

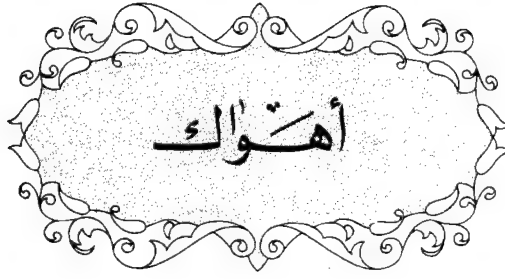
(٥) النّهْزَةُ : الفرصة . المتشددّ : الرجل يلوي شفتيه بالكلام يتفاحص .

(٦) العارض : السحاب .

(٧) أزرى به : تهاون به وقصّر .

(٨) السُّلَافَةُ : أفضل الخمر وأخلصها . أراغ : طلب ، أراد ، راود . الشاؤ : الهمة ، الغاية .

المفلق : الحاذق المعجب .



أهْوَكَ تَمْنَحْنِي الرِّضَا ، أَوْ تَبْخُلُ أنا ، في هَواكَ ، القَانِتُ الْمُتَبَيِّلُ^(١)
 طَلَّقْتُ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ وَعَفْتُهَا حَتَّى اسْتَبَانِي وَجْهُكَ الْمُتَهَلِّلُ^(٢)
 وَظَمَيْتُ لَا تَرَوِي الْمَبَاهِجُ مُهْجَتِي حَتَّى بَدَا مِنْ نَاطِرِكَ الْمَنَهْلُ
 فَتَسِيَتْ آلَامَ الْحَيَاةِ وَبَرَّحَهَا وَغَدَوْتُ لَا أَشْكُو وَلَا أَقْلَمَلُ^(٣)
 نَشْوَانَ رِيَّانِ الْمَطَالِبِ فَائِضًا أَمَلًا ، وَأَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
 يَا جَنَّةً ، فَاضَتْ مِفَاتِنُ حُسْنِهَا هِيَ لِلْخُلُودِ مِثَالُهُ الْمُتَخَيِّلُ
 رَفَّتْ مَعَانِي الْحُسْنِ وَاحْتَشَدَتْ بِهَا وَشَدَا الْهَزَارُ بِهَا وَغَنَّى الْبُلْبُلُ
 وَتَعَانَقَتْ فِيهَا الْغُصُونُ رَوَاقِصًا جَذَلًا يُعْبِرُ عَنْ هَوَاهَا الْجَدُولُ
 وَجَلَا الْخَيَالُ بِهَا رَوَائِعُ حُسْنِهِ أَخَاذَةً ، بِفَتُونِهَا ، تَتَسَلَّسَلُ
 وَسَرَتْ بِهَا النَّسَمَاتُ عَاطِرَةَ الشَّدَا الزَّهْرُ يَحْسُدُ طَيِّبَهَا وَالْمَنْدَلُ^(٤)
 حَرَمِي الْأَمِينُ بِهَا وَمَأْوَى وَحْدَتِي وَمَلَاذُ آمَالِي ، وَنَعَمَ الْمَوْئِلُ
 الشَّمْسُ فِيهَا ، مَا يَغِيبُ شُعَاعُهَا وَالْبَدْرُ ، فِيهَا ، مُشْرِقٌ مَا يَأْفُلُ
 تَحْنُو عَلَيَّ ، وَفِيَّةً وَثِيْلِي مَا لَيْسَ لِي مِنْ بَعْدِهِ مُتَعَلِّلُ

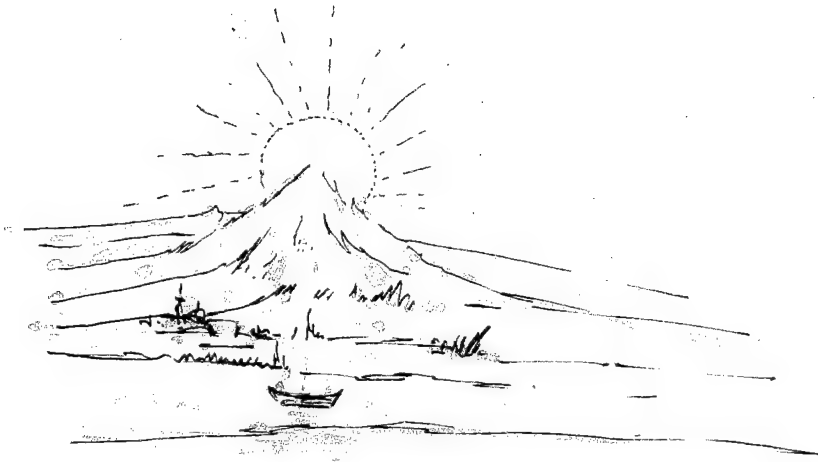
(١) القانت : المطيع ، الخاضع . المتبيل : المتفرغ ، المنقطع .

(٢) استباني : أسرني .

(٣) البرح : الشدة ، العذاب الشديد .

(٤) المندل : العود الطيب الرائحة .

أنا منك في دُنْيا نعيمٍ خالدٍ تَفْنَى الرِّغائبُ ، وَهُوَ لا يَتَبَدَّلُ
هِيَاةَ يَسْلُبُنِي الزَّمَانُ سَعَادَتِي فِي ظِلِّهَا ، أَوْ يَسْتَبِينِي مَأْمَلُ
وَالْحُبُّ ، إِنْ صَدَقَ الْوَفَاءُ ، سَعَادَةٌ يَعْنُو الزَّمَانُ لِمَا تُرِيدُ وَتَكْفُلُ





مُنَاجَاة

هِيَاهُ لَا أَمَلٌ أَجْدَى وَلَا لَهْفُ
 مَا لَا تُبْلِغُكَ الْأَفْعَالُ جَاهِدَةً
 قَلْبِي ! وَهَلْ كُنْتُ قَلْبِي يَوْمَ تَحْمِلُنِي
 غَرَزْتُ بِي فَأَضَعْتُ الْحَزَمَ مَدْفِعاً
 كَانَتْ سُوَيْعَةً رِيٍّ بَعْدَهَا ظَمَأٌ
 حَطَّطْتُ بَيْنَهُمَا نَشْوَانَ مُنْطَلِقاً
 فَاحْمِلْ عَلَى تَبِعَاتِ الْجَهْلِ مَا تَرَكْتُ
 قَلْبِي ! وَمَا كُنْتُ قَلْبِي يَوْمَ وَدَّعَنِي
 هَلَا اسْتَبْنَتْ مَعَانِي الْعَدْرِ تُرْسِلُهَا
 غَرَّتْكَ دَمْعُهُ الْخَيْرَى يُكْفِكُفُهَا
 وَرَاحَ ! تَأْمُلُ فِي عَقْبِي نَوَاهُ لُقِي
 وَعَادَ ! هَلْ عَادَ مَنْ يَتْنِيهِ رَوْنَقُهُ
 وَهَلْ يُفِيدُكَ فِي عَقْبِي الْمُنَى أَسْفُ ؟
 فَكَيْفَ تَضْمُنُهُ الْأَمَالُ وَالصُّدْفُ ؟
 عَلَى أَمَانِيكَ يَحْدُو زُورَهَا السَّرْفُ ؟
 عَلَى ضِيَاءِ خَيَالٍ تَحْتَهُ السَّدْفُ ^(١)
 وَعَدَلْ يَوْمَ تَنَاهَى بَعْدَهُ الْجَنَفُ ^(٢)
 لَا اللَّيْنُ يَتْنِيكَ عَنْ لَهْوٍ وَلَا الْعُنْفُ
 لَكَ الْبَوَادِرُ ، فَالْأَيَّامُ تَنْتَصِفُ ^(٣)
 لَمْ يَتْنِهِ الدَّمْعُ عَمَّا رَامَ وَاللَّهْفُ ^(٤)
 عَيْنَاهُ ، أَمْ كُنْتُ فِي رَوْعِ النَّوَى تَجِفُ ^(٥) ؟
 وَدُونَ مَا ضُمَّتُّهُ الْعَدْرُ وَالصِّلْفُ ^(٦)
 وَعِدَّتُهُ ، فَقَضَاهُ الْهَجْرُ وَالْخُلْفُ
 عَنِ الْوَفَاءِ وَخَوْفِ الْعَدْلِ وَالتَّرَفُ ؟

(١) السَّدْفُ : الظُّلْمَةُ .

(٢) الجَنَفُ : خلاف العدل ، الظلم .

(٣) البَوَادِرُ : جمع بادرة وهي ما يدر من الرجل عند غضبه من خطأ وسوء قول .

(٤) اللَّهْفُ : الحزن والتحسر .

(٥) تجِفُ : من وَجَفَ يجف بمعنى اضطرب وخفق خوفاً .

(٦) الصِّلْفُ : الادعاء مع التكبر والغطرسة .

عَلَامٌ تَخْفِقُ وَالْأَيَّامُ سَاكِنَةٌ
أَعَادَ؟ مَا عَادَ مَنْ ثَلَاثِهِ صُحْبَتُهُ
حُرْمَتُ مِنْهُ عَلَى قُرْبٍ وَلَوْ بَعُدَتْ
ظَمَانٌ يَحْرِقُنِي شَوْقِي وَيَعْصِفُ بِي
أَرَاهُ حِينَ يَرَانِي مُطْرِقاً حَزْناً
مَا أَطْلُبُ الْحُبَّ عَفْواً ، أَعْطِنِيهِ هَوًى
وَفِيمَ تَأْمُلُ وَالْمَرْجُو مُنْصَرِفٌ ؟
عَمَّنْ يُسَاوِرُهُ فِي حُبِّهِ التَّلَفُ
بِهِ الدِّيَارُ أَنْالَتْ وَصَلَهُ الصُّحُفُ
يَأْسِي ، وَمَوْرِدُ نَفْسِي حَافِلٌ كَشِيفُ
كَمَنْ يُغَالِبُهُ عَنْ شَأْنِهِ الرَّأْفُ
فَمَا يُبْرِدُ حَرَّ الظَّامِئِ الرَّشْفُ

* * *

وَاهَا لِمَاضٍ ، أَنْيَقِ اللَّهُ ، كُنْتُ بِهِ
يَجْرِي الْحَدِيثُ ، رُمُوزاً ، بَيْنَ أَعْيُنِنَا
وَالصَّحْبُ ، بِالْحَفْلِ ، مَشْغُولُونَ عَنْ بَدْعِ
وَالْيَوْمَ يَشْنِكُ عَنْ دَارِي ، وَقَدْ قَرَبْتُ ،
سَامُوكَ هَجْرِي ، عَلَى كُرْهِهِ ، وَقَدْ جَهِلُوا
وَأَطْلَقُوا التُّهَمَ الشَّنْعَاءَ يَصْرِفُنِي
إِلَى وَفَائِكَ ، بِالْآمَالِ ، أُخْتَلِفُ
يَلِينُ مَسْرَاهُ ، تَارَاتٍ ، وَيَعْتَسِفُ
تَجْلُو فُنُونَ جَنَاهَا الرِّوَضَةُ الْأَنْفُ
مَا لَفَقَ الصَّحْبُ عَنْ سِرِّي وَمَا اقْتَرَفُوا
مَا يَعْلَمُ الطُّهْرُ عَنْ حُبِّكَ وَالشَّرْفُ
عَنْهَا ، وَعَنْ دَحْضِهَا الْإِيمَانُ وَالْأَنْفُ

* * *

وَلَوْ رَمَيْتُ لِأَصْمَيْتِ الْقُلُوبَ وَلَمْ
هُمُ مِنْكَ فِي الْحَرَمِ الْمَحْمِيَّ جَانِبُهُ
وَأَنْتَ دُونَهُمْ قُرْبَى وَآصِرَةٌ
لَقَدْ أَلَمْتُ فَظَنُّوْهَا شَجَاعَتَهُمْ
يَصُدُّنِي الْعَجْزُ ، لَكِنْ عَزَّنِي الْهَدَفُ^(١)
وَلَا وَحُبِّكَ ، لَوْلَا أَنْتَ ، مَا عُرِفُوا
لَوْلَاكَ مَا اتَّفَقُوا فِينَا وَلَا اخْتَلَفُوا
وَأَنْتَ بَيْنَهُمْ تَرْمِي وَتَنْعِطُفُ

(١) أوصى : أصاب الهدف .

يَبِي مِنْهُمْو فَيْكَ ، لَا كَانَتْ أَوَاصِرُهُمْ ،
كَأَنَّ فِي النَّفْسِ بُرْكَاناً يَثُورُ بِهَا
فَالْكُونُ حَوْلِي مَطْمُوسٌ تُرَاوِدُهُ
أَجُولُ فِيهِ بَعِيْنٌ حَارٌّ نَاطِرُهَا
إِذَا تَنَوَّرْتُ فِي ظِلْمَائِهَا طَرْفَاً
أَتْلُكَ نَازِلَةً الْمَقْدُورِ تَفْجَعُنِي
لَقَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَ الرُّشْدِ أَسْلُكُهُ
أُخَذْتُنِي إِحْذَةَ الْجَبَّارِ فَانْقَطَعَتْ
إِسْأَلُ صَحَابَتِكَ الْجَانِيْنَ كَمْ لَعَبَتْ
أَكُنْتُ جَانِيَهَا وَحْدِي ، وَلَا بَقِيَّتْ ،
لَقَدْ عَرَفْتُ نَبِيْلَ الْحَبِّ تَكْلَاهُ

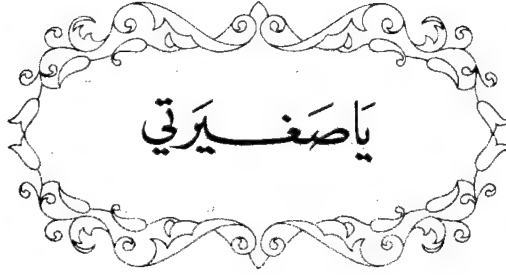
وَمِنْ صُدُودِكَ بَرَّخَ فَوْقَ مَا أَصِفُ
يَطْوِي أَمَانِيَّهَا الْحَرَى فَتَنْحَسِفُ
رُؤْيُ الْمَفَازِ عِ تَسْتَحْفِي وَتُنْكَشِفُ
تَبْغِي الرَّجَاءَ وَتَأْبَاهَا لَهَا السُّجْفُ^(١)
غَامَ الدُّجَى فَتَوَارِي ذَلِكَ الطَّرْفُ
أَمْ غَايَةُ الْأَمَلِ الْمَهْدُورِ تَرْتَجِفُ ؟
لَوْ كَانَ لِي عَنْ هَوَاكَ الْوَحْفُ مُنْصَرِفُ^(٢)
يَبِي السَّبِيْلُ ، فَمَا الْوَيْ لَا أَقِفُ^(٣)
بِهِمْ دَوَاعِي الْهَوَى وَالْحُسْنُ وَالْهَيْفُ ؟
أَمْ أَنَّنِي ، دُونَهُمْ ، غَيَّانُ مُنْحَرِفُ^(٤) ؟
فَضَائِلُ الْخُلُقِ السَّامِي ، فَهَلْ عَرَفُوا ؟

* * *

أَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَشْبُوبٍ عَلَى ظَمَأٍ فَلْيَفْعَلِ الْجُودُ إِنْ لَمْ يَفْعَلِ الشَّعْفُ^(٥)

★ ★ ★

-
- (١) السُّجْفُ : مفردُهَا السَّجَافُ وَهِيَ السَّتْرُ أَوْ مَا يَرْكَبُ عَلَى حَوَاشِي الثَّوْبِ .
(٢) الْوَحْفُ : النَّازِلُ ، الرَّاسِخُ ، الْمَقِيْمُ ، الْكَثِيْرُ .
(٣) لَوِي : انْعَطَفَ وَانْتَظَرَ .
(٤) غَيَّانُ : ضَالٌ ، مُنْحَرِفٌ مَعْنَى فِي الضَّلَالِ .
(٥) الْمَشْبُوبُ : الرَّجُلُ الذَّكِي الشَّهْمُ ، الْمُتَوَقِّدُ حَرَارَةَ وَشَبَاباً . الشَّعْفُ : الْحَبُّ الشَّدِيْدُ .

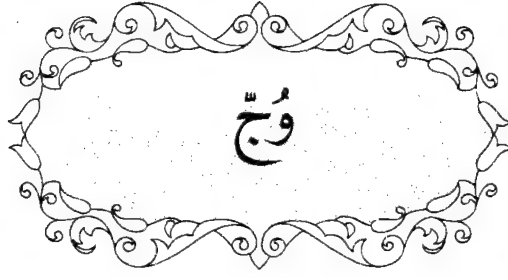


يَا صَغِيرَتِي

حَدَّقِي فِيَّ عَابِساً أَوْ طُرُوباً لَا تُرَاعِي لِظَاهِرِي أَوْ تُسْرِي
 لَكَ مِنْ صَدْرٍ رَحِيْبٍ ، وَإِنْ ضَا قَ بَمَا فِي الْحَيَاةِ دَرْعاً ، فَقَرِّي
 وَالْثَمِي وَجَنَّتِي لَثْماً عَنِفاً وَكِلِي لِلْيَدَيْنِ تَجْمِيشَ صَدْرِي
 وَالصَّقِي وَجْهَكَ الصَّغِيرَ بِكَتْفِي وَاجْعَلِي مِنْ يَدَيْكَ طَوْقاً لِحُصْرِي
 وَاهْجُمِي تَارَةً بِجِسْمِكَ ، أَلْقِي بِعَنْفٍ يَهْزُنِي فَوْقَ حِجْرِي
 وَإِذَا رَاقَلَ الْوُصُولُ إِلَى رَأْسِي سِي لَكَ تَعْنِي قَلِيلاً بِشَعْرِي
 فَاقْفِزِي قَفْزَةَ الْمُجَازِفِ فِي حِرْصِي تَكُونِي فِي لَحْظَةٍ فَوْقَ ظَهْرِي
 وَافْعَلِي بِي مَا شِئْتِ ، وَافْتَرِضِي (لُعبَةً) بِأَدْلَتِكَ قَرّاً بِكَرِّ
 فَقَرِيماً سَتَصْبِحِينَ قَتَاةً لَا تَرَى الشَّمْسُ حُسْنَهَا ، ذَاتَ خِذْرِ
 حَدَّثْنِي ، أَلَا يَرَوْعُكَ بُعْدِي بَعْدَ طَوْلِ اثْتِلَافِنَا ؟ يَا لِدُعْرِي
 وَاسْأَلْنِي مَاذَا تَكُونُ حَيَاتِي إِنْ خَلَّتْ مِنْكَ ؟ يَا نَضَارَةَ عُمْرِي
 لَيْتَ شِعْرِي لِمَنْ تَكُونِينَ بَعْدِي ؟ يَا حَيَاتِي وَقَبْلَتِي ، لَيْتَ شِعْرِي
 أَقْسَمِي لِي بِحُبِّ (أُمِّكَ) أَنْ لَا تَتَنَاسَيْنَ يَوْمَ عُرْسِكَ ذِكْرِي
 أَذْكَرِي ذَلِكَ الشَّقِيَّ ، أَذْكَرِي فَلَقَدْ كَانَ يَرْتَجِيكَ لِأُمْرِ
 سَوْفَ أَحْيَا ، نَعَمْ ، وَلَكِنْ حَيَاةً تَتَهَاوَى بِهَا عَوَامِلُ قَهْرِي
 وَسَاقِي مَعَذِباً مَفْعَمَ الْقَلْبِ بِشُجُونَا وَأُسْتَعِينُ بِصَبْرِي

قانعاً من أليم عَيْشِي بالذِّكْرِ.....رَى أدَاوِي مَرِيرَهَا بِالْأَمْرِ
فَإِذَا مَا سَمِعْتَ يَوْماً بِمَوْتِي فَاتَّبِعِينِي إِلَى سَحِيقِ مَقَرِّي
وَإِذَا فِي دَمْعَةٍ عَلَى جَسَدِي الْهَاسِ.....مِدْ ، تَنَادَى لَهَا جَوَانِبُ قَبْرِي
وَتَنَاسَى نِهَائَتِي ، أَهْمِلِيهَا فَهِيَ لَا تَسْتَحِقُّ لَفْتَةً فِكْرِي



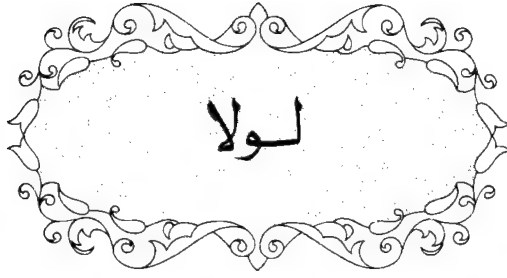


إِنَّ وَجَّاً ، وَسَامَحَ اللَّهُ وَجَّاً لَمْ يَدْعُ لِي ، إِلَى السَّلَامَةِ نَهَجَا^(١)
كَانَ لَيْلِي بِهِ مَسِيلاً مِنَ النُّو..... ر يُعْشِي جَوَانِبَ الْعَيْشِ وَهَجَا
فَأَنَا الْيَوْمَ بَعْدَهُ فِي ظِلَامٍ أَنْتَجِيهِ وَغَرّاً ، وَأَطْوِيهِ لُجَّاً
بَيْنَ قَيْدَيْنِ .. بَيْنَ ضَيْقٍ وَعَجَزٍ كُلَّمَا قَرَّتِ الْمَوَاجِعُ لَجَّاً
يَا رِمَالِ الْوَادِي الْحَبِيبِ ، تَنَاسَى..... تِ طَوِيلاً هَذَا الْعَلِيلَ الْمُسَجَّى !
إِنَّهُ جَارُكَ الْقَدِيمُ وَنَجَّوَا..... هُ لِعَهْدٍ مِنَ الْوَفَاءِ مُرَجَّى
أَطَلَقْتُ ذِكْرِيَّاهُ دَمْعَ عَيْنِي بِالَّذِي سَرَّ فِي هَوَاكَ وَأَشْجَى
أَثَرَانِي إِلَيْكَ أَسْتَقْبِلُ الْفَجْـ..... رَ مَلَاذاً بَعْدَ وَتَيْكَ وَمَنْجَى^(٢) ؟
كَذَبَ الْعَيْشُ بَعْدَ يَوْمِكَ يَا وَجَّ..... مَرِيرّاً ، وَالْعُمُرُ بَعْدَكَ فِجَّاً

★ ★ ★

(١) وَجَّ : وادٍ بالطائف .

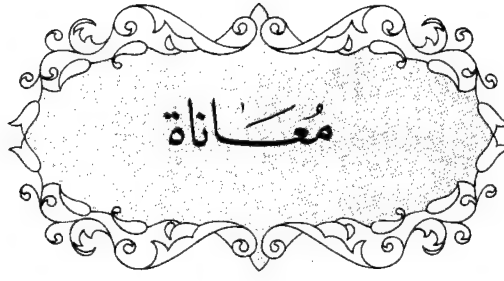
(٢) الْعَذْوَةُ : المكان المرتفع ، شاطئ الوادي وجانبه .



لولا تكونُ على الخطارِ مُعَفِّي
وقضيتُ للشَّوقِ القديمِ لُبَّائَةً
ونشرتُ ما طَوَّتِ الظُّنُونُ بِسالفِ
فَعَلَامَ يأخذُ ذو العَلِيلِ فَوادَه
والحُسْنُ مَطْوِيٌّ الشُّعُورِ على هَوَى
والعِيشُ نُهْبَةً نَاهِبٍ مُتَحَيِّفِ
والجِدُّ وَثْبَةً غَارِمٍ مُتَعَسِّفِ
جُهدُ النفوسِ فَمَنْ حَمَى بِقُطُوبِهِ
لَرَكِبْتُ فِيكَ ضَلَالَةَ المُسْتَهْدِفِ^(١)
راضِ الزَّمانَ لها جِمَاحَ المُخْلِيفِ^(٢)
من عهدنا ، في حاضِرِ مُسْتَأْنِفِ
بأَحَرٍّ من لاظِي هَواهُ ، وأَعْنِفِ
عشاقِهِ في قسوةٍ ، وتَلَطُّفِ
كالعِيشِ مَطْلَبَ راعِي مُتَعَفِّفِ^(٣)
كالْحَبِّ حيلةً سالِكٍ متَلَطِّفِ
حقاً ، تَحَقَّرَ بِسَمَةِ المِزْلِفِ^(٤)

★ ★ ★

(١) الخطارُ : مفردة الخطر . ويجمع كذلك على أخطار - سبق شرحها - .
(٢) اللبائنة : الحاجة . راضٍ : ذلل .
(٣) المتحيف : غير عادل ، جائر .
(٤) تحقَّرَ : استحققر واستهان .



زَادَتْهُ فِي الْحُبِّ عُقْبَى أَمْرِهِ رَهَقَا عَانَ بِجَنَبِي يَهْفُو ثَائِرًا قَلَقَا ^(١)
 يَظِلُّ إِنْ ذَكَرَ الْمَاضِي وَفَتَّتَهُ غَصَّانَ رَاحَتُهُ أَنْ يَلْفِظَ الرَّمَقَا ^(٢)
 تُحْيِي خِيَالَاتُ مَاضِيهِ لَهُ صُورًا مَاتَتْ وَخَلَفَتْ الْآلَامَ وَالْحُرَقَا
 وَرُبَّ ذِكْرَى أَذَاقَتْ نَفْسَ بَاعِثُهَا وَيَلَا يُزْلِزِلُ عِزَمَ الْجِلْدِ وَالْخُلُقَا
 يَا قَلْبُ غَرَّكَ مِنْ مَاضِيكَ رَوْنُكُهُ وَأَنْ حَظَّكَ فِيهِ كَانَ مُؤْتَلَقَا
 وَأَنْ مَسْرَحَ لَذَاتِ الْهَوَى شَرَّعُ حَوَى الْحَيَاةَ مَدَى ضَمِّ الْهَوَى أَفْقَا
 وَأَنْ جَدْوَلَكَ السَّلْسَالَ مَطَّرِدُ عَلَى جِفَافِيهِ يَنْمُو الزَّهْرُ مَتْسِقَا ^(٣)
 يَلْقَاكَ بِالْوَرْدِ طَلْقًا مِنْ مَنَاهِلِهِ وَبِالْمَفَاتِنِ يَسْبِي سِحْرُهَا الْحَدَقَا
 رَفَّتْ عَلَيْهِ مَعَانِي الْحُسْنِ سَافِرَةً فَاقَتْ بِمَا ذَابَ مِنْ أَلْوَانِهَا الشَّقَقَا
 وَأَنْ مُحَرَّابَكَ الْقَدْسِي كُنْتُ بِهِ أَلْعَابِدَ الْفَرْدَ يَحْبُوكَ الرِّضَا عَدَقَا

(١) الرَّهَقُ : الظلم والسَّقم . عَانَ : اسم فاعل مشتق من الفعل : عَنَا يَعْنُو عَنَاءً : بمعنى تعب .

(٢) الرَّمَقُ : بقية الحياة .

(٣) جِفَافِيهِ : جانبيه . مفردهما جِفَاف .

تُقِيمُ فِيهِ فُرُوضَ الْحُبِّ خَاشِعَةً أَلْقَى عَلَيْهَا الْهَوَى مِنْ صِدْقِهِ أَلْقَا
 فَالْيَوْمَ نُوزِغَتْ فِي مَثْوَاكَ حُرْمَتَهُ وَعُدْتَ تَشْهَدُ مِنْ عُبَادِهِ فِرْقَا
 وَزَاخَمْتُكَ عَلَى أَرْكَانِهِ مُهَجِّجٌ عِبَادَةُ الْحُبِّ فِيهَا تَشْبُهُ الْمَلَقَا ^(١)
 وَالْمَاءُ ؟ لَا مَاءَ يَا قَلْبِي فَمَتَّ ظَمًا وَدَغَ مَدْنُسَهُ يَهْلِكُ بِهِ شَرِقَا ^(٢)



(١) الْمَلَقَ : الْوَدَّ وَاللَّطْفَ بِاللِّسَانِ لَا بِالْقَلْبِ .

(٢) الشَّرِيقَ : الْغَاصَّ .

لِمَ أَهْوَالُكَ؟

يا حبيبي ، يا مُلتقى السَّحَرِ والفِتْنَةِ..... ، يا غَالِبِي على أَمْرِ نَفْسِي !
لِمَ كَانَتْ - ولا أَسُومُكَ لَوْماً - قِسْمَتِي فِي هَوَاكَ قِسْمَةً وَكُسٍ؟^(١)
أَلَأَنِّي آثَرْتُ فِي حُبِّكَ الْقَا..... هِرَّ عِزِّي ، ذَهَبَتْ تَطْلُبُ نَفْسِي ؟
أَمْ لَأَنِّي ضَحِيَّةُ الْأَلَمِ الصَّا..... مِتْ أَطْوِي على المَوَاجِعِ جِسِّي ؟

* * *

لِمَ أَهْوَاكَ ؟ أَيُّهَا الْمُفْعِمُ النَّفْسِ..... ، شُجُوناً ، وَخَيْرَةً ، وَشَقَاءً ؟
أَلِحُسْنٍ ؟ فَالْحُسْنُ فِي الْبَدْرِ وَالزَّهْرِ..... رةً أُنْدَى وَقَعاً وَأَضْفَى رُوءَاءَ ؟
أَمْ لِمَعْنَى شَفَّتْ مَفَاتِيحُكَ الْعَذْبَةَ..... عَنْهُ ، فَكَادَ أَنْ يَتَرَاءَى ؟
فَالْمَعَانِي فِي الْكَوْنِ ، لَيْسَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ وَقفاً ، إِلَّا هَوًى ، وَادِّعَاءَ

* * *

وَالْمَعَانِي بِوَحْيِهَا ، وَمَدَى الْوَحْيِ..... عَمِيقٌ ، فِيمَا يَضُمُّ الْوُجُودُ
فَتَرَاهَا فِي قِطْعَةِ الْأَرْضِ وَالصَّخْرِ..... رةً ، شِعْراً لَمْ يُبْلِهِ التَّرْدِيدُ
وَتَرَاهَا فِي نَأْمَةِ الطَّيْرِ لِلطَّيْرِ..... رٍ نَشِيداً ، لَمْ يَجْرِ فِيهِ الْقَصِيدُ^(٢)
وَتَرَاهَا فِي لَفْتَةِ الطَّبِيِّ لِلطَّبِيِّ..... يةً ، سِحْراً يُبْدِي ، وَحِيناً يُعِيدُ

* * *

(١) الْوَكُسُ : الْغَيْنُ ، الْخَسَارَةُ .

(٢) النَّأْمَةُ : الصَّوْتُ الضَّعِيفُ ، النِّعْمَةُ .

وَتَرَاهَا فِيمَا تَرَى مِنْ جَمِيلٍ وَقَبِيحٍ ، وَهَيِّنٍ ، وَعَظِيمٍ
صُورًا حَيَّةً يَنَاجِيكَ مِنْهَا أَلْفُ وَجْهِ مِنْ كَالِحٍ وَوَسِيمٍ
كُلُّ وَجْهِ دُنْيَا بِتَارِيخِهِ النَّاسِ..... بِضٍ ، تَصْبَى بِحَادِثٍ وَقَدِيمٍ
وَفَضَاءٍ لَا يَعْرِفُ الْحَدَّ ، وَالْقَيْدَ..... وَلَا وَغْرَةَ الضَّنَى وَالسُّهُومِ^(١)

* * *

أَمْ لِحُسْنٍ ، وَالْحُسْنُ فِي الْبُرْعِمِ الْمَكِّ..... مُومٌ ، لُطْفٌ يَسْرِي ، وَرُوحٌ يَرِفُ
وَهُوَ فِي مَوْلِدِ الرَّيِّعِ حَيَاةً تَتَصَبَّى ، وَفَنَّةٌ تَسْتَخِفُ
وَهُوَ فِي لَفْتَةِ الْخَرِيفِ وَدَاغٍ وَدَمَوْعٌ ثَّرَارَةٌ ، مَا تَجِفُ
وَهُوَ فِي غُزْلَةِ الشِّتَاءِ انْقِبَاضٌ وَصُمُوتٌ ، يُعِدِّي الْمَشَاعَرَ - وَخَفُ^(٢)

* * *

وَهُوَ فِي وَقْدَةِ الظَّهيرةِ شَكْوَى مُرْهَقٌ ضَاقَ بِالظَّهيرةِ ذَرْعَا
وَهُوَ فِي هَمْسَةِ الْجَدَاوِلِ لَحْنٌ طَابَ فِي مَسْمَعِ الطَّبِيعَةِ وَقَعَا
وَهُوَ فِي مُلْتَقَى الزُّهُورِ حَدِيثٌ لَمْ تُضَيِّعْ لَهُ النَّسَائِمُ رَجْعَا
وَهُوَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ جَمَالٌ يَتَفَشَّى هَوًى ، وَيَنْسَابُ لَمْعَا

* * *

أَلْهَذَا أَهْوَاكَ ؟ يَا مُثْقَلَ الْقَلْبِ..... بِبِهِمْ مِنْ الشَّقَاءِ طَوِيلٌ ؟
أَمْ لَذَلٍّ أَذَقْتَنِي مِنْهُ مَا أَظْ..... مَا رُوحِي عَلَى رِوَاءِ مَخِيلٍ؟^(٣)

(١) الوغرة : شدة توقد الحر . الضنى : المرض ، السقام ، الهزال الشديد . السهوم : من سهم يسهم وسهم

يسهم : أصابه حر السموم فتغير لونه .

(٢) الصموت : والصمت بمعنى واحد ، عدم النطق .

(٣) الرّوَاء : الكثير المروي .

أَمْ لِهَذَا الْفَتُونِ يَرَوِي بِهِ غَيًّا.....رِي غَلًّا ، وَمَا يُبْلُ غَلِيلِي؟^(١)
أَمْ لَجَهْلٍ عَرَفْتُ سِيَمَاءَهُ فِـ.....كَ ، وَشَأْنٍ مِنَ الذِّكَاكِ ضَعِيلٍ ؟

* * *

أَتُرَانِي أَهْوَاكَ حَقًّا ؟ فَمَا فِـ.....كَ لِمَثْلِي مَعْنَى يُمَارِجُ حِسِّي ؟
أَمْ تَرَانِي أَهْوَاكَ زُورًا ؟ فَلِمَ يُصْبِحُ.....حُ قَلْبِي عَلَى هَوَاكَ وَيُـمَسِّي ؟
أَمْ تَرَانِي أَحِبُّ فَيْكَ - وَمَا أَشْـ.....عُر - نَفْسِي ، وَأَنْتَ عِنْدِي كَنَفْسِي ؟
لَأَنَا مِنْكَ فِي سَبِيلٍ مِنَ الْحَيَـ.....رَةِ تُضْنِي عَقْلِي ، وَتُثْقِلُ حَدْسِي^(٢)

* * *

لَسْتَ تَدْرِي ! نَعَمْ ، وَلَا أَنَا أَدْرِي لِمَ تَهْفُو إِلَى لِقَائِكَ رُوحِي ؟
وَلِمَاذَا أَكْـ.....وُنُ فَيْكَ ، كَمَا تَرِـ.....سُفُ فِي السَّجَنِ ، فَكْرَةُ الْمَكْبُوحِ ؟
وَلِمَاذَا أَكُونُ إِنْ غَبْتَ فِي دُنْـ.....يَا سَوَّومٍ ، جَمُّ الْكُرُوبِ ، طَلِيحِ ؟
فَإِذَا لُحْتُ أَشْرَقْتُ ، وَتَلَقَّـ.....نِي بِوَجْهِهِ طَلَقَ الْحَيَا صَبِيحِ

* * *

لَسْتُ أَهْوَاكَ - لَا هَوَيْتُكَ - لِلْحُسْنِ.....نِ ، فَهَلْ فَيْكَ غَيْرُ حُسْنِ عَلِيلِ ؟
لَا وَلَا لِلشَّبَابِ ، وَالْعُمُرِ الْعَـ.....ضِ ، فَعُمُرُ الشَّبَابِ غَيْرُ طَوِيلِ
لَا وَلَا لِلشَّعُورِ أَوْ لِحَةِ الْحُسْنِ.....نِ ، هُمَا فَيْكَ مِثْلُ رَسْمِ مُجِيلِ^(٣)
وَمَجَالُ الْحَيَاةِ أَحْفَلُ بِالْحُسْنِ.....نِ ، وَلَكِنَّهُ شَقَاءُ الْعُقُولِ

* * *

(١) الغُلّ والغليل : أشد العطش .

(٢) الحَدْسُ : الظن والتخمين .

(٣) المَحِيل : من حال لونه إذا تغير . والمَحِيل : الذي أتت عليه أحوال وغيرته .

أَنْتَ فِي فِكْرَتِي عَنَاءٌ وَقَيْدٌ وَبِقَلْبِي أَسَى يَلِظُ شُعُورِي^(١)
يَسِمُ النَّاسُ لِلْحَيَاةِ وَأُغْضِي دُونَ غَايَاتٍ لَهْوَهُمْ كَالْأَسِيرِ
حَالُ حُسْنِ الْحَيَاةِ وَالنُّورِ فِي عَيْنِي.....نِي ، فَنَفْسِي تَهِيمُ فِي دَيْجُورِ
وَأَرَانِي أَسْتَرْوِحُ النُّسْمَةَ الْحَيَّةَ.....رَى ، وَجَدَّوَاكَ لِي كَجَدَّوَى الْهَجِيرِ

* * *

أَيَّ حَالِكَ أَشْتَكِي ؟ أَنْتَ فِي الْقُرْبِ ، وَفِي الْبُعْدِ مَطْمَعٌ مَمْطُولُ ؟
وَكَمْ ارْتَحْتُ لِي بِجَمَلَةٍ مَا فِي.....كَ ، فَلَمْ يَرَوْ لِي عَلَيْهِ غَلِيلُ !
أَوْرَاءَ السَّمَاتِ مِنْ حُسْنِكَ الذَّا.....بِلِ ، وَرَدَّ بِنَا أَرِيدَ حَفِيلُ !
لَسْتُ أَدْرِي ، أَذَاكَ مِنْ صُنْعٍ وَهْمِي فَيْكَ أَمْ أَنَّهُ جَمَالُ أَصِيلُ ؟

* * *

لَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ عَبِيرًا ضَلَّ مَسْرَاهُ ، فِي جَوَانِبِ صَدْرِكَ
أَوْ دَمًا شَفَّ فِي عُروْقِكَ عَنْ سِي.....رُ مَعَانِيكَ ، فِي مِفَاتِنِ سِحْرِكَ
أَوْ خِيَالًا يَجُولُ فِي قَلْبِكَ السَّا.....ذَجْ ، قَرَّتْ فِيهِ حَقِيقَةُ أَمْرِكَ
أَوْ كَلَامًا يَدُورُ فِي فَيْكَ سَكْ.....رَانَ ، أَطَافَتْ بِهِ حَلَاوَةُ ثَغْرِكَ

* * *

لَأَرَى مَا الَّذِي يُتِمُّنِي فِي.....كَ ، وَأَلْقَاكَ خَلْفَ هَذَا الْحِجَابِ
فَأَنَا ظَامِيٌّ إِلَى كُنْهِ مَا فِي.....كَ - فَمَا أَرْضِي فُضُولَ الشَّرَابِ
لَسْتُ بِالْمُسْتَرِيحِ فَيْكَ إِلَى الْغَا.....يَةِ ، لَوْ نِلْتُ مِنْ مُنَايَ طِلَابِي
ذَاكَ ظَنِّي ، لَكُنْهَا ضَلَّةُ الْحُ.....بِّ ، تَرِينِي ضَحْلَ الْهُوَى كَالْعُبابِ

* * *

(١) يَلِظُ : يَلْزَمُ وَلَا يَفَارِقُ .

فَتَكْشَفُ عَمَّا انْطَوَيْتَ عَلَيْهِ لِأَرَى فِي هَوَاكَ نَهْجَ الصَّوَابِ
فَأَنَا مِنْكَ فِي بَلَاءٍ أَغَانِيهِ.....هَ ، وَلَوْ نِ مِنَ الْمَعِيشَةِ كَلْبِي
وَجَهَادٍ ضَاقَتْ بِهِ النَّفْسُ ذَرْعاً وَصَعَابِ مَوْصُولَةٍ بِصَعَابِ
أَنْتَ دَانٍ ، لَكِنْ (مَا فِيكَ) نَاءٍ وَسَبِيلُ الْحَيَاةِ دُونَكَ نَائِي

* * *

أَنْصِييَ مِنَ الْهَوَى هَذِهِ الْوَقْ.....دَةُ ، يَشْقَى بِهَا فُؤَادِي اللَّهَيْفُ ؟
أَفَأَنْتَ الْجَانِي عَلَيَّ وَإِلَّا هُوَ فِكْرِي الظَّامِي وَحْسِي الْعَطُوفُ ؟
وَمَا فِيكَ ثَائِرَانِ عَفِيفَا.....نِ كَمَا ثَارَ فِي الْقِيُودِ الرَّسِيفُ
طَلَبَا فِيكَ مَا أَضْلَاهُ مِنْ حُلْ.....مِ (وَمَا فِيكَ) ظَاهِرٌ مَكْشُوفُ

* * *

وَكَذَا يَطْلُبُ الْخَيَالُ الْأَمَانِي وَهُوَ عَنِ وَاقِعِ الْحَيَاةِ عَزُوفُ
وَالْهَوَى - كَالْحَيَاةِ - قَدْ يَبْلُغُ الْجَا.....رِمُ مِنْهَا ، مَا لَا يَنَالُ الْعَفِيفُ
رُبَّ نَفْسٍ نَالَتْ مُنَاهَا عَلَى الْعَيْ.....شِ ، وَأُخْرَى نَصِيحُهَا التَّسْوِيفُ
وَهِيَ دُنْيَا الشُّذُوزِ يَرْتَفِعُ الْجَا.....هَلُ فِيهَا ، وَيُسْتَذَلُّ الْحَصِيفُ

★ ★ ★



وداع

وداعٌ ، وهل لي أن أقول : إلى لُقي
وفرحة نفسي ، فارقتها ، وأدبرت
ودنيا هوى طلقٍ يُصيبُ به الهوى
أشاحت ، ولم ترعَ الذمام ، ولو رعت

وبُعدٌ ، ومن لي أن أراه تمزقاً ؟
وكان بها روضُ المسرة مونيماً
طلابُ مناه ، كيفما شاء مُطلقاً
لأبقت على قلبي الكليم ترفقاً

* * *

فيا حسنُ ما أقسى احتكامك إن هفا
ويا ليلَ سامرني على السُّهد والجوى
وعُدني إلى الماضي القريب ، وإن غدا
فقدت وإيّاك العزاء ، فمن لنا

بك الزهو لم تحفل لعانيك موثقاً !
فما زلت ألقاك السَّيمير الموفقاً
بعيداً وإن أذكى الشعور مرهقاً
به غير أن يشكو كلانا ويأرقاً

* * *

حنائيك حدّثني ، ولا تُخفِ ما وشى
وقُل : كنتُ أهواه هواءك ، ألم تكنُ
تُيسرُ بها أفراحه ، وشُجْوَه
أما كانَ بدرأ فاق بدرك بهجّة

به صمتك الآسي هوى مُتدفقاً
تُنافسه نجواك ، غير أن شيقاً ؟
وأعمق ما يخفى إذا همّ وائقى
أما كانَ أُنسى منه ، وجهاً ومفرقاً^(١)

(١) المفرق : من الرأس ، حيث يُفرق الشعر .

أَبَاحْتَهُ دُنْيَاهُ مَفَاتِنَ حُسْنِهَا
رَوَيْنَا بِهِ يَا لَيْلُ ، وَالذَّهْرُ غَافِلٌ
تَعَزَّزْ ، وَلَا تَضْنُكَ بِيَعِيدِ أَرَادَهُ

وَحَابَّتُهُ بِالْأَعْلَاقِ فَاخْتَارَ وَانْتَقَى^(١)
كَرِيمٌ دَوَاعِي النَّفْسِ أَعْطَى فَأَغْدَقَا
فَإِنْ كَانَ قَدْ أَظْمَأَ فَيَا طَالَمَا سَقَى^(٢)

* * *

وَيَا قَلْبُ إِنْ يَعْصِفُ بِكَ الْحُزْنُ فَاتَّيِدْ
وَحِظْكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا سَنَحَتْ بِهِ
فَقَدْ تُخْلِفُ الْآمَالَ سَحْبٌ رَوِيَّةٌ
فَيَا لِلْعَدِ الْمَرْجُوِّ هَلْ أَنْتَ مُقْبِلٌ
وَهَلْ يَدْنِي النَّائِي وَيَصْفُو بِهِ الْهَوَى

فَكَمْ ضَاعَ مَسْعَى الْقُلُوبِ وَأُخْفَقَا
فَدُونُوكُهُ صَفْواً أُنَى ، أَوْ مُرْتَقَا^(٣)
وَتُنْجِزُهَا أَخْفَى السَّحَابِ رَوْنَقَا
فَأَلْقَاكَ بِالْآمَالِ أَمْ لَيْسَ مُلْتَقَى ؟
كَمَا كَانَ ؟ أَمْ يَبْقَى الرَّجَاءُ مُعْلَقَا ؟

* * *

حَبِيبِي ، أَلَا عَادَتْ بِكَ الصَّبَوَةُ الَّتِي
تَقُولُ - وَلَا أَنْسِيْتُ - أَهْوَاكَ شَاعِراً
وَأَهْوَاكَ نَفَاساً لِسَحَرِكَ فِي دَمِي
وَتُقْسِمُ ، وَالْأَقْسَامُ مِنْ فَيْكِ بَرَّةٌ
فَصِدْقُكَ غَيْرُ الصَّدَقِ فِي وَزْنِ أَهْلِهِ
وَأَعْرِفُ أَنَّ الصَّدَقَ فَيْكِ حَقِيقَةً
تَشَاكَلُ رَأْيَانَا ، كِلَانَا لِنَفْسِهِ

تُخَالِسُنِي عَنْهَا الْكَلَامَ الْمُنَمَّقَا ؟
إِذَا قَالَ بَزَّ الْقَائِلِينَ وَحَلَقَا
وَفَكْرِي ، وَأَهْوَاكَ الْكَذُوبَ الْمُصَدَّقَا
وَيَأْبَى لِنَفْسِي كِبْرَهَا أَنْ أَصَدَّقَا
وَهِيَاهُ ، إِنَّ الْفَنَّ أَصْعَبُ مُرْتَقَى
وَلَوْ كَانَ مَا تُزْجِيهِ زُوراً مُلَفَّقَا
هَوَى ، وَلِكُلِّ فِي الْهَوَى مَا تَذَوَّقَا

* * *

(١) الأَعْلَاق : مفردهما : علق وهو النفيس من كل شيء يتعلق به القلب .

(٢) تَضْنُكَ : من ضَنكَ : ضعف جسماً أو عقلاً .

(٣) مُرْتَقَا : من رَتَقَ إِذَا سَدَّ أَوْ لَحَمَ وَأَصْلَحَ .

وغيبت ، فهلاً عُدتْ إن كنت صادقاً
أبعداً وقلبي من دُؤوك ما ارتوى
اللشّاطىء المهجور بَعدي فتنة
إذ الحقل يلقانا فتعروه نشوة
وإذ نسماث الحقل تَسْتَرِقُ الخطى
و (ليلك) يَغْشَانَا بِالْوَانِ سِحْرِهِ
أَحَبُّكَ مِثْلِي ، فارتَضَيْتُ وِدَادَهُ
أعانَ على البلوى ، كما شاطر الهوى

فإني كمهدي فطرةً وتخلّقا ؟
ودمعي على أعقاب هجرِكَ مارقاً ؟
وهل فيه سلوى عن مُقامِكَ بالنّقا ؟
وجدّولُه المنسابُ يَهفو مُصَفِّقا
إليك فللقاها ، أرقّ وأرشفّا
ويُصغِي إلى سِرِّ الحبيبتين مُطْرِقا
وما زال أوفى منك عهداً وأصدقاً
وودّعتْ لم تعطف ، وسلّى وأشفّقا

* * *

لقد كنتَ معنى الحُسنِ في الحَقْلِ والدُّجَى
وتأله ما أدعوك للحُبِّ والجَنَى
ويا بحرُ هل أدعوك للشمسِ مغرباً
وفي النّسمَةِ الحَيْرِ وفي المَاءِ رَيِّقا
ولكنني أهواك للطُّهرِ والتَّقَى
وقد كنتَ للشمسِ الحبيبةَ مشرقاً ؟

★ ★ ★

فِي دُرُوبِ الْهَوَىٰ

أَمَّا الْهَوَىٰ فَلَقَدْ وُلِدَتْ بِبَابِهِ
وَوَعَيْتُ مَا عَانَيْتُ مِنْ أَسْرَارِهِ
وَقَطَعْتُ تَيْهَ سُرَاهُ طَوْرًا أَنْتَشِي
ظَمَانَ أَرْتَقِبُ الْحَقِيقَةَ مَوْردًا
فَإِذَا الْهَوَىٰ ؛ وَإِذَا الْحَقِيقَةُ فِي الْهَوَىٰ
أَتَرَى الْجَمَالَ سِوَى حَبَائِلِ دَعْوَةٍ
هُوَ مِنْهُجُ الْأَحْيَاءِ عَبْرَ حَيَاتِهِمْ
وَلَقَدْ تُطَالِعُكَ النَّفُوسُ بَعِيرٍ مَا
فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْهَجِيرِ وَلَا تَهْنُ
تَجْرِي بِنَا الْأَيَّامُ عَائِرَةُ الْخُطَى
نَسْعَى .. وَكَمْ نَسْعَى وَرَاءَ ضَلَالَةٍ
أَمَلْتُ تَفْيِضُ لَهُ النَّفُوسُ بِشَاشَةٍ
لَيْتَ الْخَيَالَ وَفَى بِمَا هَامَتْ بِهِ

وَأَحْذَتْ مَلَأَ يَدَيَّ مِنْ أَسْبَابِهِ
مِمَّا يَضُنُّ بِهِ وَرَاءَ حِجَابِهِ
فِي حَانِهِ ، وَأُنَيْبُ فِي مِحْرَابِهِ ^(١)
لَمَّا أَرُلَ مُتَعَلِّقًا بِطِلَابِهِ
هَتَّانِ تَنْدَسَانِ فِي آرَابِهِ ^(٢)
عَصَفَتْ بِخَامِلِ صَيْدِهَا وَالتَّابِ
سَيَّانٍ رَاكِبُ صَخْرِهِ وَتَرَابِهِ
طُبِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَذَى وَكِذَابِهِ
فَلَقَدْ تُصِيبُ الْمَاءَ خَلْفَ سَرَابِهِ ^(٣)
أُسْرَى الضِّيَاعِ نَهِيمٌ بَيْنَ شَقَائِهِ
مِمَّا يُبْتُ الْوَهْمُ بَيْنَ ضَبَابِهِ
فَتَفْيِضُ يَأْسًا بَعْدَ خَوْضِ عُبابِهِ
مُهَجِّجٌ نَجُودُهَا عَلَى أَبْوَابِهِ

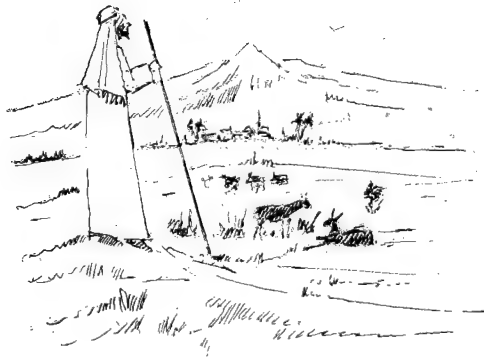
(١) السُّرَى : سَيْرُ عَامَةِ اللَّيْلِ . أُنَيْبُ : مَنْ أُنَابَ : رَجَعَ ، وَأُنَابَ إِلَى اللَّهِ : تَابَ وَرَجَعَ .

(٢) الْهَتَّةُ : مُؤْنَتُ الْهَنْ ، وَالْجَمْعُ : هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، وَهِيَ الشَّرُورُ وَالْفَسَادُ .

(٣) وَلَا تَهْنُ : وَلَا تَذَلْ ، مِنْ هَانَ يَهُونُ إِذْ ذَلَّ .

يا لَيْلُ كَمْ نَطْوِي الجِرَاحَ على الأذى
 يا لَيْلُ ضاقَ الصَّبْرُ من طُولِ السُّرى
 حَتَّامَ نَقْضِي في مَعَابِرِ تَيْهِهِ
 راحَ الشَّبَابُ بنا إلى غاياته
 شِخْنا وما شاخَ الزَّمانُ ، وما لنا
 وتناهَبَ السَّاعونَ كُلُّ ذَمِيمَةٍ
 ضاقَ المَجالُ بنا على سَعَةٍ بهِ
 وَنَذوبُ في بَرَجِ الأَسَى ومُصابِهِ
 بالصَّابِرِينَ تَلَفُّعُوا بِسَحَابِهِ
 وإِلَامَ نَمْضِي في تَجَرُّعِ صَابِهِ؟^(١)
 صَرَعى لِتُوْذِنَ بانْطِواءِ كِتابِهِ
 من شائِخٍ نرجُوهُ عندَ شَبابِهِ
 للعَيشِ مُرتَكِسا على أَعقابِهِ
 وتَعَجَّلَ الحُذَّاقُ نَهَبَ رِحابِهِ

جدة : ١٣٨٤/٥/١٤ هـ

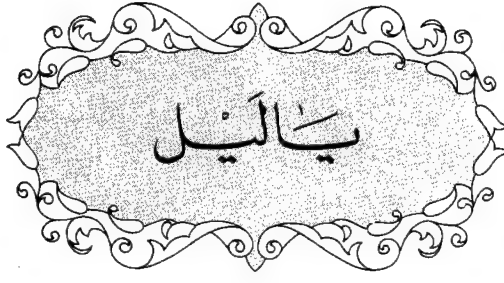


(١) الصَّابُ : شدة المِراة .

صَمْتُ الْحَزِينِ

لَعَبْتُ لَوْ أَجَدَى الْعِتَابُ وَإِنَّمَا
وَصَرَفْتُ نَفْسِي ، لَوْ أَطَقْتُ ، عَنْ الْهَوَى
تَأْتِي فَنَاءُكَ حَيْثُ أَنْتَ بِمَهْجَتِي
أَنَا مَنْ أَضَاعَكَ مُسْتَرِيئاً سَاخِطاً
وَالْيَوْمَ يَسْتَذْنِيكَ مَلْتَهَبَ الْحَشَا
مَاذَا ؟ أَيَطْوِيكَ السَّقَامُ غَرِيبَةً
وَيُظِلُّ يَسْمَعُ عَنْ أَسَاكَ لِفَعْلِهِ
أَعَزَّزَ بَعْضَبَتِكَ الْحَبِيبَةِ إِنَّهَا
كَانَتْ ضَلَالَةً نَائِرٍ أخرجته
حَتَّى تَأَلَّفَهُ ضَنَّاكَ وَقَادَهُ
فَإِذَا هَفَوْتُ إِلَيْكَ بَعْدَ تَمْنُّعٍ
قَالُوا : صَمْتُ ، وَتِلْكَ مِنْكَ بِلَاغَةٌ
أَفَكُنْتَ آيَةً الْكَلَامِ تَكْبُراً
فَلَقَدْ بَلَغْتَ بِصَمْتِ حُزْنِكَ غَايَةً

صَمْتُ الْحَزِينِ تَعَثَّبُ وَخِطَابُ
وَهَوَانِهِ لَكُنْهَ الْآرَابُ
رَمَزُ الْبَقَاءِ وَسِحْرُهُ الْخَلَابُ
وَقَسَا عَلَيْكَ إِذِ الْقُلُوبُ غَضَابُ
وَحَيْنُهُ لَكَ لَوْ قَدَرْتَ مَتَابُ
عَنْهُ وَأَنْتَ لَهُ مُنَى وَطِلَابُ ؟
بِكَ مَا يُسَاءُ بِذِكْرِهِ وَيُعَابُ ؟
لِعُزُوفِ قَلْبِي عَنْ هَوَاكِ عِقَابُ
فَنَائِي ، بِأَنَّ مُنَاهُ فِيكَ كِذَابُ
مَاضِيكَ وَهُوَ الْقَاهِرُ الْعَلَابُ
فَبِمَا أَصَابَكَ فِيَّ وَهُوَ عُجَابُ
سَلَّتْ سَخِيمَةً مَهْجَتِي ، وَعِتَابُ
أَمْ كَانَ يَمْنَعُكَ الْكَلَامَ مُصَابُ ؟
مِنْ دُونِهَا الْإِيْجَازُ وَالْإِطْنَابُ



يا لَيْلُ طُلْتَ ، أَضَلَّ نَجْمٌ.....مُكَ أَمْ تَرَيْتَهُ الْقَدْرَ ؟
رُحْمَاكَ سِرٌّ ، فَالْكَرْبُ أَثْنٌ.....قَلْنِي وَعَذَّبْنِي السَّهَرُ
قَدْ كُنْتُ آتِسُ فَيْكَ بِال.....قَمَرِ الْمُنِيرِ وَبِالنَّجُومِ
مُفْتَرَّةً ، خَفَاقَةً.....وَالْآنَ يَغْمُرُهَا الْوُجُومُ
وَالْبَدْرُ لَيْسَ كَعَهْدِهِ
وَاهَاً لِمَاضِي عَهْدِهِ

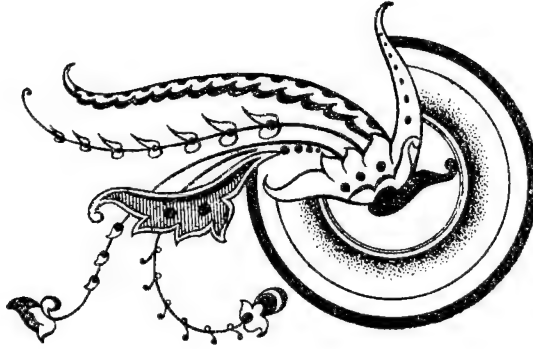
يا لَيْلُ حُلْتَ ، وَغَاضَ بِشَىءٍ.....رُكَ وَاسْتَحَالَ إِلَى قُطُوبِ
هِيَاثٍ ، لَسْتُ كَمَا عَرَفْتُكَ تَسْتِثِيرُ هَوَى الْقُلُوبِ
بِرُوءَاءِ بَدْرِكَ أَوْ نَسِي.....مِ عَلِيكَ الْمَتَرَقِّقِ (١)
وَجَمَالِ وَحْيِكَ أَوْ رَسِي.....لِ خِيَالِكَ الْمَتَدَفِّقِ
يُرَوِّى بِهِ زَهْرُ الشَّبَابِ
وَقَدْ ذَوَى زَهْرُ الشَّبَابِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ تَلَفَّ.....تَ حِينَ وَدَّعَ أَوْ مَضَى ؟
مُسْتَحِقِّراً شَأْنَ الشَّبَابِ.....بِ الْمُسْلِمِيهِ إِلَى الْقَضَا

(١) لَعَلَّهُ يَرِيدُ « عَلِيلٌ نَسِيمٌ » فَوَهْمٌ فِي الْكِتَابَةِ .

الصَّاحِبِينَ إِذَا السَّلَامُ.....مَةُ جَلَّتْ بِرُوقِهَا
وَالنَّاكِلِينَ إِذَا الْكَرِيمُ.....هَةُ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا
يَتَكَلَّبُونَ عَلَى الْحَيَاةِ
وَمَوْتِهِمْ عَيْنُ الْحَيَاةِ

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيْنَ مَا.....وَعَدْتُ بِهِ أَقْوَالُهُ؟
هَلْ كَانَ وَقْتُ الْبَقَا.....صِيَاخُهُ وَصِيَالُهُ؟
أَو تِلْكَ ثَائِرَةُ الشَّبَابِ؟
أَفِ لِثَائِرَةِ الشَّبَابِ





يا بقايا الشُّعاعِ مِنْ أَلِقِ الشَّمْسِ تُحْيِي البِطَاحَ عِنْدَ الغُرُوبِ
أَنْتِ إِيمَاءَةُ المِجَبِّ بِشَكْوَاهُ تَجَلَّتْ عَنِ بَيْتِهِ لَحِيْبِ
لِغَةِ الصَّمْتِ ! هَلْ يُدَانِيكَ فِي الإِعْجَازِ قَوْلٌ مِنْ مُفْصِحٍ وَهَيَّوبِ ؟
مَا غَنَاءُ الكَلَامِ عَنِ لَهْفَةِ الأنْفَسِ فِي مَوْقِفِ الوَدَاعِ الرَّهِيْبِ ؟
رُبَّ صَمْتٍ أَدَّى ، وَصَوْرٍ ، عَنِ رُوحٍ لِرُوحٍ ، أَنْأَى خَفَايَا القُلُوبِ

* * *

فَاعْرِفِي يَا حَبِيْبَةَ الأَمْسِ أَنَّ الحُبَّ نَجْوَى ، وَنَشْوَةٌ ، وَشُعُورُ
وَخَيْنٌ إِلَى السَّكِينَةِ يَسْتَلْهِمُ أَلْحَانَهَا الحِجَابِي وَالضَّمْمِيرُ
لَا هِيَاماً مَقِيداً بِدَوَاعِيهِ ، وَقَوْلًا بِهِ اللِّسَانُ يَدُورُ
أَوْ غَلِيلاً يَرَى الرِّغَائِبَ وَرِثَاقاً يَسْتَوِي عِنْدَهُ التُّقَى وَالْفُجُورُ

* * *

إِنْطَوَى مَجْلِسُ الدُّجَى بِسَنَا الآمَالِ نَشْوَى وَلاَحِ صُبْحِ عُبُوسِ
وَإِخْتَفَى سَامِرُ الرُّوَى وَنَدَامَاهُ وَمَادَاتِ بَما تَحْسُ الرُّؤُوسُ
فَابْسِمِي بِسَمَةِ الوَدَاعِ ، فَهَلْ كَانَ ؟ لِيَبْقَى ؟ ذَاكَ الهَوَى وَالرَّسَيْسُ؟^(١)

(١) الرَّسَيْسُ : الثَّابِتُ ، وَالبَقِيَّةُ البَاقِيَةُ .

لا تقولي : أهواك ، قد فرغ الدُّن ، وطاحت بجانيه الكُؤوسُ
والهوى يا حبيبة الأُمسِ وهُم ، استرقت به النفوس النفوسُ

* * *

لا تقولي : أهواك . قد أيقظ الوعي فؤادي وأجاب عنه الخُمارُ
بل هبيني غمري المُردِي على صدرك تبكي شبابه الأوطارُ
وعلاائه ، وأحلامه فيك ، طواها ، وكم طوى التَّيارُ
وأعدي أُمسي ، وقد كنت في أُمسي دنيا ، يلفها إعصارُ
لم يكن لي فيها خيارُ فأسلمتُ حياتي ، وما لعاني خيارُ^(١)

* * *

لا تقولي : أهواك ، لم يُبق لي فيك خيالي ، وقد تحطَّم ، وهما
ذاك حُبُّ الزُّهور للجدول الحافِل رِيًّا ، كيلا تجف وتظما
منّة لا أطيّقها ، ونفاق عفته ، والهوى أعف وأسمى
هو رمزُ الفداء ، مفتقداً فيك عزاء ، وما أسومك ظلماً
وهو معنى الوفاء ، ترعاه أهواؤك إسماً ، وتجتويه مُسمًى

* * *

لا تقولي : أهواك ، إنَّ حياتي واقع قاتمُ الظلال مخوفُ
كان لي في الهوى ربيعٌ وولّى ، وتلاشت أصدائه والطُيوفُ
فأنا اليوم بين أطلال يأسٍ طلل للرياح فيه عزيفُ

(١) العاني : الأسير ، الذليل .

طَلَلُ مَوْحِشٍ أَنَاخَ بِهِ الْحُزْنُ وَأَرْسَى ، هَذَا الضَّبَّابُ الْكَثِيفُ
إِسْتَقَرَّتْ بِهِ رَغَائِبُ رُوحِي جُثْثاً مَثَّلَتْ بَيْنَ الصُّرُوفِ

* * *

الْهَوَى ، يَا حَبِيبَتِي ، قَدْ بَلَوْنَاهُ ، فَرَاخَتْ غَايَاتُنَا فِيهِ صَرَغَى
هُوَ نَارٌ وَقُودُهَا قُدْرَةُ الْحَيِّ ، عَلَى أَنْ يَظْلَلَ لِلنَّارِ مَرَعَى
وَالْمَوَدَّاتُ تَشْتَرِي الْجِدَّ بِالْهَزْلِ ، وَتُعْطِي وَثْراً لِنَأْخِذَ شَفْعاً^(١)
وَالْمَرْوَاتُ تَقْتَضِي بِمَسَاعِي الْجُودِ صَيْثاً - عَلَى الرِّبَاءِ - وَنَفْعاً
وَالْعِبَادَاتُ تَرْتَدِي مَظْهَرَ الْخَيْرِ عَلَى أَفْطَحِ الْمُنَاكِرِ دِرْعاً

* * *

لَا تَقُولِي : أَهْوَائِي ، إِنَّ بَعَيْنِيكَ حَنِيناً إِلَى دُفُوفِ الْغَابِ
وَلَأَنْفَاسِيكَ اللَّهْفِيفَةَ شَوْقاً يَتَلَطَّأُ ، إِلَى كُؤُوسِ الشَّرَابِ
أَنْتِ فِي مَطْلَبِ الطَّبِيعَةِ أَحْبَوْلَةٌ سِحْرِ مَنْصُوبَةٍ لِلشَّبَابِ
وَالْحُمَيَّا أَدَاةُ سُلْطَانِكَ الْقَاهِرِ يَسْطُو بِظُفْرِهِ وَالتَّابِ
فَدَعَيْ لِي بَقِيَّةً مِنْ كِيَانٍ وَاهِنٍ آدَهُ صِرَاعُ الْعُبَابِ

* * *

أَفْلَسْنَا ، وَالْحُبُّ مَطْلَبُ نَفْسَيْنَا ، غَرِيبَيْنِ فِي سَبِيلِ الْوَجُودِ ؟
جَمَعْتُنَا أَسْبَابُهُ مِثْلَمَا تَجْمَعُ ضِدَّيْنِ ، صَائِداً بِمَصِيدِ
فَمَضَيْنَا عَلَى هَوَى ، يُبْطِنُ الْغَايَةَ مِنْهُ ، بَيْنَ الظُّلَمَاءِ وَالْوُرُودِ
وَانْتَشَيْنَا - بَلِ انْتَشَيْتِ - فَقَدْ ضَاعَ نَصِيبي بَيْنَ الْأَسَى وَالْجُحُودِ

(١) الزَّوْر : الفرد من العدد ، وعكسه : الشُّفْع .

لا تقولي : أهواك ، فالحُبُّ قَيْدٌ ، ودواعي الحياة ضِدُّ القيودِ

* * *

إِذْهَبِي مَذْهَبَ الطَّبِيعَةِ ، لَا تَعْرِفُ إِلَّا غَايَتَهَا مِنْ سُرَاهَا
وَأَفْعَلِي فِعْلَهَا ، فَأَنْتِ صَدَى الدَّعْوَةِ مِنْهَا ، فِي عَهْرِهَا وَتُقَاهَا
إِنَّمَا أَنْتِ زَهْرَةٌ ذَاتُ عِطَرٍ ، نَمَّ عَنْ مَطْلَبِ الْوُجُودِ شَذَاهَا
وَسَوَاءٌ عِنْدَ الزُّهُورِ ، إِذَا رَفَّ سَنَاها ، مَنْ صَانَهَا أَوْ جَنَاها
لا تقولي : أهواك ، إِنَّ هَوَى الْأُنثَى خِدَاعٌ مُعَبَّرٌ عَنْ مُنَاهَا

* * *

هَدَرَ الْيَمُّ ، يَا حَبِيبَةَ أُمْسِي ، فَدَعِينِي أَدْفَعِ عَلَيْهِ شِرَاعِي
ضَاعَ عُثْمُرِي عَلَى الْمُنَى بَيْنَ مَاضٍ مُسْتَطَارٍ وَحَاضِرٍ مُتَدَاعِي
سَوْفَ أَمْضِي لَغَايَتِي مُتَخَنَ الصَّدْرِ ، وَأَطْوِي قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِي
غَايَةُ دَوْنَهَا الدُّنَى وَلُغُوبُ النَّفْسِ وَالْوَعْرُ وَاحْتِضَارُ الْمَسَاعِي^(١)
غَايَةُ الْيَأْسِ الَّذِي كَرِهَ الْعَيْشَ وَأَسْبَابَهُ بِذُنَا الْخِدَاعِ

* * *

لا تقولي : أهواك ، لَسْتُ بِسَكْرَانَ فَأَهْفُو ، أَبْعَدَ مَا جَفَّ كَرْمِي ؟
وَابْسِمِي بِسَمَةِ الْوَدَاعِ ، وَخَلِّينِي لِجُرْمِي ، فَقَدْ تَعَاظَمْتُ لِجُرْمِي
وَدَعِينِي عَلَى الطَّبِيعَةِ الْقَيِّ عَنْ فَوَادِي الطَّلِيحِ أَعْبَاءَ هَمِّي^(٢)
شَاكِياً مَا لَقِيتُ مِنْ عَنَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا ، إِنَّ الطَّبِيعَةَ أُمِّي

(١) اللغوب : التعب .

(٢) الطليح : المهزول والمجهود .

غاسلاً بالدموع ، بالنَّدَم الملتاع ، في ثَوْبَتِي جَرَّائِرَ إثمِي

* * *

لا تقولي : أخشى عليك العوادي ، أَيَّ شَيْءٍ أَبَقْتُ عَوادِيكَ مِنِّي ؟
وَكِلْنِي لَوَحْدَتِي فِي زَوَايَا الصَّمْتِ أُسْرِي عَلَى غِيَاهِبِ حُزْنِي
وَتَنَاسَى عَهْدِي البئيسَ ، فَإِنْ شَاقَكَ أَمْرِي فَسَائِلِي اللَّيْلَ عَنِّي
فَأَنَا فِيهِ قِطْعَةٌ مِنْ دِيَاغِيهِ ، عَدَاهَا عَنْ اليَقِينِ التَّظَنِّي
فَأَهْرُؤِي مِنْ نَهَائِيَةِ حَرَمِ الْمَاضِي عَلَيْهَا حَتَّى عَزَاءَ التَّمَنِّي

* * *

إِثْمَا أَنْتِ دُمِيَّةٌ مِنْ صَنِيعِ الْوَهْمِ فِيهَا أَوْ صُورَةٌ فِي إِطَارِ
لَا بِمَا تَبْغِي الْقُلُوبُ ، تَكْفَلْتِ ، وَلَكِنْ بِمُتْعَةِ الْأَنْظَارِ
مَنْ لِنَفْسِي بِالْوَهْمِ فِيكَ ، فَأَلْقَاكِ وَتَلَقَّيْنِي أَلْفَنِي قَرَارِ ؟
فَلَقَدْ طَالَ بِالْحَقَائِقِ لِلنَّاسِ افْتِقَادِي ، وَفِي الْحَيَاةِ عِثَارِي
وَيَ لَهَا مِنْ حَقَائِقِ زَلْزَلَتِ صَرَخَ خِيَالِي ، وَقَتَّلَتْ أَوْطَارِي

* * *

لا تقولي : أهواك ، لَسْتُ عَلَى صَحْرَاءِ حِسِّي اللَّلاظِي سِوَى ابْنِ سَبِيلِ
عَائِرِ الْحِظِّ ، وَالْخُطَى ، يَخْبِطُ الْوَعَرَ بَوَعِرٍ ، مِنْ يَأْسِهِ وَالْعَلِيلِ
مَالُهُ غَايَةٌ ، وَمَا غَايَةُ الْحَيْرَانِ تَجْرِي بَيْنَ السُّرَى وَالْقُفُولِ ؟
وَالْهَوَى ، يَا حَبِيبَةَ الْأَمْسِ ، لَا يَحْيَا عَلَى جَفْوَةِ الْمُنَى وَالذُّبُولِ
فَانشُدِي الْحُبَّ فِي الْمَشَاعِرِ نَارًا لَا مِثْلًا مُصَوَّرًا فِي الْعُقُولِ

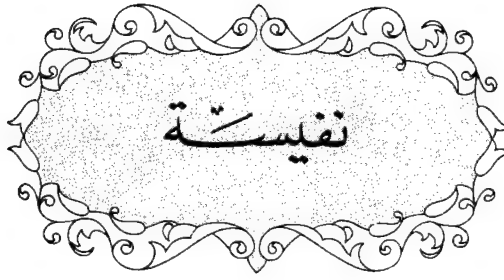
* * *

تَعِسَ الْعَقْلُ إِنَّهُ خَانَقُ الْفَرَحَةِ فِي النَّفْسِ يَتَّقِي عُقْبَاهَا
فَهُوَ لِلْحِسِّ وَالْمَشَاعِرِ قَيْدٌ ، شَلٌّ أَحْلَامُهَا ، وَعَاقَ رُؤَاهَا
طَالَمَا هَامَ بِالْمَوَارِدِ ظَمَانٌ ، فَلَمَّا وَاتَى الْوُرُودُ أَبَاهَا
صَدَّه عَنْ حِيَاظِهَا هَذَرُ الْعَايَةِ فِيمَا اسْتَشَفَّ مِنْ مَعْنَاهَا ^(١)
تَعِسَ الْعَقْلُ هَائِمًا بِالنِّهَايَاتِ يَرَاهَا حِسُّ النَّفْسِ سَفَاهَا ^(٢)



(١) الهَذَرُ : ترديد الصوت والكلام .

(٢) السَّفَاهُ : الجهل والبطش .



أَلِهْمْتُ - وَالْحُبُّ وَحْيٌ - يَوْمَ لُقْيَاكِ
 مِنْ أَيْنَ يَا أَفْقِي السَّامِي طَلَعَتْ بِهَا
 كَانَتْ بِنَفْسِي - وَقَدْ طَالَ الْمَدَى حُلُمًا
 لَمْ أَشْهَدْ الْحُسْنَ يَبْدُو قَبْلَ مَوْلِدِهَا
 حَتَّى بَرَزَتْ بِهِ فِي ظِلِّ مَعْجَزَةٍ
 وَنَفْحَةٍ مِنْ غَيْرِ الْغَيْبِ تُرْسَلُهَا
 وَنِعْمَةٌ مِنْ أَغَانِي الْخُلْدِ وَقَعَهَا
 سَمَا الْخِيَالُ بِهَا تَشْوَانٌ مَنْطَلِقًا
 دُنْيَا الْهَوَى وَالْمُنَى ، تَرَوِي مِفَاتِنَهَا

رِسَالَةَ الْحُسْنِ ، فَاضَتْ مِنْ مُحْيَاكِ
 حَقِيقَةً مَا اجْتَلَاهَا النُّورُ لَوْلَاكِ ؟
 فَصَوَّرْتُهُ لِعَيْنِي الْيَوْمَ عَيْنَاكِ
 إِلَّا صِنَاعَةً أَصْبَاغُ وَأَشْرَاكِ
 يُضَاعِفُ الصَّدْقُ مَعْنَاهَا بِمَعْنَاكِ
 لِلْحَالِمِينَ بِسِرِّ الْغَيْبِ رِيَاكِ
 لِمُهِجَتِي طَرْفُكِ السَّاجِي وَعِطْفَاكِ
 مِنْ أَسْرِ دُنْيَاهُ مَشْغُوفًا بِدُنْيَاكِ
 رَوَافِدُ الطَّهْرِ شِعْرًا مِنْ سَجَايَاكِ

* * *

يَا جَارَةَ اللَّيْلِ مَا فَاضَتْ شَوَاطِئُهُ
 وَلَا اسْتَهْلَ شِرَاعٌ فَوْقَ صَفْحَتِهِ
 وَلَا سَرَتْ عَبْرَ مَجْرَاهُ نَسَائِمُهُ
 وَلَا تَنَفَّسَ فَجْرٌ فِي خِمَائِلِهِ
 وَالْبَدْرُ مَا زَهَدَتْ عَيْنَاهُ فِي سِنَةِ
 وَمَا شَدَّتْ بِذُرَى أَيْكِ بِلَابِلُهُ

سُكْرًا وَعَرَبْدَةً لَوْلَا حُمَيَّاكِ !
 مُغَالِبًا وَجَدَهُ إِلَّا لِيَلْقَاكِ
 إِلَّا لَتَلْتَمِسَ فِي صَمْتِ الدُّنَى فَآكِ
 إِلَّا لِيَمْلَأَ عَيْنَيْهِ بِمَرَاكِ
 وَجَابَ آفَاقُهُ إِلَّا لِيَرْعَاكِ
 إِلَّا لَتَتَّعَمَ بِالتَّغْرِيدِ أَذْنَكَ

* * *

يا مِنحَةَ اللَّيْلِ ما أَحلى روائِعَه
 وهل تَرَعَرَعَتِ طفلاً في معابِدِه
 أم كُنْتَ لؤلؤةً في يَمِّهِ سَحَرْتَ
 أم أَنْتِ حوريَّةٌ ضاقتْ بموطِنِها
 فَضَمَمْتُ اللَّيْلَ في رِفْقِ ، فَهَمَّتْ بِهِ
 أم أَنْتِ أُسطُورةٌ قامتْ بفكرتِه
 أم أَنْتِ من كَرَمِ باخوسِ معتَقَة
 بل أَنْتِ مِنْ كُلِّ هذا جوهرٌ عَجَبٌ
 هل أَنْتِ من سِحْرِه أم قد تَبَنَّاكِ ؟
 أم كاهِنٌ في رُؤى سِيناءَ رَبَّاكِ ؟
 فَصاغَكَ اليَمُّ مخلوقاً وأنشاكِ ؟
 فَهَاجَرْتُهُ صنيعَ المُضْنَكِ الشَّاكِي ؟
 حُبًّا ، وَوَثَّقْتَ نَجَواهُ بِنَجَواكِ ؟
 تَحَوَّلْتَ غادَةً لَمَّا تَمَنَّاكِ ؟
 قد انقَضَتْ حِياةٌ حينَ صَفَّاكِ؟^(١)
 قَضَى فَقَدَّرَكَ الباري وَسَوَّاكِ

* * *

يا فرحةَ النَّيْلِ يا أعيادَ شاطئِه
 يا ذُخَرَ ماضِيهِ مِنْ فَنٍّ وعاطِفِه
 فَأَنْتِ رهنُ جِماهُ فتنَةٌ وهوى
 جَمَعْتُمَا السَّحَرَ أسباباً فَأَيَّكُمَا
 كات ضحاياهُ في الماضي عرائِسَه
 يا زَهَرَ وادِيهِ يا فِرْدَوْسَهُ الزَّاكِي !
 قَيَّدْتِهِ بِهِمَا لَمَّا تَصَبَّاكِ !
 لَكِنَّهُ بِهِواهُ رهنُ يُمْناكِ
 في هَوْلِ قُدْرَتِهِ المَحْكِيّ والحَاكِي ؟
 فَهالَنِي أَنْ أَرَاهُ مِنْ ضحاياكِ

* * *

يا سِرُّهُ المنظُوي في صَمَتِ عزَلتِه
 عاطِيتِه بِصِيَاكِ الغَضُّ مُتَرَعَّةٌ
 فشاقُهُ الكَشْفُ عن أَغلى نَفائِسِه
 أُسْكِرْتِه فاستجابَتْ أُرِيحِيَّتُه
 هل ضاقَ فيكَ بما عائى فَأَفْشاكِ ؟
 له كُؤُوسَ الهوى صَفَواً وعاطاكِ
 في عالَمِ السَّحْرِ مَزْهُواً فَرَكَّاكِ
 فَكُنْتَ مِنْتَه لَلْفَنِّ أَهْداكِ

(١) باخوس : رمز الخمر في الأدب الإغريقي والروماني .

وطالما وهب السَّكرانُ مُبتذراً أسمى ذخائره في غيرِ إدراك

* * *

يا بنتَ آمونَ هاتي السَّحرَ مُعْتَصِراً من كرمِ حُسنِكَ يُذهِلُ من تَحَدَّكِ !
سِحْراً بَعَثَ به قلبي الذي سَكَنْتُ أنباضه فاستوى حياً وحيَّاكِ
فالسَّحرُ قبلَكَ قد غاضَتْ موارِدُه حتَّى تَكشِفَ عن نَبَيعِهِ جَفَنَّاكِ

* * *

يا أنْتَ ، يا نبعَ أحلامي ، ومُلهِمتي سِرَّ الجمالِ تَجَلَّى ، في مزاياكِ !
يا هاتفاً من ضميرِ الغيبِ أَشْرَقَ في قلبي بِدَعْوَتِهِ ، شمساً ، فلبَّاكِ !
ما النَّيلُ ؟ ما غِيْدُه ؟ ما الشَّطُّ مُزْدَهِياً بهنَّ ، إلَّا إطارَ حَوْلَ مَغْنَاكِ
لو يُسألُ الدَّهرُ عن فَتَانَةٍ بَلَغَتْ حَدَّ الكمالِ ، لَمَّا اسْتَشْنَى ، وَسَمَّاكِ

* * *

يا فَجْرُ ، يا بدرُ ، يا زهرَ المُنَى ابتسمتَ يا خمرُ ، يا جَمْرُ في إحساسِي الذَّاكِي !
ما كُنْتُ قبلَكَ إلَّا صادقاً صَمَتَتْ به الهمومُ ، فلمَّا لُحِتْ غَنَّاكِ
أرَيْتِهِ الشَّعْرَ لحظاً رائعاً ، وفماً سقاها ، من مَعِينِ السَّحْرِ ، حَدَّاكِ
وملعباً من ملاهي الحُورِ راعشةً أضواؤه يتبارى فيه نَهْدَاكِ
ففاضَ بالشَّعْرِ ، إن يبدِغَ بِهِ صُوراً فَإِنَّمَا هُوَ بالتَّعْبِيرِ حَاكَاكِ

* * *

يا شمسَ بولاقَ ما أحنَاكِ مُطْفِئَةً غليلَ عاطفتي الحرَّى ، وأنْذاكِ !
أثَرَتْ ليلَ حياتي واطَّلَعَتْ على قلبٍ تَفَجَّرَ نوراً مذ تَلَقَّاكِ

فإن وهبتك روحي كنت واهبتي
وحسب صنعك إجلالاً لروعته
سعادتي ، فهما من فيض جدواك
ألا يثيبك من بالروح فدّاك

* * *

يا شمس بولاق يا ينبوع فتنتها
عجبتُ فيك وأسبابُ الهوى قدّر
الحبّ قلبان في مسراهما التقيّا
وفيم أنفذ في قلبي إرادته
لم يعطني منك إلا الحسن همتُ به
وأين قلبك ؟ لم أسمع لحنه
وأين عطفك من عانٍ غدرت به
وإنما كان منساقاً لغايته
فضلّ في تيهك المهوب مُتسيفاً
ساقيته النظرة الأولى وعود مُنى
فكنت كأس الطلى تغتال شاربها
فأنت أعنف منها وطأة بحجى
وأنت أروى وأدوى للذي لعبت

يا بسمة أشرقت في مقلة الباكي !
لا يحتمي أعزل منه ولا شاكي
فكيف ألزمني قيدي وخلاك
وقادني لمصري إذ تحاماك ؟
حتى استردك غيراناً وحاباك
صدى ؟ ألم يعنه أني معنّاك ؟
تالله ما اختار أن يشقى فيهواك ؟
رمى به القدر الساري فوافاك
لم يُنجه منك إحجام وأنجارك
ضاعت بسمتك النشوى وساقاك
وما أرى أن عقبها كعقباك
وأنت أقسى حماراً في أسارك^(١)
به مرأشفك الظمّ أي فوالاك

* * *

لمن هواك ؟ لمن نجواك ظامئة
أثم قلب سوى قلبي المعذب في
لمن حنينك يمشي في حناياك ؟
هواك أغرته حباً وأغراك ؟

(١) الحمار : ما يصيب شارب الخمر من ألم وصداع .

فَإِنَّ فِي وَجْهِكَ الضَّاحِي ظِلَالٌ هَوَى
 هَلْ أَنْتِ بِالمُثَلِّ العُلْيَا مُوَلَّهَةٌ
 فَإِنَّهَا قِصَّةُ الأَحْيَاءِ مِنْ قَدَمٍ
 وَإِنَّهُ وَاقِعُ الدُّنْيَا وَسِيرَتُهَا
 وَالشَّرُّ قَانُونُهَا فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ
 فَإِنَّ فِيكَ - عَلَى مَا فِيكَ مِنْ دَعَا -
 أَمْ أَنْتِ عَابِثَةٌ تَلْهُو بِطَالِبِهَا
 أَمْ أَنْتِ عَاشِقَةٌ ضَاقَتْ بِغَايَتِهَا
 أَمْ أَنْتِ مَهْجُورَةٌ أَضْنَاكِ ذُو صَلَفٍ
 بُوجِي وَلَا تَكْتُمِي السِّرَّ الدَّفِينِ فَقَدْ
 فَقَدْ تَعَتَّرَ مَفْجُوعاً بِمَطْلَبِهِ
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَهْدٌ مَا خَفَلْتُ بِهِ
 وَقَدْ يُولَّفُ بَيْنَ اثْنَيْنِ حَزْنُهُمَا

* * *

يَا بِنْتَ حَوَاءَ هَلْ بِالْدَّنِّ بَاقِيَةٌ
 فَقَدْ حَمَلْتُ غَلِيلَ الْوَجْدِ مَرْتَقِباً
 أَظْمَأْتَنِي وَصَرَفَتِ الْكَأْسَ ظَالِمَةً
 أَكَلَمَا سَاءَ ظَنِّي فِيكَ وَانْدَلَعَتْ
 بَدَا لَعِينِيكَ فِي ظِلِّ الْأَسَى قَبَسٌ
 وَأَيَّ حَالِيكَ أَرْجُو وَالطَّرِيقُ دَجَى
 تُغْنِي فَيَشْرَبُهَا مَنْ لَيْسَ يَنْسَاكِ !
 نُعْمَاكِ وَدَاً فَلَمْ أَظْفِرْ بِنُعْمَاكِ
 عَنِّي بِشْغَرٍ عَلَى الْحَالَيْنِ ضَحَّاكِ
 نَارُ الشُّكُوكِ بِقَلْبِي فِي نَوَايَاكِ ؟
 مِنَ الْخَنَانِ فَارْجُوهُ وَأَخْشَاكِ ؟
 غَشَّاهُمَا بِظِلَامِ الْيَأْسِ حَالَاكِ ؟

شَرَقْتُ فِيكَ بَدْمَعِي وَانْطَوَيْتُ عَلَى
أَنْتَى اتَّجَهْتُ بِعَيْنِي لَمْ أَجِدْ فَرَجاً
أَلَا أَرَاكَ ؟ أَلَا أَصْغِي إِلَيْكَ ؟ أَلَا
لَمْ يُلْهِنِي عَنْكَ مَا فِي مِصْرَ مِنْ أَرْبٍ
مَنْ لِي بِلِيلِكَ فِي الْمِصْطَافِ سَامِراً
وَأَنْتِ أَفْتَنُ مَا فِيهِ ، وَأَبْعُثْهُ

تَزِفُ الْجِرَاحَ بِقَلْبِي وَهُوَ مَأْوَاكِ
لِي فِي هَوَاكِ وَلَا سَلْوَى فَرَحَمَاكِ
أَصَوغُ فِيكَ عُلاَلاَتِي لِأَلْقَاكِ
فَمَنْ نَأَى بِكَ عَنْ حَبِّي وَالْهَاكِ
وَالْبَدْرِ وَالْبَحْرِ فِيهِ مِنْ نَدَامَاكِ ؟
لِلْوَجْدِ فِي كُلِّ ذِي حِسٍّ تَمَلَّاكِ

* * *

يَا بِنْتَ حَوَاءِ ! إِنْ أَبْعَدْتَ غَادِرَةً
وَمَا الْخِيَالُ بِمَغْنٍ عَنْكَ نَائِيَةً
طَامَنْتُ مِنْ كِبْرِيَائِي فِيكَ فَاحْتَكِمِي
أَنْتِ الْحَيَاةُ بِلَوْنِهَا مُحِبِّيَّةٌ
فَلَيْتَ لِي مِنْكَ بِالْدُّنْيَا وَمَا وَسِعَتْ
يَوْمَاً هُوَ الْعُمُرُ وَالْأَمَالُ لَيْسَ بِهِ

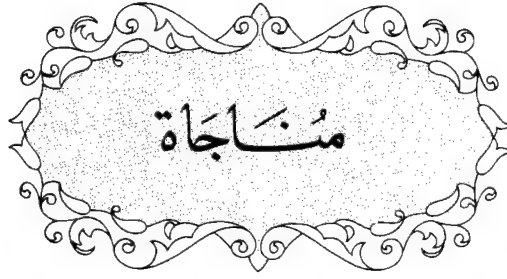
وَفَى الْخِيَالُ عَلَى بُعْدٍ فَأَدْنَاكِ !
لَكِنَّهَا نَفْثَةُ الْمَحْرُورِ نَادَاكِ
فَالْحُبُّ أَرْخَصَ مِنْ قَدْرِي وَأَغْلَاكِ
فَمَا أَرْقَكَ فِي نَفْسِي وَأَقْسَاكِ
يَوْمَاً يَجُودُ بِهِ لِلْوَصْلِ مَسْرَاكِ
إِلَّا الْكُؤُوسُ ، وَأَشْعَارِي وَإِلَّاكِ

* * *

إِنِّي بِمَا شِئْتَ بِي يَا فَتْنَتِي أَمَلُّ
مَا كُنْتَ يَا قَدْرِي الْعَاقِي سِوَى امْرَأَةٍ

فِي ظِلِّ مَأْسَاتِهِ يَحْيَا لِذِكْرَاكِ
مِمَّنْ عَبَّرْنَ بِقَلْبِي لَوْ تَوَقَّأكِ !

★ ★ ★



لا تَصُولُ الْجِيَادُ حَيْثُ تَصُولُ فكَثِيرٌ ، مِنْ مُقْتَفِيكَ ، الْقَلِيلُ
 مَا عَلَى مَنْ سَبَقَتْ أَنْ يَخْسَرَ السَّبْ.....قُ ، وَمِنْ خَلْفِهِ يَكْدُ الرَّعِيلُ
 أَيُّهَا السَّابِقُ الْمَحْجَلُ وَالْفَا.....دِي الْمُفْدَى ، وَالوَاصِلُ الْمُوَصُولُ
 حَسَدْتَنِي عَلَى هَوَاكَ اللَّيَالِي فَتَغَيَّرَتْ ، أَمْ ثَنَّاكَ الْعَذُولُ ؟
 إِنَّ يَوْمًا يَفُوتُ رَاجِيكَ مِنْ وَصْ.....لِكَ ، يَوْمٌ وَخَفُ الْحَوَاشِي ثَقِيلُ ^(١)
 لَوْ تَكَلَّفْتَ غَيْرَ طَبْعِكَ بِالصَّدِّ.....ثَنَّاكَ الْقَلْبُ الرَّقِيقُ الْوَصُولُ
 يَحْتَمِي الْمَذْنِبُ الْمَقْرُ بِجَدْوَا.....كَ ، وَيَقْضِي بَنِيْلِكَ ، الْمَأْمُولُ
 وَلَبَعُضُ الْجَدْوَى ، مِنَ الْوَاهِبِ الْقَا.....دِرِ ، صَفْحٌ ، وَبَعْضُهَا تَنْوِيلُ
 أَفْسَدْتَنِي عَلَى جَمِيلِ أَيَادِي.....كَ أَيَادِيكَ ، وَالكَرِيمُ حُمُولُ ^(٢)
 مَثَلَمَا تَفْسُدُ الزُّهُورُ عَلَى الرَّيِّ.....إِذَا طَالَ رِيْهَا فَتَحُولُ ^(٣)
 لَا تَنْتَكِ الْأَحْدَاثُ ، وَالْعَضْبُ الْعَا.....رِضُ ، عَنِّي ، وَالشُّكُّ ، وَالتَّأْوِيلُ
 هَنَاءُ جَسَمِ الْخِيَالِ مَعَانِي.....هَا ضَلَالًا ، وَضَاعَفَ التَّهْوِيلُ
 قَدْ تَعَجَّلْتُهَا بِهَجْرٍ ، وَمَا ضَا.....قُ بِهَا ، بَعْدُ ، عُذْرُهَا ، وَالذَّلِيلُ

(١) الْوُخْفُ : الْقَاطِمُ ، الْأَسْوَدُ .

(٢) الْحُمُولُ : الْحَلِيمُ ، الصَّبُورُ .

(٣) تَحُولُ : تَغَيَّرُ .

أَيْنَ حَقِّ الْعَبَّيِّ ، وَسَابِغَةِ الْعَفْرِ.....وِ ، وَدَيْنِ الْوِدَادِ وَالتَّامِيلِ^(١)
وَلَيْالِ الْوَى بِصَبْرِي فِيهَا سِحْرُ عَيْنَيْكَ ظَالِماً وَالشَّمُولُ
حِينَ أَشْكُو ، فَلَا تَرُقْ ، وَأَرْجُو.....كَ قَتَائِي ، وَحُكْمُكَ الْمَقْبُولُ
مَا ثَنَانِي الْوَجْهَ الْعَبُوسُ ، وَلَا الْجَوْ.....رُ ثَنَاهِي ، وَلَا الصُّدُوفَ الطَّوِيلُ
عَادَةً لِلْوَفَاءِ وَثَقَّهَا الْحُبُّ.....وَعَارٌّ مِنَ الْوَفِيِّ التُّكُولُ
هَبْهُ ثَاراً طَلَبْتَهُ بِتَجَنِّي.....أَتَعِيَا بِمَا فَعَلْتَ الْحُلُولُ ؟
أَمْ تَرَاهُ الْمَلَالُ يَصْطَنِعُ الْأَسْ.....بَابَ ضَيْقاً بِحِينَا يَا مَلُولُ
مَا أَبَالِي وَقَدْ تَخَوَّتْ عَهْدِي.....أَتَطُولُ الْحَيَاةَ ، أَمْ لَا تَطُولُ ؟
أَنْتَ عِنْدِي جَمَالُهَا ، وَمَعَانِي.....هَا فَإِنْ رُحْتَ فَالْحَيَاةُ فُضُولُ
أَنْتَ دُنْيَايَ ، حُسْنُهَا ، وَسَنَاهَا.....وَرُؤُوهَا ، وَزَهْرُهَا الْمَطْلُولُ
كَيْفَ عَادَتْ بِاللَّهِ مَيْدَانَ حَرْبٍ.....خَلَفَ الشَّدَوُ زَأْرُهَا وَالصَّهِيلُ
كَلِّمَا رُمْتُهَا عَلَى وَقْدَةِ الشَّوْ.....قِ حَمَاهَا قُطُوبُهَا وَالصَّلِيلُ
لَا بِمَا هَالَنِي عَلَيْهَا تَرَاجَعُ.....تُ وَلَكِنْ بِمَا أَرَادَ الْمَطُولُ^(٢)
إِنْ دَعَنْتَنِي بِسَابِقِ الْعَهْدِ وَالْحُ.....بِ ثَنَانِي أَنِّي الْعَرِيبُ الدَّخِيلُ
عَلَّهَا آثَرْتُ طَرِيقاً مِنَ الْوَدِّ.....فَمَالَتْ أَوِاطِبَاهَا بَدِيلُ^(٣)
إِنْ يَكُنْ شَاقَهَا الْبَدِيلُ فَمَالِي.....مِنْ بَدِيلٍ وَلَا لِيُودِّي عَدِيلُ
فَأَنَا حِصْنُهَا الْحَصِينُ وَمُرْتَا.....دُ هَوَاهَا ، وَسَيْفُهَا الْمَسْنُولُ

(١) السابع : الواسع ، الفياض .

(٢) المَطُول : من مَطَّلَ الحق والدِّينَ إذا أَجَّلَ موعد وفائه مرة بعد أخرى .

(٣) أطباءه : تحجب إلى قلبه حتى ما يعدل به أحداً .

قَدْ تَعَتَّبْتُ ، يَعْلَمُ اللَّهُ ، وَالْوَا.....جِبْ ، وَالْحُبْ ، وَالْوَفَاءُ ، الْجَمِيلُ
 وَتَلَوَّمْتُ ، وَالتَّلَوُّومُ ضَنْ.....بِهَوَى فِي الْفَوَادِ مِنْهُ غَلِيلُ
 فَإِذَا أَسْعَفَ الْهَوَى فَالتَّمَنَّى وَإِذَا أَخْلَفَ الرُّضَا فَالْقُفُولُ
 مَا يَضِيقُ الْعَزَاءَ بِالْمُهْجَةِ الْحَرِّ.....ى وَلَمْ يَنْبُ دُونَ ماضٍ سَيِّلُ
 إِنَّ صَبْرِي بِمَا يُؤَوِّدُ ضَلِيلُغَ وَفُؤَادِي بِمَا أُرِيغُ كَفِيلُ^(١)
 وَوَرَائِي مِنَ الْهَوَى وَالْمَــوَدَّاتِ شُكُولُ مَضَّتْ ، وَدُونِي شُكُولُ^(٢)
 إِنَّمَا يُعَشِّقُ الْجَمَالَ لِمَعْنَا.....هُ وَحُسْنُ السَّمَاتِ ضَيْفٌ عَجُولُ
 وَلَقَدْ يُخْلِفُ الْكَرِيمُ عَلَى الْخِصْبِ.....بِ وَيُوفِي عَلَى النُّضُوبِ الْبَخِيلُ
 وَعَلَى مَسْرَجِ الْحَيَاةِ جَمُوحُ يَرْقُبُ الْحُبَّ حُسْنَهَا وَيُنِيْلُ
 تَطْبِينَنَا بِمَا تَصَوِّغُ مَعَانِي.....هِ جَمَالًا يَسْبِي النَّهْيَ وَتَهْوُلُ^(٣)
 وَقَلِيلُ الْهَوَى الْكَرِيمِ كَثِيرُ وَكَثِيرُ الْهَوَى الشَّحِيحِ قَلِيلُ
 رُبَّمَا اسْتَصْعَرَ الْقَوِيُّ ، عَلَى مَسْ.....عَاهُ ، مَا يِلْغُ الْهَزْبُ الصَّوُولُ^(٤)
 وَتَمْنَى الْهَاجِنُ ، فِي زَحْمَةِ الْأَقْــدَامِ ، شَيْئاً مِمَّا تُصِيبُ الْفُحُولُ
 مَا تَخَوَّفْتُ قَبْلَهَا الْأَيْنَ ، وَالْوَحَ.....شَّةَ ، وَالسُّهْدَ ، إِنَّ دُعَانِي الرَّحِيلُ^(٥)
 فَالْسُّرَى دَابُّ هِمَّتِي أَتَلَقَّى النَّأْ.....يَ كَرًّا ، كَمَا تَكْرُرُ السُّيُولُ

(١) أَرَاغ : أراد ، طلب .

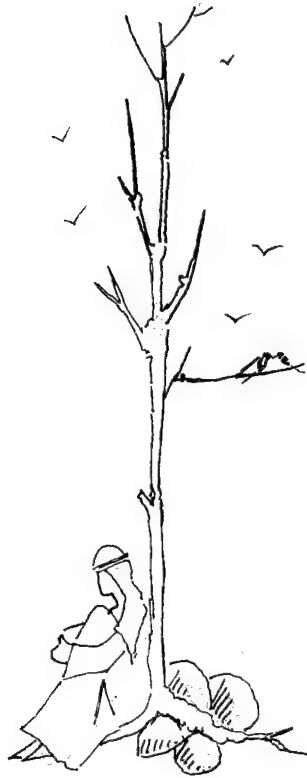
(٢) الشُّكُولُ : جمع شكل ، وهو النوع ، أو المشكل ، أو العنل .

(٣) النَّهْيُ : العقول ، مفردُها النَّهْيَةُ .

(٤) الْهَزْبُ : الأسد الكاسر .

(٥) الْأَيْنَ : الإعياء ، ومن معانيها : الحية ، والجمل .

وَرَفِيقِي رَأْيِي ، وَنَفْسِي أَنْيْسِي وَسِلَاحِي قَلْبِي ، وَعَيْنِي الدَّلِيلُ
وَحَبِيبِي لَا مَنْ هَجَرْتُ عَلَى الْبُخْلِ وَلَكِنَّهُ الْوَفَى الْبَذُولُ
كَلَّمَا هَزَّنِي إِلَيْهِ حَيْنِي رَدَّنِي عَنْهُ ، قُرْبُهُ الْمَمْطُولُ
لَا طَوَيْنَا عَلَى الْهَوَانِ نَفُوساً لِحَبِيبٍ ، وَلَوْ بَرَأَا التُّحُولُ





أقبل الليل

أقبل الليل وما لي منه بحرأً مظلماً
تنطوي فيه مآسي..... لغوباً وظمأً
وسرى البدر وقد ملَّ..... سرأه المبهماً
قأنطأً يعثُ في نفـ..... سي أساه المأ
أتراها قصةً الهـ..... صريعاً ها هُما ؟

* * *

أم تراها قصةً القيـ..... دٍ لِحريْنٍ أصيبأ
قصةً الحـيِّ على الأر..... ض يُلقأها نصيبأ
قصةً الأحلام ، لا تصـ..... دُق ، والعيش رتيبأ
والشباب المهدر العا..... ية محروماً كئيبأ
لاذ بالصمت كما لا..... ذ به ، إلا وجيبأ

* * *

أقبل الليل وفي النفـ..... سي من الليل صراع
وأمانـي فؤادٍ..... مُثخن ضاعت .. وضاع
ياله من ثبج يركبه اليا..... ئس مطـوي الشراع^(١)

(١) الثبج : وسط الشيء تجتمع وبرز (هذا البيت خمس تفعيلات) .

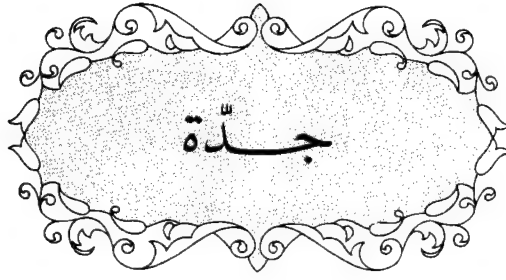
تَبَجُّ العِيشِ عَلَى المَكْـ.....روه في دُنْيَا الخِدَاغِ
الْأَنَاسِيَّ عَلَى مَا التَّمَسُّوا فِيهَا سَوَاءٌ وَالسَّبَّاحُ^(١)

* * *

قَالَ لِي اللَّيْلُ .. وَقَالَ الـ.....بَدْرُ .. وَالصَّمْتُ خِطَابُ
مَا مَضَى مِنْ عُمْرِنَا وَهَـ.....مَّ وَمَا يَأْتِي سَرَابُ
مَا لَنَا مِنْ نَصَبِ الْجُهِـ.....دِ سِوَى مُرِّ الْعَذَابِ
قَدْ عَذَانَا الْعِلْمُ بِالْغَا.....يَةِ سَعِيًّا وَمَلَابِ
كَمْ تَشَاكَيْنَا وَمَا شَكْـ.....وَى مُصَابٍ لِمُصَابٍ ؟



(١) وهذا البيت - كذلك - خمس تفعيلات .



التَّهَى بَيْنَ شَاطِئَيْكَ غَرِيقُ وَالْهَوَى فَيْكَ حَالِمٌ ، مَا يُفِيقُ
 وَرَوَى الْحُبَّ فِي رِحَابِكَ شَتَّى يَسْتَفِزُّ الْأَسِيرَ مِنْهَا الطَّلِيقُ ^(١)
 وَمَغَانِيكَ ، فِي النَّفُوسِ الصَّدِيدَا تِ إِلَى رَيْهَا الْمَنِيْعِ ، رَحِيقُ ^(٢)
 إِيهِ ، يَا فِتْنَةَ الْحَيَاةِ لَصَبٌ عَهْدُهُ ، فِي هَوَاكِ ، عَهْدٌ وَثِيقُ
 سَحَرَتْهُ مَشَابِهُ ، مِنْكَ لِلْخُلَا دِ وَمَعْنَى ، مِنْ حُسْنِهِ ، مَسْرُوقُ ^(٣)
 كَمْ يَكُرُّ الزَّمَانُ ، مُتَّيِّدَ الْخَطِّ وَ ، وَغُصْنُ الصَّبَا عَلَيْكَ وَرِيقُ !
 وَيَذُوبُ الْجَمَالُ ، فِي لَهَبِ الْحُ بٍ ، إِذَا آبَ ، وَهُوَ فَيْكَ غَرِيقُ
 عُدتِ مَلْفُوفَةً بِهِ ، فِي دُجَى اللَّيْلِ لٍ ، وَقَدْ هَفَفَ النَّسِيمُ الرَّقِيقُ
 مُقْبِلًا كَالْحَبِّ ، يَدْفَعُهُ الشَّوْ قُ ، فَيُثْنِيهِ عَنْ مُنَاهُ الْعُقُوقُ
 حَمَلَتْهُ الْأَمْوَاجُ أَغْنِيَةَ الشَّ طٌ ، فَأَفْضَى بِهَا الْأَدَاءُ الرَّشِيقُ
 نَعْمًا ، تُسَكِّرُ الْقُلُوبَ حُمَيَّا هُ ، فَمِنْهُ صَبُوحُهَا وَالْعُبُوقُ ^(٤)
 فِيهِ ، مِنْ بَحْرِكَ ، التَّرْفُقُ وَالْعُنْ فُ ، وَمِنْ أَفْقِكَ الْمَدَى وَالْبَرِيقُ
 وَمِنَ اللَّيْلِ ، صَمْتُهُ الْمَفْعُمُ النَّفْ سٍ لُغَى ، زَانَتْهَا الْخَيَالُ الْعَمِيقُ

-
- (١) الرَّوَّى : جمع رُويَا ، مَا يُرَى فِي النُّومِ . يَسْتَفِزُّ : يَثِيرُ .
 (٢) الصَّدِيدَاتِ : جمع صَدِيدٍ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْعَطَشِ . وَالصَّدَى : الْعَطَشُ الشَّدِيدُ .
 (٣) مَشَابِهِ : جمع شَبَهَ (عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ) وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَشْبَاهِ .
 (٤) الْحُمَيَّا : الشَّدَّةُ وَالْحِدَّةُ . الصُّبُوحُ : شَرَابُ الصَّبَاحِ . الْعُبُوقُ : شَرَابُ الْمَاءِ .

ومن البدر ، زَهُوُّهُ وَسَنَاهُ راوياً عنهما الفضاء السَّحِيْقُ
قِطْعَةً ، فَذَّةٌ مِنَ الشَّعْرِ ، قَدْ أَلَّ.....فَ أَشْتَاتَهَا نِظَامٌ دَقِيقُ

* * *

أَنْتِ دُنْيَا ، رَفَافَةٌ بِمُنَى الرُّوحِ.....ح ، وَكَوْنٌ بِالْمُعْجَزَاتِ نَطْوُقُ
رَضِيَ الْقَيْدَ ، فِي حِمَاكِ ، فَوَادُّ عَاشَ كَالطَّيْرِ ، دَابُّهُ التَّحْلِيْقُ
مَا تَصَبَّتْهُ قَبْلَ حُبِّكَ يَا جَدَّةُ.....ة ، دُنْيَا بِسِحْرِهَا ، أَوْ عَشِيْقُ
حَبَّذَا الْأَسْرُ فِي هَوَاكِ حَبِيْبًا بِهَوَى الْفِكْرِ وَالْمُنَى مَا يَضِيْقُ
مَنْهَجِي فِيهِ مَنْهَجُ الطَّائِرِ الْآ.....لِف ، يَنْزُو بِهِ الْجَنَاحُ الْمَشْوِقُ (١)
فَإِذَا هُمْ أَشْعَلْتَهُ فُرُوضُ ، مِنْ هَوَاهُ ، وَأَنْقَلَبَتْهُ حُقُوقُ

* * *

جَدَّتِي ، أَنْتِ عَالَمُ الشَّعْرِ وَالْفَتَى.....نَةِ يَرُوي مَشَاعِرِي ، وَيَرُوقُ
تَتَمَشَّى فِيكَ الْخَوَاطِرُ سَكْرَى مَا يُحْسُ اللَّصِيْقُ ، مِنْهَا ، اللَّصِيْقُ
كُلُّهَا هَائِمٌ بِعَالَمِهِ الْخ.....مُورِ ، يَهْفُو بِهِ شَذَاهُ الْعَبِيْقُ
تَتَجَافَى ، مَا يَأْلَفُ الْخَاطِرُ الْخَ.....طَرِ فِيهِ ، وَلَا تَدِينُ الْفُرُوقُ
فَإِذَا أَوْمَضَ الْخِيَالُ بِذِكْرًا.....كِ تَدَاعَتْ ، بَعْضُ لِبَعْضٍ يَتَوَقُّ (٢)
وَحَدَّ الْحُبِّ بَيْنَهَا سُبُلَ الْحُبِّ.....فَمَا عَافَ سَابِقاً مَسْبُوقُ

* * *

جَدَّتِي ، لَا الَّتِي يُحِبُّ الْحَلِيْقُ.....نَ ، شَقَاءٌ عَذْبٌ ، وَأَسْرٌ أَنْيْقُ
وَصِرَاعٌ بَيْنَ الْحَجَى وَالْأَمَانِي يُطْلِقُ الْحَسَّ ، تَارَةً ، وَيَعُوقُ

(١) ينزو ، يشب ، يثور ، يتحرك . المشوق : المشتاق .

(٢) تداعى : دعا بعض بعضاً إلى اجتماع .

وَسُهَادٌ ، يَهِيْمُ فِي تِيْهِ الْعَقْدُ.....لُ ، وَيَعْمَى عَنْ هَدِيْهِ التَّوْفِيْقُ
 وَصَدَى ، مَا يُئِلُّهُ الْوَائِكُفُ الْهَالِ.....مِي ، وَقَلْبٌ ، لَمْ تَسْتَثِرْهُ الْبُرُوقُ ^(١)
 أَنْتِ مُرْتَادٌ وَحَدَّتِي ، إِنْ تَبَتَّلْتُ.....تُ ، وَإِنْ شَتُّ ، عَالَمٌ مَطْرُوقُ
 لِيْ مَاضٍ ، لَمْ أَنْسَهُ ، فَيْكِ قَدْ غَ.....صَّ ، بِشَجْوٍ ، غُرُوبُهُ وَالشَّرُوقُ
 تَتَنَاجَى أَصْدَاؤُهُ ، فِي رَوَائِي.....كِ ، إِذَا عَادَهَا الْخِيَالُ الطَّرُوقُ
 مُعْوِلَاتٍ ، أَلْوَى بِمَطْلَبِهَا الْإِي.....نُ ، فَأَنْفَاسُهَا عَلَيْهِ شَهِيْقُ
 مُثْقَلَاتٍ حَيْرَى ، تُطِيفُ بِهَا الْوَحْ.....شَةُ ، وَالضَّعْفُ عَاجِزٌ ، مَا يُطِيقُ
 كَيْفَ أَنْسِيْتِهِ ، وَضِيَّعَتِ ذِكْرَ.....هُ ؟ وَهَلْ يُسَلِّمُ الرَّفِيْقُ الرَّفِيْقُ ؟
 أَهْوَ الْعَدْرُ مِسْمُ الْحُسْنِ فِي شَرْ.....عِكِ ، وَالْعَهْدُ فِي هَوَاكِ عُقُوقُ ؟
 حَبَّذَا أَنْتِ ، لَوْ وَفَيْتِ وَأَجْمَلْتُ.....تِ ، وَلَمْ يُنْتَهَكْ لَدَيْكِ الصَّدِيْقُ
 فَوْفَاءُ الْحَبِيْبِ أَسْمَى مَعَانِي الْحُسْ.....نِ ، وَالطَّهْرُ بِالْجَمَالِ خَلِيْقُ
 لَا تَكُونِي خَوَانَةً يُمَطِّلُ الدَّيْ.....نُ لَدَيْهَا ، وَلَا يَفُوزُ السَّبُّوقُ ^(٢)
 أَوْ تَمْنِي التُّعْمَى عَلَيَّ ، فَمَا آ.....لَمْ عَيْشًا يَضْوَى بِهِ الْمَرْزُوقُ ^(٣)
 أَكْذَا أَنْتِ لِلنَّقَائِضِ وَرَدٌ يَسْتَوِي عِنْدَهُ التَّقَى وَالْفُسُوقُ ؟
 بَيْنَ مَنْ تَمْنِيهِمْ وَرَدَكَ السَّآ.....ئِعُ قَوْمٌ ، وَدَادُهُمْ مَمْنُوقُ ^(٤)
 مِنْ مِيَاسِيْرَ جَاهِلِيْنَ أَضَاعَوْ.....كِ ، وَكُلٌّ بِمَا يَشِيْنُ عُلُوقُ ^(٥)
 وَمَهَازِيْلَ ، كَالضَّفَادِعِ فِي الظُّلْ.....مَةِ ، أَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُنَ النَّقِيْقُ

(١) الواكف : المتقاطر ماؤه .

(٢) السَّبُّوق : مبالغة في السَّابِق .

(٣) يَضْوَى : يَضْعَفُ وَيَهْزُلُ .

(٤) مَمْنُوق : مشوب ، مخلوط بغيره ، غير صاف .

(٥) مياسير : جمع موسر وهو الغني ذو اليسار .

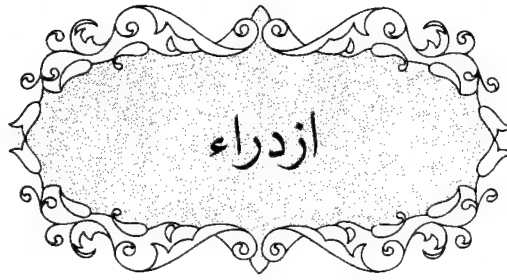
قَادَهُمْ أَخْرَقُ الْخُطَى لِلدَّيَا وَهُوَ فِيهِمْ ، بِمَا جَنَاهُ ، مَسُوقُ
 وَشَبَابٌ ، غِرَاسُهُ مَا زَكَتْ فِي.....كَ - وَلَا غَرَوُ - فَالْغِرَاسُ الْعُرُوقُ
 لَعَلَعَتْ صَرْخَةُ النَّهْوضِ حَوَالَيْ.....كَ ، وَأَصْوَاتُهُمْ لَدَيْكَ نَعِيقُ
 وَمَشَى النَّاسُ لِلْجِهَادِ مُغْذِي.....نَ ، فَهَلْ نَصَّ نَاعَقِيكَ طَرِيقُ؟^(١)
 مَنْ لَهُمْ بِالطُّمُوحِ ، وَالْجِدُّ مَا أَضْ.....نَكَ مَسْعَاهُ ، وَالْحَيَاةُ مَضِيقُ؟^(٢)
 هُمْ أُسَارَى مَنَاعِمِ الْعَيْشِ ، وَالْحَ.....تُ عَلَيْهِمْ ، مِمَّا أَذِيلَ ، حَنِيقُ^(٣)

* * *

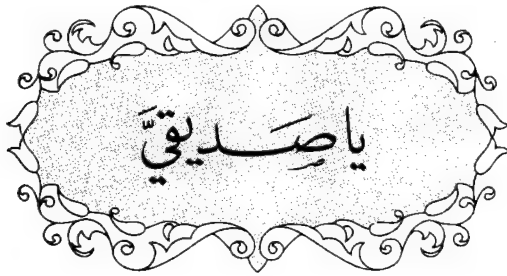
كَمْ مُعْنَى مِثْلِي ، يُطَارِحُكَ الْحُ.....بٌ ، فَيَنْبُو بِهِ السَّبِيلُ الزَّلِيلُ!^(٤)
 وَدَعِي ، يَصْطَلُّكَ فِي فَمِهِ الْقَوُ.....لُ عِثَارًا ، مَكَائُهُ مَرْمُوقُ
 أَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ يُشَاكِلَنِي فِي.....كَ جَبَانٌ ، عَمَّا أُرِيعُ فَرُوقُ؟^(٥)
 وَقُصَارَاهُ ، فِي هَوَاكَ هَوَانًا ، أَمَلٌ ضَارِعٌ ، وَوَجْهٌ صَفِيقُ
 لَا تَلُومِي ، عَلَى عَتَابِكَ ، حُرًّا قَلْبُهُ ، مِنْكَ ، بِالْجِرَاحِ شَرِيقُ^(٦)
 أَنَا لِلْجِدِّ - وَالْهَوَى يُؤْثِرُ الْعِزَّ.....وَغَيْرِي لَغِيرِهِ مَخْلُوقُ
 وَالْغَرَامُ الْمِبَاحُ شَرُّ الْجِنَايَا.....تِ ، فَهَلْ يَقْنَعُ الْجَمَالُ النَّزُوقُ ؟

★ ★ ★

-
- (١) الْمَغْدُ : الْمَسْرَعُ . نَصَّ : أَظْهَرَ ، أَبَانَ .
 (٢) أَضْنَكَ : أَتْعَبَ ، وَضِيقُ .
 (٣) أَذَالَ : أَهَانَ وَاتَّهَكَ . حَنِيقُ : مَغْتَاطُ ، غَاظِبُ .
 (٤) الْمُعْنَى : الْمَعْدَبُ .
 (٥) الْفُرُوقُ : الشَّدِيدُ الْفَرْعُ .
 (٦) الشَّرِيقُ : الْغَاصُّ بِالْمَاءِ أَوْ بِرَيْقِهِ .



شَيَّعْتُ حُبَّكَ بازدرائي وَبَذْتُ ظُلْمَتَهُ وَرَائِي
وَعَسَلْتُ فِي دَمْعِ النَّدَا..... مَةٍ مِنْ نَجَاسَتِهِ رِدَائِي
وَكَفَرْتُ بِعَدِّكَ بِالْهَوَى جَسَدًا ، يَحْنُ إِلَى الْغِذَاءِ
وَعَرِيْزَةً ، جُنْتُ بِأَسْلَا..... بِ الصُّحَايَا .. وَالْذَّمَاءِ
تَسْطُو بِأَسْلَحَةٍ مِنَ الْ..... عَذْرِ الْمَمُوءِ بِالْوَفَاءِ
وَتَفِيضُ حَبًّا لِلْفَرِي..... سَةِ ، تَحْتَهُ نَارُ الْعِدَاءِ
وَشَبَاكُهَا الْأَحْلَامُ وَال..... أَوْهَامُ ، خَادِعَةُ الطَّلَاءِ



قَارِنَا حَاضِرِي الْحَزِينَ بِأُمْسِي وَاسْأَلَانِي ، لِمَ يَسْتَحِيلُ التَّأْسِي
أَلَمْ الذِّكْرِيَّاتِ لِلنَّفْسِ أَنْ يَفْ..... قَدْ سَلَوَى الْغَرَامَ ، حِسُّ كَحْسِي
وَشُعُورِي ، بِفِتْنَةِ الْحَبِّ وَالْحُسْنِ..... نِ ، شَعُورًا رَبًّا عَلَى كُلِّ حِسِّ
رَفْهًا ، إِنَّ قَدَرْتُمَا ، عَنْ فُؤَادِي أَوْ دَعَانِي ، أَخْفِضُ عَلَى الْيَأْسِ رَأْسِي

★ ★ ★



تَجَرِبَةٌ

يَدَيَّ ، فَيْكَ ، صَنَعْتُ سُوءَ مَصِيرِي
وَنَعِيمِهِ فِي عَالَمٍ أُسْطُورِي
بِزُخَارِفِ وَسَفَاسِيفِ وَقُشُورِ
مُتَالِّقًا فِي أَفْقِكَ الْمَسْحُورِ
مَرَّتْ بِهِ الْأَوْهَامُ عَبْرَ شُعُورِي
أَحَبَبْتُ إِنْسَانًا بَغِيرِ ضَمِيرِ
أَعْطَيْتَنِي ، مِنْ قَبْلُ ، جِدًّا كَبِيرِ
سِمَةً الْعَبَاءِ تَفَاهَةً التَّفْكِيرِ
لِلْحَبِّ شَاهِدَةً عَلَى تَكْفِيرِي
سَقَطَتْ ، لَهَا فِي الْجِنْسِ أَلْفُ نَظِيرِ
ذَنْبُ الْفَرَاشِ هَيَامُهُ بِالنُّورِ
بِفَرَائِسِ الْأَحْلَامِ فِي الدَّجُورِ
وَتَأَوُّهًا مِنْ قَلْبِكَ الشَّرِيرِ
قَانُونُ كُلِّ حَقِيرَةٍ وَحَقِيرِ
مَلْهَاءَ كُلِّ غَرِيرَةٍ .. وَغَرِيرِ

أَنَا لَسْتُ عَاتِبَةً عَلَيْكَ ، فَإِنِّي
وَهَرَبْتُ مِنْ دُنْيَايَ أَحْلُمُ بِالْهَوَى
وَأَنَا الَّتِي بَاعَتُكَ كُلَّ كِيَانِهَا
وَرَأَتْكَ بِالْوَهْمِ الْمَجْنَّحِ فَارِسًا
وَالْيَوْمَ مَاذَا أَنْتَ ؟؟ وَهَمُّ خَادِعٍ
أَنَا لَسْتُ نَادِمَةً ، فَتِلْكَ خَطِيئَتِي
لَا تَعْطِنِي ثَمَنَ الْخَطِيئَةِ ، فَالَّذِي
أَتَّقِسُ تَجَرِبَتِي بِأَيِّ عَطِيَّةٍ ؟
سَتَظِلُّ تَجَرِبَتِي ، بِنَفْسِي ، لَعْنَةً
أَرَأَيْتَنِي بِهَوَاكَ غَيْرَ فَرَاشَةٍ ،
وَتَقُولُ : مَا ذَنْبِي ؟؟ صَدَقْتَ ، فَإِنَّمَا
فَازَهَبَ إِلَى غَايَاتِ حَظِّكَ عَابِثًا
وَانْصَبَّ شِبَاكَ الْحُبِّ دَمْعًا كَاذِبًا
وَاتْرَكَ لِي الْمَأْسَاءَ ، وَحَدِي ، إِنَّهَا
لَا ضَيْرَ .. سَوْفَ تَكُونُ بَعْدَكَ قِصَّتِي

مَاذَا يَرِيْبُكَ؟

مَاذَا يَرِيْبُكَ مِنْ تَأْيِيْهَا حُبُّ السَّلَامَةِ مِنْكَ يَنْتِيْهَا؟
أَتَرَى الْإِبَاءَ خَدِيْعَةً مِنْهَا لِمَ لَا يَكُوْنُ غَرِيْزَةً فِيْهَا؟
إِنَّ الطَّبِيْعَةَ حَارِسٌ يَقْظُ مِنْ لَفْحَةِ الْإِغْرَاءِ يَحْمِيْهَا

نُذْرُ الشَّيْبِ

بَلَعْتُ بِالشَّيْبِ غَايَةَ الْعُمْرِ وَلَسْتُ فِيمَا أَرَى بِمُزْدَجِرٍ^(١)
مَا زِلْتُ أَرْجُو مِنَ الْهَوَى ، حَرَضًا ، مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْهُ ، عَلَى صِغَرِي^(٢)
يَا فِطْرَةَ السَّوْءِ كَمْ يُغَالِبُنِي مِنْكَ قُوَى الْجِمَاحِ ذُو أَشْرِ^(٣)
كَفَى نَذِيرًا بِالشَّيْبِ لَوْ عَقَلَ الْ.....عَاصِي ، وَفِي الشَّيْبِ أَبْلَغُ النَّذِيرِ
لَمْ تَبْقَ مِنِّي لِلْحَبِّ بَاقِيَةٌ تُغْرِي حَبِيْبًا بِسَانِحِ الْوَطَرِ^(٤)
فَالْوَجْهَ ضَاوٍ ، وَالرَّأْسَ مَنْجَرَدٌ وَالْجِسْمُ ذَاوٍ ، كِيَاسُ الشَّجَرِ^(٥)

★ ★ ★

-
- (١) زجر الشيء : منعه وكفّه وانتهره ، والمزْدَجِر : المعتير .
(٢) الحَرَضُ : فساد المذهب والعقل ، الذوبان في الحب .
(٣) الْأَشْرُ : البَطَرُ .
(٤) السَّانِحُ : العارض غير الدائم . الْوَطَرُ : البغية ، الحاجة .
(٥) الضَّأَوِي : الضعيف الهزيل .



أَجَدَّتْ عِلَاقَاتُ الْهَوَى ، لِذَوِي الْهَوَى مَطَالِبَ ، ضَلَّتْ فِي دُجَاهَا الْمَطَامِعُ
إِذَا كَانَ مَا تَرْجُوهُ غَيًّا مُحَجَّبًا فَأَيَّسُرُ مَا تُهْدِي الْعُيُوبُ الْفَجَائِعُ
أُمْسُودَعَا سِرَّ الْهَوَى غَيْرَ أَهْلِهِ لَغَيْرُ غَرِيبٍ أَنْ تَضِيعَ الْوَدَائِعُ



لَا أَبَالِي إِذَا دَعَانِي الْحَنِينُ أَتَهُونُ السَّبِيلُ ، أَمْ لَا تَهُونُ
وَإِذَا رَابَ مُدْعِي الْحُبِّ ظَنُّ بِحَبِيبٍ ، لَمْ تُثْنِ خَطْوِي الظُّنُونُ
فَالْهَوَى ، إِنْ يَكُنْ وَفَاءً وَفِيٍّ ، فَهُوَ فِي مَهْجَتِي حِفَاطٌ وَدِينُ

* * *

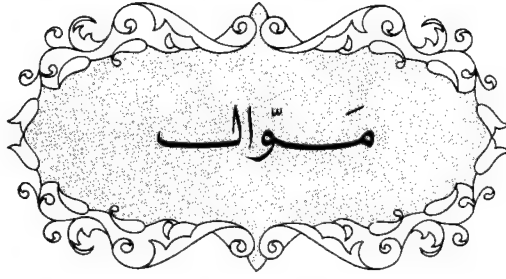
لَا عَدَّتْنِي عَمَّنْ أَحَبُّ الْعَوَادِي وَلَوْ آتَى بِمَا اسْتَبَاحَ طَعِينُ
كُلُّ عِبٍّ ، عَدَا الْهَوَى ، لَخَفِيفُ أَتْلِينُ الصُّعَابُ أَمْ لَا تَلِينُ

* * *

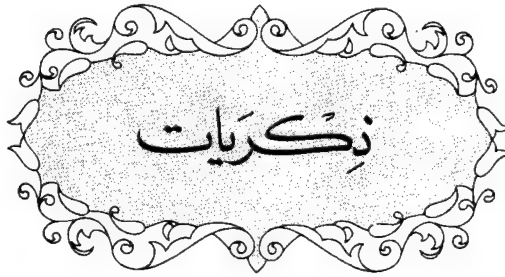
يَا كِنَاسًا ، يُشِيحُ بِالظُّبِيَةِ الْعَفْءُ.....رَاءِ ، مَا أَنْتَ لَوْ يَشَاءُ الْعَرِينُ؟^(١)
مَا احْتَمَّتْ فِيكَ ، بَلْ حَمَتَكَ ، وَلِلْحُسْنِ.....نِ صِيَاصٍ مَرْهُوبَةً وَخُصُونُ^(٢)

(١) يُشِيحُ : من أشاح بوجهه إذا عرض مبدياً كرهاً أو ازدراء . العفء : الظبية يعلو بياضها حمرة .

(٢) الصياصي : مفردها الصبيصة وتأتي بمعنى الحصن .



فايتاني من غير وداع يا رب حاسبها دي عملة لم كنت قبل البعد حاسبها
روحي وبهجة حياتي إزائي حاسبها لابد ما تعود لحصني يوم وحاسبها



لم يَزَلْ لَيْلُكَ يَسْتَوْجِي رُؤَاها وَيُنَاجِي رَمْلُكَ الظَّامِي حَيَاها
ذِكْرِيَاتٌ ، أَشْرَقَ الْوَادِي بِها مُذْ رَوَتْه ، بِسَنَاهَا وَنَدَاهَا
نُورَتْ فِي زَهْرِهِ فَتَنَّتْهَا وَجَلَتْ بِالْهَمْسِ مَكْنُونٌ لُغَاها
يَا لِنَعْمَانَ عَلَى عَهْدِ الصَّبَا رَحْلَةً ، وَاصْلَهَا الْحِسُّ ، فَتَاهَا^(١)
الهُوَى فَجَرُ سَنَاهَا الْمُرتَجَى وَجِرَاحُ الْقَلْبِ وَالسُّهُدُ جَنَاهَا

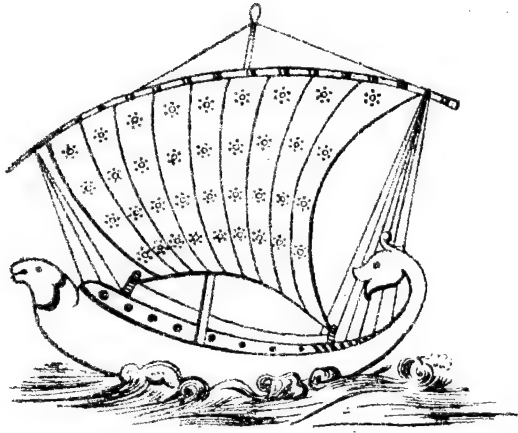
★ ★ ★

(١) نَعْمَان : واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، ويقال له : نَعْمَانُ الْأَرَاك .



أنا ما نسيْتُ حَيْنَكَ المتضمرُّما
والْحُزْنَ في عَيْنَيْكَ ، جَمراً خامِداً
وتَحَجَّرتْ دُنْيَاكَ حولَكَ بَعْتَةً
وَتَمَزَّقَ المَاضِي ، أَمَامَكَ ، كُلُّهُ
وَهَمَمْتُ أَنْ أَجْثُو على قَدَمَيْكَ لَوْ
فلقد غَدَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ هُوَّةٌ
أنا ما نسيْتُ ، وكيف أنسى زَلَّتِي
أنا لم أَبادِلْكَ الغَرامَ ، وإنَّما
قد كُنْتُ تَجَرِّبَتِي .. وأشْهَدُ أَنَّهَا
وَضَعْتُكَ بَيْنَ يَدَيَّ أَوَّلَ لُعبَةٍ
وَمَضَيْتُ في هَذَرِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ
فَسَكْتُ شاعِرةً بِهَوْلِ خَطِيئَتِي
وَحَلَفْتُ .. هل أَصغَيْتَ ، أو صَدَّقْتَ ، أو
وَبَكَيْتُ ، بعدُ ، فهل رَأَيْتَ لأدْمعي
وَصَدَّقْتُ في قولي ، كَذِبْتُ (بِإِنَّمَا)
وَحَرِمْتُ مِنْكَ سِوَى تَصَوُّرٍ ما مَضَى
وشُحوبَ وَجْهِكَ ، ثائراً مُستَسليماً
واللَّفْظَ في شَفَتَيْكَ ، هَمساً مُبهماً
وَبدا كِيَانُكَ صامِئاً مُتَهَدِّماً
وَبدا مَصِيرُكَ فيه لَيْلاً مَظْلِماً
كُنْتُ اسْتَطَعْتُ إِلَيْكَ أَنْ أَتَقَدِّمَ
لم يَنْصِبِ الغُفْرانُ فيها سُلماً
وَحَقَّارَتِي ، لَمَّا نَطَقْتُ تَهْكِماً ؟
حاولْتُ فِيكَ .. وَمِنْكَ أَنْ أتعَلِّمَ
كانت لِمَا آثَرْتُ فِيكَ المُلْهُمَ
وَذَكَرْتُ عَهْدِي في مُلَاعَبَةِ الدُّمَى
ورَأَيْتُ جُرْحَ أَسَاكَ يُمِطِرُنِي دَمًا
خَزِيًا ، وَكانَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ
أَتَرَعْتُ لي كَأْسَ انتقامِكَ عَلقَما ؟
وَنَدِمْتُ ، لَكِنْ ما النَّدَامَةُ بَعْدَما ؟
وشَقِيَّتْ أَنْتَ - وَكم شَقِيَّتْ - بِإِنَّمَا
لي من هَواكَ طَلاقَةً وتَأزُّماً

أَنَا مَا نَسِيتُ ، وَكَيْفَ أَنْسَى أَنْنِي قَتَلْتُ فَجَرَ حَيَاتِكَ الْمُتَبَسِّمًا ؟
أُقَاتُ بِالْحَرَمَانِ بَعْدَكَ وَالْأَسَى وَأُظِلُّ أَسْتَسْقِي الْحَنِينَ مِنَ الظُّمَأِ
حَتَّى تَعُودَ ؟ وَهَلْ تَعُودُ ؟ وَلَيْتَنِي أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى رِضَاكَ . وَرُبَّمَا





رسالة منها

ما زال عطرُ يدَيْكَ بينَ سطورِها
ووراءَ كلِّ فريدةٍ .. من لفظِها
من سحرِ عَيْنِكَ استعرتِ بياضَها
فلقد شهدتُ بكلِّ لفظٍ كوكباً
لِلَّهِ ما أَبَدَعَتِ من صُورٍ بها
ما زلتُ منذُ تَلَوْتُها وأَعَدْتُها ،
تَشْكِيَنَ من بعدي ؟ أَتِلْكَ حَقِيقَةً ؟
ماذا أقولُ أنا وما خَلَّفَتِ لي
حتَّى ارعوى بكِ عَهْدُنا ، فَذَكَرْتِهِ
تُهْدِي رِسالَتُكَ الحبيبةَ ضَوْءَهُ
قد كنتِ فيها ، مِلءَ نَفْسِي ، صورةً
فَمَتَى أراكِ حَقِيقَةً مَجْلُوءَةً
عُودِي إِلَيَّ لِتَقَرِّيها ، فَهِيَ مِنْ

يُزْري بِأنفاسِ الوُورودِ عَبراً
نَغْمٌ تَدْفُقُ رِقَّةً .. وشُعوراً
فَسَكَبَتْ فِيهِ على الصَّحائفِ نُوراً
يبدو وَيَخْفَى ، ساحراً مَسحوراً
ضاقَ البَيانُ بِمِثْلِها تَصَوِّيراً
في عَالَمِ ثَرِّ الرُّؤى ، مَخْموراً
يَمْضِي هَوَايَ بِها إِلَيْكَ مُشِيراً
في اليأسِ ؟ خُضْتُ ظِلَامَهُ مَقهوراً
وَأَزاحَ فَجْرُ وفائِكَ الدَّيْجُوراً
حَبّاً يَفِيضُ مِقاطِعاً وَسَطوراً
لَمْ يَلَقَ قَطُّ لها الحَيالُ نَظيراً
يبدو بِها وَجْهُ الحِياةِ نُضِيراً ؟
شَفَّتْ—نِيكَ أروغُ قِصَّةِ تَأثيرِها

★ ★ ★

الرَّبيع الدائم

لا تُقولي : مضى الرَّبيعُ ، ووَلَّى ، إِنَّه ، فيكَ ، دائِمٌ يَتَجَلَّى
 لم يَزَلْ عِطْرُهُ يَضُمُّحُ حَذْيُ.....كِ ، ويُلقِي على الطَّبِيعَةِ ظِلًّا
 ورُؤَاهُ تَبْدُو بِعَيْنَيْكَ سِحْرًا يَسْتَفِزُّ الهَوَى خَيَالًا مُطِلًّا
 ووروداً تَهْتَزُّ في ثوبِكَ الهَفَا.....هَافٍ ، أُنْدَى مِنَ الوردِ وأُحلى
 وعبيراً ، يَهيمُ في شَعْرِكَ الحَا.....لِكَ ، لاقى فِيهِ هُدَاهُ ، فَضَلًّا
 وجمالاً ، شابَ الزَّمانَ هِياماً بهَوَاهُ ، ولم يَزَلْ فيكَ طِفلاً
 لن يَغيبَ الرَّبيعُ في وجهِكَ الضَّ.....حِي ، شُكولاً ، وفي المَفَاتِينِ جَذْلَى
 أين منك الرَّبيعُ ، جِداً وصَدْرًا وشِعْراً تَرِفُ نَبْضاً ودَلًّا ؟
 أنتِ أنشودةُ الرَّبيعِ ونَجْوا.....هُ ، ودُنْيا هَوَاهُ ، مَعْنَى وشُكْلا
 صاغِكَ اللهُ مِنْهُ يَنْبوعُ حُسنٍ قُلَّ أنْ تَجْتَلِي له العَيْنُ مِثْلا
 عَجَزَ القَوْلُ أنْ يُصَوِّرَ مَعْنَا.....كِ بِمَعْنَاهُ ، مُكْثِرًا ومُقِلًّا
 وتَرَامَى الخيالُ فيكَ إلى أَغْ.....لَى بِجالاتِهِ ، فَأَلْفاكِ أَغْلَى
 خُلِقًا صافيًا ، وخُلِقًا قويمًا وَجَمالًا ، يَفِيضُ طُهرًا وتُبلا
 ضَرَبْتَ حَوْلَكَ القلوبُ نِطاقًا أَنْتِ فِيهِ رُوحُ سَمَا فَتَعَلَّى
 وأطافتْ بِكِ العُيونُ ، تُناجِي.....كِ ، رَجاءً في نَظَرَةٍ مِنْكَ عَجَلَى
 جَلَّ بَارِيكَ صُورَةً يَلْتَقِي فِي.....ها ربيعُ الجَمالِ ، فَرعًا وأَصلا



قلبي يحدثني ، ويا لمرارة الذكرى ، بأثك لن تعودِي
فأحسُّ بالأحلام والأطياف تهجُرني ، ويتبعها وجودي
وأرى الحياة - بغير أن ألقاك - دون سواك - ضيقة الحدود
والعيش قبل هواك سجنًا لم يُخلّصني ، سوى عينيك فيه من قيودي

* * *

أطلقت في ليلي الضياء بوجهك الضاحي الفريد
وأزحت من دربي الظلام بصوتك الحلو الوثيد
نثرت خطاك عليه ، ما شاءت رؤاي ، من الورود
فتنفست فيه الحياة ، طليقة ، بعد الركود
وتدفق الإلهام من عينيك ، يا سمراء ، سحرًا في نشيدي
وجرت به نسمات صوتك ألف لون في قصيدي
أشعلت نار الحب ، يا سمراء ، نارًا في وريدي
وبعثت في قلبي الحنان ، فهب من تحت الجليد
قد كنت ، يا سمراء ، في عيني .. سنى فجر جديد
لا تذهبي ، وترفقي - وسلّمت - بالأمل الوليد
أعطيتني ما لست أطمع فيه ، بغد ، إلى مزيد

أَعْطَيْتَنِي ثِقَتِي بِنُبْلِكَ بَيْنَ وَعْدِكَ .. وَالْوَعْدِ
لَنْ تَقْتُلَنِي .. بَعْدَ أَنْ أَحْيَيْتَ آمَالِي - فَذَيْتُكَ - بِالصُّدُودِ
سَأَعِيشُ بَعْدَكَ ، فِي ظِلَالِ الصَّمْتِ ، أَرْسُفُ كَالشَّرِيدِ
وَأَظْلُ أَضْرِبُ فِي فَرَاغِ اللَّيْلِ .. كَالْحَيِّ الطَّرِيدِ

* * *

وَاللَّيْلُ ، يَا سَمَرَاءُ ، بَعْدَكَ ، فُوْهَةُ الْبُرْكَانِ ، تَقْدِفُ بِاللَّهْيَبِ
وَالصَّمْتُ ، يَا سَمَرَاءُ ، بَعْدَكَ قِمَّةُ الْمَأْسَاةِ فِي قَلْبِي الْكَثِيبِ

* * *

الْمَقْعَدُ الْخَالِي يُسَائِلُنِي .. وَأَسْأَلُهُ : مَتَى يَأْتِي حَبِيبِي ؟
وَكِتَابُكَ الْمُلقَى يَفِيضُ أَسَاءَهُ بِالْمَلَلِ الرَّتِيبِ
كَمْ نَامَ بَيْنَ يَدَيْكَ مَخْمُوراً عَلَى الْحُلُمِ الطَّرُوبِ
تَسْرِي بِهِ نَعَمَاتُ صَوْتِكَ فِي ذُرَى أَفْئِدِ رَحِيبِ
وَيَهِيْمُ فِي نَعَمَاتِ ثَغْرِكَ بَيْنَ طَلَى وَطَيْبِ
سَأَعِيشُ ، بَيْنَ كِتَابِكَ الْمُلقَى ، حَزِيناً كَالْعَرِيبِ
وَأَرَى سَعَادَةَ قَلْبِي الْمَحْرُومِ .. تُمَعِّنُ فِي الْهُرُوبِ

* * *

اللَّيْلُ ، يَا سَمَرَاءُ ، بَعْدَكَ ، مَا زِقُ الضَّنْكِ الرَّهْيَبِ
وَالْجُرْحُ ، بَعْدَكَ ، لَنْ يَنَامَ بِمَأْتَمِ الْقَلْبِ الْحَرِيبِ
فَارْعَى كِتَابَكَ ، وَاقْرَأِي هَوْلَ النِّهَايَةِ فِي شُحُونِي^(١)

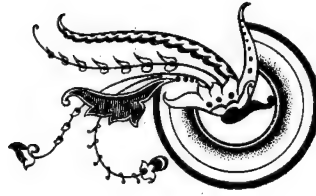
(١) فارغى : فعل أمر للمؤنث بمعنى : احفظي .

ما كنتُ أَحْسَبُ شمسَ آمالي سَتَجْنَحُ للمغيبِ
لكنَّهُ قَدَرُ العقولِ ، نَعَثَرَتْ ، يَبْنَ الدُّرُوبِ
ما كنتُ غَيْرَ فراشَةٍ ، رَغْنَاءَ ، تَسْقُطُ في اللّهُيبِ
وكذاك تَحْتَرِقُ القلوبُ على لَظي الأملِ الكَذُوبِ
إنِّي ، لأَسألُ خائفاً مَترقباً ، ألا تُجِيبِي
هل كان يومٌ .. عَرفتُ فيكَ هَوايَ ذَنْباً من ذُنُوبي ؟
يا للقرِيبِ من البعيدِ وللبعيدِ من القريبِ !



قصيدة لم تتم

كلُّ قلبٍ مقيّدٌ بهـواه لا يُبالي ، شفاهُ أو أشقاهُ
 وإذا هامَ عاشقٌ بحبيب لم تُسعَ نفسه حبيباً - سيواهُ
 أجفا أم وفى ، وأسعد أم أبى عدّ؟ كلُّ يزيدٍ في معناهُ
 إنَّه الحبُّ ، راحةٌ وعذابٌ في تلاقي نعيمٍ بهـلظاهُ
 جمَعَ الحُزنَ والمسرّة ، ضديّ ن ، فزانا بسحره دُنياهُ
 ما رَفيفُ الأضواءِ ، في الفجرِ ، لولا وحشةُ الليلِ .. صمتهُ ودُجَاهُ؟
 والمزايا ، لولا العيوبُ ، صفاتٌ





الحُبُّ في عَيْنِكَ ، يا سمراء ، عاصفةُ تَرُوعُ
بحرَ رهيْبُ المَوْجِ ، يَعْصِفُ بالقوارِبِ والقلُوعُ
نارٌ تُوجِّعُها الجِراحُ ، وليس تُطْفئُها الدُّموعُ
حربٌ تكسَّرتِ السُّيُوفُ بها .. وحُطِّمَتِ الدُّروعُ
لا وَزَنَ فيها للقلوبِ تذوْبُ ، وَجَدًا ، كالشِّموغُ

* * *

والحُبُّ في عَيْنِكَ ، يا سمراء ، عَرِيذٌ يُعْنِي
حَانَ على جَنَابِهَا الحُمُرِ الحَضِييَةِ أَلْفُ دَنٍّ
غَابَ تَعَوَّدَتِ الكَواسِرُ فِيهِ أَنْ تُعْنِيَ وتُعْنِي
إِنِّي أَرى جُنَّتِ الضَّحَايا فِيهِ تَمَلَأُ كُلَّ رُكْنِ
الْيَمِّ ، يا سمراء ، غَلَّابٌ ، وَعَزَمِي ليس يُعْنِي

* * *

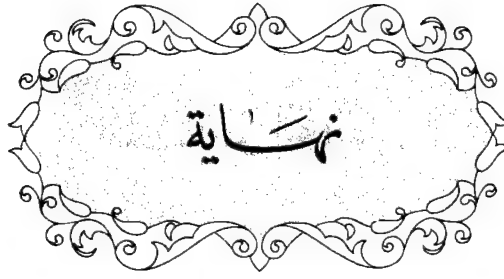
سمراء ، إن عَزَّ الإِيَابُ فَإِنَّهُ قَدَرُ انْتِهَائِي
كُنَّا على وَعْدِ التَّلَاقِ فِيهِ .. في يومِ اللِّقَاءِ
قَدَرٌ بَدَأَ في عَيْنِكَ الوَسْئَى فَادَّنَ بانْطِوَائِي

وَرَمَيْتُ ، كَالطَّيْرِ الْجَرِيحِ ، بِنَظَرَتِي عَبْرَ الْفُضَاءِ
لَوْ كُنْتُ عَانَيْتِ الشَّقَاءَ لَمَّا صَبَرْتُ عَلَى شَقَائِي

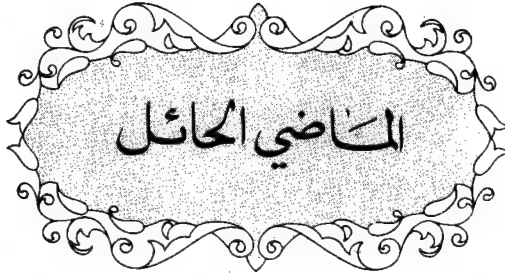
* * *

وَلَمَّا لَهَوْتُ ، وَأَنْتِ صَامِتَةٌ ، بِشَجْوِي .. بَانْتِحَايِي
بِعْتَابِ عَيْنِي ، فِي غِيَابِكَ ، غَيْرَ وَاعِيَةٍ عِتَائِي





لا تَقُلْ : كَأَنْتَ ظَنُّنَا .. فَلَقَدْ كَانَتْ جُنُونَا
وَعَرَاماً يَائِساً آثَرَ أَنْ يَبْقَى شَجِينَا
فِي ظِلَامِ الشُّكِّ وَالْحَيْرَةِ وَهَمّاً ، أَوْ يَقِينَا
وَشُعُوراً جَفَّ بِالْغَيْرَةِ سُهْداً وَشُجُونَا
وَحِجَى طَاحَ بِهِ الضَّنْكُ ، عَلَى الْوَعْرِ ، طَعِينَا
فِي صِرَاعِ ظَلٍّ بِالرَّاحَةِ ، وَالسَّلْوَى ، ضَيْنَا
وَأَنَا رَمَزُ الْأَسَى فِيهِ ، كَمَا قُلْتُ ، مَهِينَا
وَأَنَا يُخْرِسُنِي صَوْتُكَ جِيَّاشاً .. حَزِينَا
حَجَزَ الْكِبَرُ دُمُوعِي ... بَعْدَمَا فَاضَتْ سِينَا
لَمْ أَقُلْ أَنْتَ ، وَلَمْ أُخْفِضْ ، وَلَمْ أُرْفَعْ جَبِينَا
مَنْذُ كَانَتْ كِيرْيَاءُ الْجُرْجِ أَمِراً ، لَنْ يَهُونَا
لَمْ لَا تَنْسَى ؟ دَعِ الْمَاضِيَ بِمَثْوَاهُ ، دَفِينَا
لَمْ تُقْضِي فَضْلَةَ الْعُمْرِ صِرَاعاً ، وَأَتِينَا
لَمْ لَا نَسْتَقْبِلُ الْفَجَرَ ، خُشُوعاً ، وَسُكُونَا
قُلْ مَعِيَ - وَلَيْسَ هَذَا اللَّيْلُ - افْتَرَقْنَا ، وَتَسِينَا
لِنَعِشَ حُرَيْنِ ، كَالْأَطْيَافِ ، دُنْيَا الْحَالِمِينَا



سِرْتُ فِي ذَاتِ مَسَاءٍ شَاحِبٍ قَاتِمِ الْأَرْجَاءِ ، مَطْمُوسِ الظُّلَالِ
مُطَرِّقاً أَصْغَى لِمَاضِي ذِكْرِيَّاتٍ بَعَثَهَا وَمَضَاتٍ مِنْ خِيَالِي

* * *

لَحْظَةً فِي سُرْعَةِ الضُّوءِ أَطَافَتْ بِي عَلَى كُرْهِ ، وَفِي طُولِ الْأَبَدِ
خَلْتُ أَنَّ الْكَوْنَ أَمْسَى بَعْدَهَا رَاجِئاً كَالْبَحْرِ ، يَرْمِي بِالزَّبَدِ

* * *

وَإِذَا الْمَاضِي وَمَا أَوْدَعْتُهُ مِنْ مَلَاهِي وَمَرَاذِي عُمْرِي
ضَارِبٌ فِي صَحْرَاءِ الْكَوْنِ مَاضٍ أَتْرَاهُ ؟ كَانَ يَقْفُو أَثْرِي ؟

* * *

وَتَلَقَيْنَا عَلَى غَيْرِ اسْتِيفَاقٍ وَكَذَا عِشْنَا عَلَى غَيْرِ وِفَاقٍ
وَتَعَارَفْنَا ، وَقَدْ كُنَّا تَنَاقَرُ..... نَا قَدِيماً ، وَتَوَاعَدْنَا الْفِرَاقِ

* * *

وَمَشَى نَحْوِي مَكْدُودَ الْخُطَى ظَاهِرَ اللَّوْعَةِ مَرْهُوبِ الْأَسَى
عَاتِياً تُرْسِلُ عَيْنَاهُ الْكَلَامَ يَتَلَطَّى ، وَهُمَا لَمْ تَنْبَسَا

* * *

وانثنى يسألني كيف نسيْتُ ؟ قلتُ : ماذا يذكُرُ العاني الشَّريدُ ؟
أنا من حاضِرِ أمري في جهادٍ كلُّ ما يذهبُ فيه لا يعودُ

* * *

قال : لو كنتَ حزيناً لم تُضِعْ ذكرياتِ الحُزن ، والماضي الشَّهيدِ
إنَّما أغرقتَهُ في حاضِرٍ طافحٍ باللَّهُو ، والحُبِّ الجَدِيدِ

* * *

أكذا أنتَ وأيمانَ الوفاءِ أينَ ما يشهدهُ اللَّيْلُ عَلَيْكَ ؟
يومَ كانتَ بهجَةُ الدُّنيا تَرَأَى لكُ في هذا الذي بَيْنَ يَدَيْكَ

* * *

فانطَوَى ، بل أنتَ قد أسلمتَهُ للفَنّا ، وانصرفتَ نفسك عَنْهُ
كنتَ تَرجوهُ حريضاً شَيِّقاً فَعَدَا اليَوْمَ عَنَّا تهربُ مِنْهُ

* * *

كنتَ تَخشى نَسمةَ الفجرِ عليه وَنَدَى اللَّيْلِ ، وَلُجَّ الأَعْيَنِ
وترى اللَّحظةَ دَهراً إنْ نَأَى وَهُوَ اليَوْمَ طَريدُ الزَّمَنِ

* * *

ذاك ما آثرتَ فيه راضياً لَيْتَهُ آثَرَهُ فَيْكَ قديماً
يومَ كانتَ نظرةٌ مِنْهُ خَلَتْ من رقيقِ العَطفِ تَذروكَ هَشِماً

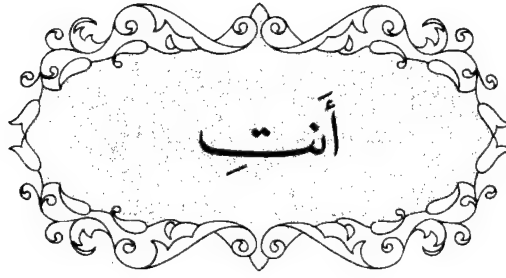
* * *

كان مأواكَ الذي رَفَّ عليه ضَوْءُ دُنياكَ ، وللدُّنيا العَفَاءِ
تَنضَحُ الأحلامُ فيه أَلْقَاءً والهَوَى يَرَفُضُ سِحْراً وَرُوءاً



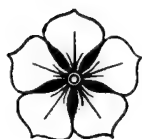
حييتي قلنا .. وأكثرنا
وكم تلاقينا على غاية
وقلت : ضيقنا بقيود الهوى
فأبحر البعد بنا والأسى
فطارح النسيان آامنا
وقد بلغنا غاية في الهوى
كيف اختلفنا ، فاتفقنا على
لن أنكر الواقع .. لن تُنكرى
أما اعتزمنا ألف أن نلتقي ؟
أحلف : ما أترع أقداحنا
جرت دواعينا بناحية
تهيب بالماضي خيالنا
إلى متى تطوي جراح الأسى
ثبنا وثبنا ، وارعونا إلى
وندم المذنب كفارة

وكم صفونا .. وتكدرنا
من الرضى .. ثم تغيرنا
ذرعاً .. فها نحن تحررنا
في رحلة الصمت ، وأبحرنا
فهل نسينا ؟ بل تذكرنا
حاصلها أنا تحيرنا
وإد الهوى ؟ كيف نعتزنا ؟
أما ندمنا .. وتحسرننا ؟
فإن تلامحنا تسمرننا
شجواً ، سوى أنا تكبرنا
فما لنا نحن تحججنا ؟
حتى إذا لبي تأخرنا
مما تخيلنا .. وصورنا ؟
صفو ، وبالدمع تطهرنا
ونحن أذنبنا ، وكفرنا



أَنْتِ الَّتِي أَيْقَظْتَ قَلْبِي
مِنْ عَمِيقِ سُبَاتِهِ ..
وَأَثَرْتَ أَفَقَ حَيَاتِهِ ..
وَسَطَعْتَ كَالْفَجْرِ الْمُرْدِ
فِي دُجَى ظُلُمَاتِهِ
وَدَفَعْتَ تَيَّارَ الشُّعُورِ
فَدَبَّ فِي خَفَقَاتِهِ
وَنَثَرْتَ آلَافَ الزُّهُورِ
عَلَى حُقُولِ مَوَاتِهِ
وَأَزَحْتَ أَسْتَارَ الضُّبَابِ
غَفَا عَلَى صَبَوَاتِهِ
وَكَسَرْتَ كُلَّ قُيُودِهِ
وَهَدَيْتِهِ بَعْدَ الضِّيَاغِ
فَإِذَا بِأَحْلَامِ الشَّبَابِ
تُضِيءُ فِي قَسَمَاتِهِ
وَتَلُوحُ فِي خُطُواتِهِ

وَتَفِيضُ مِنْ عَزَمَاتِهِ
 وَتَفِيضُ فِي بَسَمَاتِهِ
 أَنْتَ الَّذِي .. بَلْ أَنْتِ
 لَا .. بَلْ أَنْتِ ..
 مَا جَذَوَى الْكَلَامُ؟
 مَاتَتْ عَوَاطِفُنَا
 فَلَيْسَ يُعِيدُهَا لِحَيَاتِهَا
 كُلُّ الْكَلَامِ
 وَتَرَمَّدَتْ نَارُ الْهَوَى
 بِفِرَاقِنَا .. وَخَبَا الْعَرَامُ
 فَعَلَامَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ؟
 وَإِلَامَ نَحْلُمُ بِالْمَعَادِ؟





لستُ أشكو منك
بل أشكو إليك
فحياتي كلها بين يديك
ضاع ماضي عذاباً واضطراباً
وارتياباً واكتئاباً وعتاباً
فأرحمني من شجوني وظنوني
وحيني وأنيبي وجنوني
لا تقولي : كيف لا تنسى ؟
وقولي : كيف أنسى ؟
فجري الضائع أحلاماً وأنساً ؟
كيف لا أنشده في قلبك الصافي وفاء ؟
كيف لا أنكره من لفظك العذب رياء ؟
كيف لا يضرب فكري في ضباب ؟
كيف لا تغرق أحلامي وآمالي في هذا العباب ؟
لم يزل صوتك في سمعي وفي قلبي يُغني
أشكُ آلامك لي ، لا تشك مني
فأنا اليوم - وعينيك - كما كنتُ بأُمسي

أَتَلَهَّى بِمَصِيرِي فِيكَ عَنْ هَوْلِ مَصِيرِي
رَغَمَ يَاْسِي

فَدَعَيْنِي لِشَجُونِي وَظُنُونِي

فَهَيَّ مِنْ صُنْعِ خَيَالَاتِي

وَمِنْ وَحْيِ جُنُونِي

فَدَعِيهَا .. وَدَعَيْنِي

لِلتَّجَنِّي .. وَالتَّمَنِّي

فَلَقَدْ يُرْضِيكَ - لَوْ أَرْضَاكَ - أَنِّي

لَسْتُ أَشْكُو مِنْكَ أَوْ أَشْكُو إِلَيْكَ

مِنْ حَيَاةٍ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ

فَإِذَا شَاقَكَ أَمْرِي

فَأُسْأَلِي لَيْلَكَ عَنِّي

فَهُوَ أَذْرَى بَعْدَايَ

مِنْكَ يَا سِرَّ عَذَابِي

فَأَنَا السَّارِي إِلَى غَايَتِهِ

خَلْفَ السَّرَابِ

أَقْطَعُ الدَّرَبَ ، وَلَا أَعْرِفُ

أَوْ أَسْأَلُ ، أَيَّانَ مَا بِي

وَمَعِيَ ضَوْثُكَ .. وَالذِّكْرَى

وَمَأْسَاةُ شَبَابِي وَاغْتِرَابِي

١٣/١٠/١٩٦٤ م

اذرفي الدَّمع

إِذْرِفِي الدَّمْعَ عَلَى مَاضِيكَ ، فَالْدَّمْعُ عِقَابُ
وَالْأَسَى فِي نَدَمِ النَّفْسِ مِنَ الْإِثْمِ مَثَابُ
رُبَّمَا كَفَّرَ عَنْ ذَنْبِكَ ، حُزْنٌ ، وَعَذَابُ
غَيْرِ أَنَّ الذَّنْبَ يَبْقَى ، صَاحِبًا تَحْتَ السُّكُونِ
وَصِرَاعًا أَبَدِيًّا ، فِي نُفُوسِ النَّادِمِينَ





عُدتْ بعدَ النَّأْيِ الطَّوِيلِ .. نَعَمْ عُدْتُ تِ ، وعادَ المَاضِي الكَرِيهُ .. الرَّتِيبُ
عُدتْ كالطَّارِقِ الغَرِيبِ .. تَلَقَّا هُ ، على غَيْرِ ما يَريَدُ ، غَرِيبُ
عُدتْ مَهْدورَةً الكَيانِ .. وَقَدْ رَأَى نَ على وَجْهِهِ الأَسَى والشُّحوبُ^(١)
وَبِخْدِيكَ للمَعَارِكِ آثَا رٌ وفي قَلْبِكَ الكَسِيرِ .. نُدوبُ^(٢)
وَبِعَيْنَيْكَ قِصَّةَ الأَلَمِ الطَّأ فِج بالعارِ ، في لَظَاهَا يَلُوبُ
وَيْلِكَ ! ماذا ذَهاكَ مِنْ واقِعِ الدُّنْ يا ، أَمَّا فِيهِ لِلحِسانِ .. نَصِيبُ ؟
عَجَباً ! كيفَ لم يُرْحَبْ بِكَ الحُ بٌ ، ولم تَشَقْ في هَواكَ القَلُوبُ
أَفكانَتْ آمالُ أَمْسِكَ أَحلا ما ، طَوَى ضَوْءَها المُرَجَّى .. غُرُوبُ ؟
شَدَّ ما أَوْهَنَ السَّرى مِنْكَ ، والإِخ فاقُ ، فيما التَمَسْتِهِ .. واللُّغُوبُ^(٣)
أَيْنَ مِنْ أَطْمَعَتِكَ في الخُلْدِ عَينا هُ ، مَلِيّاً ، وَوَجَدَهُ المَشَبُوبُ^(٤)
أُثْراهِ ارْتَوَى ، فَضَلَّ ، أَمِ ارْتا عٌ بما فيكَ ، والخيالُ كَذُوبُ ؟
فَتَطَرَّحْتَ للرَّغائبِ .. مِنْ كَفِّ لِكَفِّ ، حَتَّى بَرَّكَ الدُّؤُوبُ^(٥)

(١) ران الأسي : غَلَبَ وغطى .

(٢) التدوب : جمع : التدب ، أثر الجرح .

(٣) اللغوب : التعب والإعياء .

(٤) مَلِيّاً : زماناً طويلاً . التَّوَجَّد : الحب . المشبوب : المتوهج ، الموقد ، النائر .

(٥) تَطَرَّحَ : مَثَى مَثَى ذِي الكلال والضعف ، انطرح . بَرَّكَ : أُنْخَلِكَ .

سلعة ، لم تجد سوى العابر اللا..... هي بأشباهاها ، وأين الحبيب ؟
طوّفت ، لا تقر .. والناس ماضو.....ن إلى ما يطيب ، أو لا يطيب
وهي بين الرجاء واليأس ساج مضنك ، أثقلت خطاه الدروب^(١)
فدعاها الماضي ، فحنت إليه حين خابت ، وأثقلتها الذنوب
ذكرت يومها الذي هربت من.....ه ، ومن خلفها كيان يذوب
الصغار الباكون ، والمنزل الها.....وي ، بما كان ، والعذ المهبوب
ماتم للحياة ، لم يجنيه الم.....ت ، ولكن جنته أم لعوب
ثم ماذا ؟ أنت صادقة الد.....ج ، وماضيك بالدموع يصوب^(٢)
ثم ماذا ؟ أعدت طاهرة الذ.....ل ، وتلك الجراح عنك تجيب ؟
إنما عدت مضغة نال منها ما توخاه مخلف ومثيب^(٣)
إنما عدت حفنة من رماد مات فيها بعد الحياة اللهب
إنما عدت سيرة ، أنت منها مازق الضنك والخيال المريب^(٤)
عدت بالشك ، عالقاً بك ، لا يأ.....من عقباه ، غافل ، وأريب
عدت لي قصة من الدم ، يروي.....ها لعيني ، جرحك المخضوب
ما أرى ؟ هل أرى خيالاً من الما.....ضي إلى حاضري الجريج يؤوب ؟
ما الذي كان في ظلام مساري.....ك ، وقد غاب عن خطاك الرقيب^(٥)
ما الذي كان في لياليك ، إذ فا.....ضت حيناً .. والورد منك قريب ؟

(١) مضنك : متعب ، مجهد .

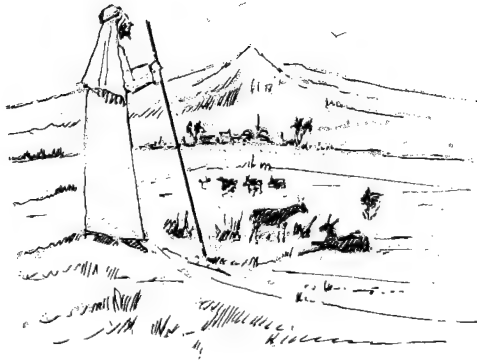
(٢) يصوب : صاب المطر : انصب وجاد .

(٣) المضغة : القطعة التي تمضغ من لحم وغيره . المخلف : ناكص بوعده العطاء ، وعكسه المثيب .

(٤) المازق : المضيق الحرج .

(٥) المساري : ج سرى وهو السير في الليل .

والْحُمَيَّا .. وَأَنْتِ .. وَالْعُود ، وَالْأَلْ.....حَانُ ، نَشْوَى .. وَالصَّادِحُ الْمَحْبُوبُ ؟
 وَالضِّيَاءُ الْحَانِي عَلَى الْمَخْدَعِ اللَّ.....هِثُ ، رَفَّتْ بِهِ الرُّؤْيُ وَالطُّيُوبُ^(١) ؟
 لَيْسَ سِرًّا مَا تَكْتُمِينَ ، فَقَدْ بَا.....حَ بِهِ أَمْسُكَ الْبَغِيضُ الْكَثِيبُ
 أَمْسُكَ الْخَائِنُ الْمَشْبَعُ بِاللُّغ.....نَةِ ، عَيْنَاكَ رَمَزَهُ الْمُثْقُوبُ
 فَأَبْكَ مَا شَعْتَ ، لَنْ يُطَهَّرَكَ الدَّم.....عُ ، وَلَوْ أَنَّه دَمٌ ، وَلَهَيْبُ
 كَذَبَتْ هَذِهِ الدُّمُوعُ ، فَمَا أَنُ.....تِ سِوَى أَنْتِ .. وَالشَّبَابُ رَطِيبُ
 أَنْتِ مِنْ نَهْجِكَ الْمُلُوثِ فِي قَي.....دِ ، وَنَهْجُ الْغَاوِينَ قَيْدُ غَلُوبُ
 لَا تَقُولِي : ظَلَمْتَنِي . كُلُّ مَا فِي.....كَ ، إِذَا خَانَنِي حِجَابِي ، مُرِيبُ^(٢)



(١) دَقَّتِ الرُّؤْيُ : دَنْت ، تَجَمَّعَتْ ، تَهَيَّأَتْ .

(٢) الْحَجِي : الْعَقْل .



الْعُمُرُ سَاعَاتُهُ ثَوَانٌ وَقِصَّةُ الْحَيِّ مِنْذُ كَانَ
 قِصَّةُ سَارٍ بِلَا ثَوَانٍ بَيْنَ سَبِيلَيْنِ مِنْ دُخَانٍ
 فَاْمَرَحْنِ وَارْقُصْنِ يَا حَسَانَ وَاکْرَعْنِ مِنْ خَمْرَةِ الدَّانِ
 وَفُضْنِ بِالْحُبِّ وَالْحَنَانِ وَارْفُلْنِ كَالْحُورِ فِي الْجَنَانِ

فَانَّهَا خُلُوسَةُ الْأَمَانِ مِنَ الزَّمَانِ ^(١)

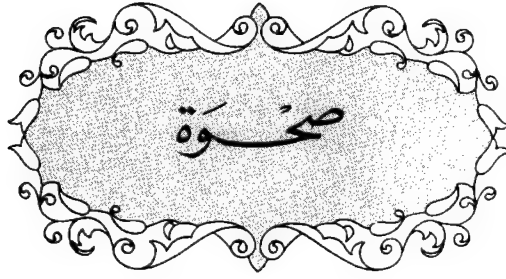
وَاصْبِيْنَ مِنْ فَاغَمِ الْعَبِيرِ سَكَّرَ حُمَيَّاهُ فِي الصَّدُورِ
 وَاطْفِرْنَ فِي خِيفَةِ الطُّيُورِ وَاعْرِقْنَ فِي نَشْوَةِ الزُّهُورِ ^(٢)
 وَاخْطِرْنَ فِي رِقَّةِ الْأَثِيرِ وَابْعَثْنَ فِي الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ
 رِسَالَةَ الْحُسْنِ وَالشُّعُورِ هَدَتْ ضَمِيرًا إِلَى ضَمِيرِ

فَلَطَفَتْ وَقْدَةَ الْهَجْرِ لِلْمُسْتَجِيرِ

مَالَتْ غُصُونٌ عَلَى غُصُونٍ وَأَثَمَرَ الْحُبُّ فِي الرُّكُونِ
 وَارْتَوَتْ الْأَرْضُ بِالْمُزُونِ فَأَنْبَتَتْ رَائِعَ الْفُتُونِ
 سِحْرًا تَسَامَتْ بِهِ الضُّنُونِ لَا حَدَّ ، لَا قَيْدَ ، لَا ظُنُونِ
 لَا هَمَّ ، لَا إِنْثَمَ لَا شُجُونِ
 وَكُلُّ مَا كَانَ أَوْ يَكُونُ إِلَى سُكُونِ

(١) الخُلُوسَةُ : الفرصة .

(٢) طفر : قفز .

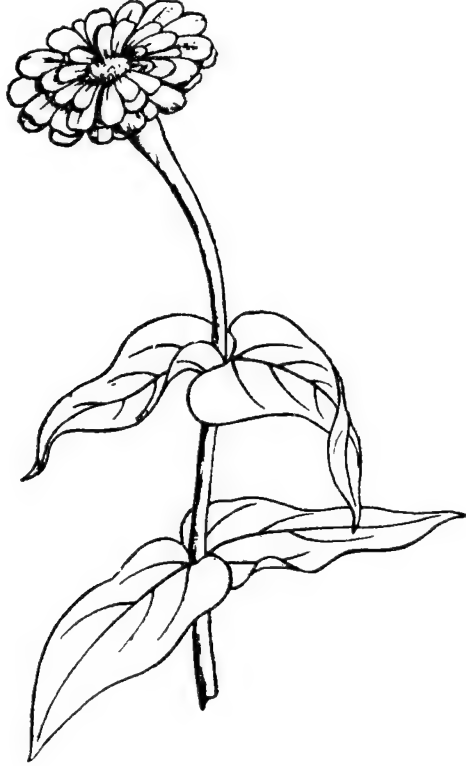


أَمَّا أَنَا فَقَدْ انْتَهَيْتُ
وَشَرِبْتُ مِنْ حُلِيِّ الْكَؤُوسِ
وَمُرَّهَا .. حَتَّى ارْتَوَيْتُ ..
وَبَلَغْتُ مِنْ غَايَاتِ حُبِّكَ
مَا كَرِهْتُ .. بِمَا اشْتَهَيْتُ ..
وَأَفْقْتُ مِنْ حُلْمِي الْجَمِيلِ
عَلَى الْحَقِيقَةِ .

وَهِيَ كَابُوسٌ ثَقِيلٌ ..
وَتَسَلَّلْتُ مِنْ حَاضِرِي
أَوْهَامُ مَاضِيكِ الْحَفِيلِ ..
وَفَرَعْتُ مِنْ وَصَبِ الْخِيَالِ
فَلَا اشْتِيَاقَ .. وَلَا غَلِيلَ ..
وَطَرَحْتُ أَعْبَاءَ الشُّعُورِ
بِكُلِّ مَا قَدْ كَانَ مِنْكَ ،
وَمَا يَكُونُ

وَحَلَصْتُ مِنْ تِلْكَ السَّفَاسِفِ وَالْقَشُورِ
وَمَنْ فُجَاءَاتِ الْجُنُونِ
وَنِعِمْتُ بِعَدِّكَ بِالسَّكُونِ ،
فَلَا صِرَاعَ وَلَا دُمُوعَ وَلَا ظُنُونِ .
لَا تَطْرُقِي بَابِي فَقَدْ أَوْصَدْتُهِ
وَأَمِنْتُ ثَائِرَةَ الرِّيحِ ،
وَوَهَبْتُ عَمْرِي لِلطَّبِيعَةِ
بَيْنَ لَيْلِي وَالصَّبَّاحِ ..
وَهَرَبْتُ مِنْ أَسْرِ الْحَيَاةِ
وَرُحْتُ مِنْطَلِقَ الْجَنَاحِ ..
مَا أَنْتِ ؟ مَا أَنَا ؟
شَهْوَتَانِ تَلَاَقَتَا
فِي مَوْقِفٍ دَعَتْهُمَا حُبًّا
فَأَصَابَتَا
مِمَّا أَتَّاحَ هَوَاهُمَا
دَفْعاً وَجَذْباً
حَتَّى إِذَا انْطَفَأَ الْأَوَارُ
تَدَاعَتَا مَلَأً وَسَلْباً
هِيَ قِصَّةُ الْإِنْسَانِ

أَسَدَلْ أَوْ نَضًا عَنْهَا السُّتَارُ
كَانَتْ .. وَكَانَ اللَّيْلُ
وَاللَّهْبُ الْمُثَارُ ..
تَهْوِيَةِ الْمَخْمُورِ ،
طَاحَ بِمَا أَقَامَتْهُ الْخُمَارُ ...





سَعَادُ .. يَا أَنْشُودَةَ الرَّيِّعِ
يَا أَحْلَامَهُ النَّشْوَى بِصَبْوَةِ الْجَمَالِ
وَيَا ضِيَاءَ الْفَجْرِ ..

يَا دَعَاءَهُ الْخَنُونَ ، يَفِيضُ بِالْفُتُونِ
مِنْ دِنَانِهِ الْمُضْمَخَاتِ بِالطُّيُوبِ ، رَشَّتِ الدُّرُوبُ
فِي تَهْوِيْمَةِ الزُّهُورِ ، يَحْلُمُ حَوْلَهَا الطُّيُورُ

* * *

سَعَادُ يَا إِشْرَاقَةَ الْأَمَلِ .. وَبَسْمَةَ الشَّبَابِ
يَا أَسْطُورَةَ الْهَوَى فِي كَهْفِهَا الْمَسْحُورِ
تُطْلِقُ الْعَبِيرَ ، حَوْلَهَا ، مَجَامِرُ الْبُخُورِ
تَقْصُّ عَنْ (عِشْتَارَ) قِصَصَ الْجَمَالِ وَالشُّعُورِ^(١)
مَجْنَحَاتٍ ، تَنْهَبُ الْفَضَاءَ ، فِي أَشْعَةِ الْقَمَرِ

* * *

(١) عِشْتَار : زعم الآشوريون والبابليون - وهم من المشركين - أنها آلهة الحب والخصب ، وعبدوها ، وكانت محل إجلال ملوكهم . وتقابلها « عِشْتَرُوت » عند الفينيقيين ، و « أفروديت » عند الإغريق ، و « فينوس » عند الرومان .

سعادُ ، يا شَبَابَ السُّكُونِ
هل كنتِ تَحْلُمِينَ في إِغْفَاءِ مُتَعَبَةٍ
قَصَرْتُهَا بِمَطْلَبِي الذَّاهِلِ .. لا يَغْفِرُهُ الحَنِينُ
أَتَى بِي الشَّوْقُ لَكِي أراكِ
كِي أَرشَفَ الألفاظُ ، حلوةً ، من فَمِكَ الجَمِيلِ
وكي أَرى السُّبَاتَ في عَيْنِكَ
زورقاً يَسْبَحُ بين ضَفَّتَيْنِ
مُخْمَلَّتَيْنِ ، تَنْضَحَانِ بالشَّدَا ..
تُبَارِكَانِ ، في حَنَانٍ ، رِحْلَةً ، تَرْفُهَا سَكِينَةُ الحَنَانِ

* * *

سعادُ ، عيناكِ بُحَيْرَتَانِ .. فاضتا
بكلِّ ما في فِتْنَةِ الرَّبِيعِ ، من مَفَاتِيحِ الحَيَاةِ
وكلِّ ما في رَوْعَةِ الشَّبَابِ .. من ذَخَائِرِ الشَّبَابِ
وكلِّ ما لا يَعْرِفُ الشَّبَابُ من دَوَافِعِ الحَيَاةِ .. في خَوَالِجِ الشَّبَابِ

* * *

سعادُ .. هل تَقْرَأُ عيناكِ الذي تَخْطُطُهُ عيناكِ ؟
وهل سَمِعْتَ .. شَهَقَاتِ مُهْجَتِي الحَرَّى ؟
تَطْوِفُ كَالْفَرَّاشِ ، حَوْلَ وَجْهِكِ الوَضَاءِ ، دَافِئَ السَّمَاتِ ؟
وهل تَرَيْنَ دَمْعَةً في كُلِّ كَلِمَةٍ لا هَيْئَةَ ، يُرْسِلُهَا فَمِي ؟

وهَلْ شَعَرْتُ فِي انقباضِ صَوْتِي الحزينِ عندما أودَعْتُكَ ؟
وهَلْ تَبَعْتُ خُطَايَ ، سَمَرِ الأَسَى انطلاقَهَا ؟

* * *

هذا أَنَا أَضْرَبُ فِي الفَرَاغِ مَوْغِلًا فِي رِحْلَةِ الضِّيَاعِ
رِحْلَتِي ، وَقَصَّتِي التي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَدْوُهَا خِتَامَهَا
قِصَّةُ عُمُرٍ جَاوَزَ الشَّبَابَ .. بَلْ أَضَاعَهُ
فِي تِيهِ مَسْرَاهُ .. إِلَى مَصِيرِهِ ..
حَتَّى رَأَى فِي رَاحَتِكَ الحُلُوتَيْنِ .. سَرَّ ذَلِكَ المَصِيرِ
فَارْتَمَى بَيْنَهُمَا ..

وَرَاخَ فِي سُبَاتِهِ العَمِيقِ ، كَالْعَرِيقِ
لَا يَسْأَلُ الطَّرِيقَ .. عَنْ نِهَايَةِ الطَّرِيقِ

* * *

سَعَادُ ، مَا أَحْلَى اسْمَكَ الطَّرُوبَ .. صَانِعَ المَعَادِ
سَعَادُ ، يَا تَهْوِيمةَ القَرَارِ .. بَعْدَ رِحْلَةِ السُّهَادِ
تَأَلَّقِي ، وَأَرْسِلِي ، مِنْ نَاضِرِكَ الوَاعِدِينَ ، نَفْحَةَ الصَّبَاحِ
وَقَطْرِي مِنْ رَاحَتِكَ بَلَسَمِ الجِرَاحِ

* * *

سَعَادُ ، إِنْ أَذْنَبْتُ ، فَاغْفِرِي
وَإِنْ أَسَأْتُ ، فَاسْتُغْفِرِي ..

فإنَّ عَيْنِيكَ وراءَ قِصَّتِي

مِلادُ قِصَّتِي

تلك التي .. أخافُ أن يكونَ بدؤها .. ختامها

* * *

سعادُ .. هل أقوى على استئنافِ رحلة الضياع ؟

ورحلة الإيغال .. والتطويفِ في متاهة الفراغ ؟

ورحلة الشوقِ إلى المصيرِ ، قاذُ وقاذني القَدَر .. ؟

وأنتِ ذلك المصير ؟

نَعَمْ .. فأنتِ ذلك المصير ...

في قصة الفراغ .. والصراع .. والضياع

والأسى المرير .. ووقدة الهجير ، في دوامة السرى

* * *

يا قِصَّتِي .. يا فصلها المثير

هذا أنا وفي يدي الشراع

أنشدُ الرفيق .

فهل تحوضين معي .. بجانبِي ؟

وفي يديكَ ذَفَّةُ الشراع ؟

غياهاً - تُضيئُها عيناك .. ينبوعين ؟

هدَّارينِ بالسَّنا . وبالأمل

بكلِّ ما هامت به رُوحِي في طريقها الطويل ؟

سعادُ .. هذا موعد اللقاء قد دنا

وارتفعت خواجي ..
وقبل أن أراك في أرجوحة القمر
تسمر الخيال .. قلقاً .. من رهبة الوداع

* * *

سعاداً .. لو كان لقاءً ، ليس بعده وداع
وليس بعده فراق
لو كان ؟
أقلتها ؟
كلّا . فلن أهمسها في أذنك
ساعة اللقاء .. لأنني أخاف لحظة الوداع .. أن تكون لحظة الفراق

* * *

سعاداً .. مازالت يدي مَشدودةً على الشراع
ونظرتي تائهةً عبر الفضاء .. ترقبُ الفراغ، والصراع، والضيق
ووجهك الصغير .. نجمةً .. تبين تارةً وتختفي ..

* * *

ما أبعد الرحلة .. يا حبيبتى ..
وما أمرها
رحلةً من لا يجد الرفيق
عندما يظن أنه .. قد وجد الرفيق



اختلفنا واتَّفَقْنَا

والتقينا وافترقنا

وغضبنا وعَتَبْنَا

وتَفَاهَمْنَا وَتُبْنَا

ثُمَّ ماذا ؟

ثُمَّ عُدْنَا

واختلفنا

وفَتَحْنَا أَلْفَ بَابٍ للكلام

وَأَنَا أسألُ

في الماضي ، وفي الحاضر

ما جَذَوِي الكلام

أَنْتِ أخطأتِ

أَنَا أخطأتُ

وَالنَّظَرَةُ فِي أخطائِنَا

لا تتغيَّر

لِمَ لا نسألُ قَلْبَيْنَا

أحاسيسهما .. عسى أن يتذكر
أي شيء فيهما ..
فيها .. يتغير ؟
إسأل نفسك
أين الصدق في هذا الهراء ؟
إسأل نفسك
هل أنت كما كنت
التزاماً للوفاء ؟
إسأل مجلسنا الصامت
في كل مساء
إنه يسأل مثلي
أين أنت ؟
أين كنت ؟
والتي كانت تُجيبُ
ليس أنت
إنها أخرى سوى
أنت التي أحببتها .. صدقتها
إنها أخرى
تروء الحب
في ألف طريق

إِنَّهَا عَابِثَةٌ لَا تَعْرِفُ الْحُبَّ
وَلَكِنْ تَدَّعِيهِ
وَأَخِيرًا .. إِنَّهَا أَنْتِ
وَفِي ثَوْبٍ جَدِيدٍ
لَمْ يَعْذُ يَسْتُرْ مَا
تُخْفِينَ فِيهِ
إِنَّهُ أَصَدَقُ مِنْكَ
فِي الَّذِي يَرَوِيهِ عَنْكَ
فَدَّعِيهِ يَتَكَلَّمُ
وَدَعِينِي أَتَعْلَمُ
كَيْفَ يَغْدُو حُسْنُ ظَنِّي
سَوْءَ ظَنٍّ

بِكَلَامِ الْعَابِثَاتِ .. الْفَاتِنَاتِ
بِالْهَوَى .. بِالسُّهْدِ .. بِالذَّمْعِ
بِكُلِّ التَّرَهَّاتِ
الَّتِي طَاحَتْ بِعِقْلِي
مِثْلَمَا طَاحَتْ بِقَلْبِي
الَّتِي تَهْتَفُ لِلْحُبِّ .. رِيَاءً وَخِدَاعًا

★ ★ ★



التَّيْنِ .. وافترقنا

باختصار

إنَّهَا الْقِصَّةُ : بَدْءٌ وَنَهَايَةٌ

وَلَنَدْعُ تِلْكَ التَّهَاطُلَ الْمُثِيرَ

والتَّفَاصِيلَ

التي كَبَّرَهَا الْوَهْمُ

وَوَشَّتْهَا خِيَالَاتُ الشَّرَابِ

فَارْتَمَتْ أَحْلَامُنَا فِيهَا

عَلَى أَلْفِ جَزِيرَةٍ

وَأَفْقِنَا ..

فَإِذَا نَحْنُ عَلَى وَحْلِ الْعَرِيزَةِ

بَطْلَا أُسْطُورَةَ

تَافَهَةِ الْمَغْزَى

حَقِيرَةَ

ليس فيها

مَا يَزُكِّي لَفْتَةً مِنْكَ وَمَنِّي

فكلانا هاربٌ من عُمرِهِ الضَّائعِ فيها
لا تُعيدِها على سَمْعِي

فلن تبلِّغْ قلبي

بعد ما ماتَ صَداها فيه

وانجَابَ أساها

واكثُمِها

فلقد كانت على أبسطِ تفسِيرِ

خَطِيئَةٍ

تقفُ المومِسُ - في ميزانِها ، منكِ

بريءَةٍ

لا تقولي : كان

ماذا كان ؟

هل كان لنا فيها ؟

سوى دَوْرِ الرِّياءِ

والخدِيعَةِ ؟

إنَّه لم يَكْ دَوْرَ البَطْلِيَّينِ

إنَّه دَوْرُ الطَّيِّبَةِ

لَقَنَّاهُ .. فَأَدَّيْنَاهُ

ملهَّاهُ قصِيرَةً

إنتهت تحتَ سِتارِ الصَّمْتِ

مأساة مريـرة
وانتهينا مذ خبت
في موقد الرّغبة .. في أثـونها
آخر جـمرة

فتشاءبنا حياء
وتبادلنا الرّياء
وظنّناه وفاء
فاذا مظهرنا الكاذب
يُضنّينا عناء
وإذا القصة في مقطّـعها
صورة الواقع في مطلّعها
دعوة ، لاقت صداها
وتساوى طرفاهـا

فتلاشى بدؤها ، في مُنتـهاها

لا تُراعـي
إنّـها دؤامة الجيرة
في لغز الصّراع

بين ما يستهدف الإنسان
مضطراً كمختار - وقانون الدّواعي
إنّـها القصة - يا سيّدتي

إنَّهَا قِصَّةُ كُلِّ النَّاسِ

فِي ماضٍ وَآتٍ

يَتَجَلَّى لُغْزُهَا التَّافَهُ

عَنْ مَعْنَى الْحَيَاةِ

لَيْسَ فِيهَا أَيُّ مَغْزَى

غَيْرَ مَا كَانَ - كَمَا كَانَ

وَهَذَا سِرُّهَا

مَوْجَةُ حَرَّكَهَا الْمَدُّ

إِلَى وَجْهَتِهَا

ثُمَّ طَوَاهَا .. جَزَرُهَا

لَا تَقُولِي .. لِمَ ثَارَتْ ؟

كَيْفَ غَارَتْ ؟

فَرِمَالُ الشَّطِّ لَا تُعْطِي جَوَابَا

غَيْرَ هَذَا الصَّمْتِ .. يُؤَلِّيكِ

بِهِ السَّحَرُ .. عَذَابَا

فاحْذَرِي أَنْ تَقْفِي

فَالدَّرْبُ قَدْ أَمَلَكَ مَا زَالَ طَوِيلَا

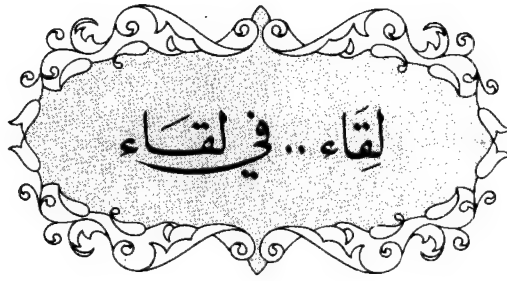
تَتْرَامِي .. قِصَصُ الْحُبِّ بِهِ

خُلْدَا .. جَمِيلَا

وَإِذْهَبِي حَيْثُ يَشَاءُ الْعُمُرُ

جَدًّا .. وفضولا
وانفُخي في جِسمِكَ الظامئ
يرثدَّ .. شبابا
واستعيدي السَّحرَ .. إنْ أَعَوَزَ
عطراً .. وثيابا
واهربي من قَلَقِ الصُّبحِ
بحِضْنِ المَغْرِبِ
واضربي في ظُلْمَةِ الرُّجسِ
بذيلِ العَقْرِ
واشربي من دَمِ قَتْلِكَ
طويلاً واطربي
واكتبي في كُلِّ يَوْمٍ .. قِصَّةً
وَلَدِي في كُلِّ عَامٍ قِصَّةً .. ودَعِيهَا لِأَبِيهَا
فَهِيَ مِنْهُ ، صدَقَتْ ، أو كَذَبَتْ
وهي إِلَيْهِ .

★ ★ ★



أَنْتِ ؟

ورَانَ الشُّكُّ عَلَى نَفْسِي

وَمَضَيْتُ أَرَا جَعُ أَيَّامِي

وَأُهِيبُ بِخَدْسِي

فَرَأَيْتُكَ فِيهَا ذِكْرِي

تَمَلُّلاً أُمْسِي

وَتُوشِّي أَحْلَامِي

وَتَوَاكِبُ أَوْهَامِي

وَتَوَاسِي آلَامِي

وَتُنَجِّعُ إلهَامِي

وَتَرْقُ حَسِّي

وَتَنِيرُ الْآفَاقَ أَمَامِي

وَهَمَسْتُ ..

وَكُنْتُ أُرَى فِي وَمَضَةِ عَيْنِيكَ

صَدَى الْإِحْسَاسِ بِهَمْسِي

أَنْتِ ؟

ولكن كيف ؟ وأين ؟

وتداعت صور الماضي

واختلجت

فرأيتك فيها رأي العيون

وسمعت كلامك فيها وكلامي

ورفيفاً

يصدُر عن كأسين

عن كأسك تُقرعُ كأسِي

وحفيف خطاك

خطاك ، كما أسمعها الآن

تبدد صمت الظلّة

في أفق حياتي المبهّم

وترفرف في أجواء خيالي

نغمأ يتبسّم

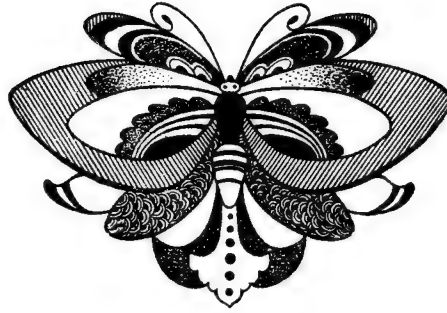
تردد فيه ،

حجازاً ..

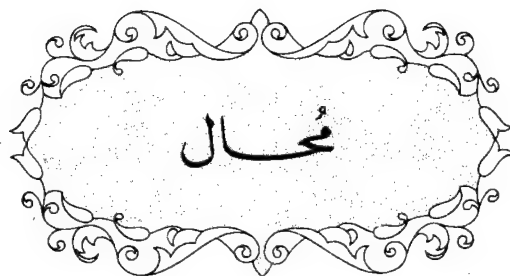
وصبأاً ..^(١)

(١) الحجاز والصبأ : لوانان من الأنغام الشرقية .

أَصَوَاتٌ غُلُوِيَّةٌ
تَنْضَحُ بِالطُّيْبِ
كَسْفَجِ جِرَاءٍ وَقُبَا^(١)
أَصَوَاتٌ مَازَالٌ صَدَاهَا يَسْرِي
وَيَرُشُ رِمَالُ الْوَادِي بِالْعَطْرِ



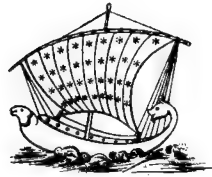
(١) جِرَاء : جبل في مكة المكرمة حيث كان رسول الله ﷺ يتحنث قبل البعثة النبوية في غار منه .
قُبَا : موضع في المدينة المنورة ، حيث بني أول مسجد في تاريخ الإسلام .



تَعِبْتُ ، يا حَبِيبَتِي ، تَعِبْتُ
ولم أُعْذِ أَطِيقُ أَنْ أَرَى جَدِيدًا
ونَاءَ بَنِي التَّحْدِيقِ فِي الْفَضَاءِ
وَضِيقُ النَّجْمِ
بِكُلِّ شَيْءٍ .. بِحَيَاتِي ذَاتِهَا
بِكُلِّ مَا يُسْمَعُ أَوْ يُقَالُ
حَتَّى بِقَوْلِكَ الْجَمِيلِ
تَحَاوَلِينَ أَنْ يُزِيحَ
ظُلْمَةَ الْأَسَى .. وَغَمْرَةَ النَّسِيَانِ
حَبِيبَتِي

عَاشَ الْمُحَالُ مَرَّةً .. وَمَاتَ
وَلَنْ يَعُودَ مَيِّتٌ إِلَى الْحَيَاةِ
حَاوَلْتُ قَبْلَ أَنْ تَحَاوِلِي
وَعَدْتُ صَامِتًا
وَلَيْسَ مِنْ جَدِيدٍ
لَنْ تَصْنَعِي الْمُحَالَ

لن تصنعي النَّارَ من الرَّمَادِ
قد تُمَسِّحِينَ أَدْمَعِي
وتُطْلِقِينَ بِسْمَتِي من سِجْنِهَا
من قِيدِهَا العَتِيدِ
وقد تُجَيِّبِينَ على كُلِّ سُؤَالٍ
وتَمْلَأِينَ الأفقَ السَّعِيدِ
بِكُلِّ ما في الكونِ من أعيادٍ
لكنَّنا .. أنا . وأنتِ
لن نُعِيدَ ما مضى
لن نصنَعَ المُحَالِ
لأنَّه اختفى .. وماتَ .. واندثر
لأنَّه خيال





هَاجِرَتِي ! لَوْ كُنْتُ تَسْمَعِينَ
مَا أَقْبُولُ .. أَوْ تَعِينِ
لَمَّا تَرَاكُمُ الْجَلِيدُ بَيْنَنَا
وَلَمْ تَمُتْ أَيَّامُنَا عَلَى الْجَلِيدِ

* * *

هَاجِرَتِي ! أَرْجُو حَقَّ الْأَقْدَارِ
لَمْ تَزُلْ تَدُورُ ..
تَحْتَ ظِلَالِ الصَّمْتِ وَالسُّكُونِ
وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا يَمْتَدُّ فِي فَرَاغٍ
تُقَبِّلُ الْهَوَاءَ حَوْلَهُ ..
وَتَطْلُبُ الْمَزِيدَ
وَتُطْفِئُ الْمَصْبَاحَ
كَيْ يُنَوِّرَ الدُّجَى جَنَاحَهَا
وَكَيْ يُضْمِدَ الدُّجَى جِرَاحَهَا

* * *

الكأسُ ، يا فراشتي !
 لَمَّا تَزَلْ مَلَأَى بِرِيْقِ الشَّرَابِ
 وَالرَّغَبَاتِ لَمْ تَزَلْ غُبَابِ
 فَكَيْفَ طَرَبْتَ .. وَاَنْدَفَعْتَ
 خَارِجَ الزَّمَانِ ؟
 نَسِيتِ .. أَمْ أَنْسَيْتِ وَقَدَةَ اللَّهَبِ ؟
 وَوَشْوَشَاتِ الْكَأْسِ
 حَفَّ كَأْسُهَا الْحَبَبُ ؟
 مَلَأَتْ ؟ أَمْ تَدَمَّتْ ؟
 أَمْ لَوَى بِكَ الْعَضْبُ ؟
 لَا تَجْدِينَ مَا يُقَالُ ؟
 أَفَهُمْ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ !
 لِكُلِّ رِحْلَةٍ سَبَبُ
 وَكُلِّ رَاحِلٍ لَهُ أَرْبُ
 لَا ، لَنْ أَقُولَ خُحْنَتِ
 أَوْ ضَلَلَّتِ .. إِنَّهَا الرُّغَابُ
 وَإِنَّهَا دَوَافِعُ الشَّبَابِ
 فَرَفَرَفِي حَيْثُ يَقُودُكَ الْفَضَاءُ
 لَغَايَةٍ .. لِغَيْرِ غَايَةٍ
 كِلَاهُمَا سَوَاءٌ ..

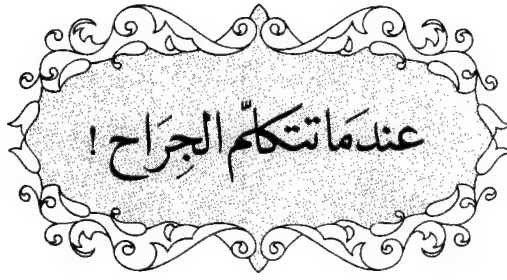
لا تَسْأَلِي عن المصير
ما دام في الدُّجَى سَرِير
يُنِيرُهُ مصباح
كُلُّ الْفَرَاشِ هَكَذَا
كُلُّ الْفَرَاشِ كَأَنَّ لِيَحْتَرِقَ
بل كُلُّ شَيْءٍ في الْوُجُودِ يَحْتَرِقُ
حَتَّى الْفَرَاشَاتُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ اللَّهَبَ
حَتَّى الَّتِي لَا تَعْرِفُ الْحُبَّ وَلَا الْحَبِيبَ
فَرَأَشْتِي ! لِحِكْمَةٍ قَدْ خَفَلَ
الْوُجُودُ بِالْفَرَاشِ ..
وَكُلُّ حُجْرَةٍ بِهَا سَرِير
يَقْبَعُ في جِوَارِهِ مِصْبَاح
وَلَيْسَ في الْقِصَّةِ مَا يَهُولُ
وَكُلُّ مَاضٍ يَهُونُ .. يَخْتَفِي
في ظِلْمَةِ الدُّجَى ..
فَرَأَشْتِي ! لو سَاوَلْتُ الْهَوَاءَ لَيْلَةً
إِلَى فَرَاغٍ حُجْرَتِي
لَنْ تَجِدِي السَّرِيرَ خَالِيًا
فَنَمَّ دَائِمًا .. أَكْثَرُ مِنْ فَرَّاشَةٍ
تَطُوفُ حَوْلَهُ لِتَحْتَرِقَ ..

وكلُّ شيءٍ في الوجودِ يحترق ..
أنا .. وأنت .. والكيان كله ..
حتى اللهيبُ والجليد ..
ويختفي القديم ، ويظهر الجديد
ويلدُ الفراشُ ، دائماً فراش ..
فراشتي ! أنا حزين
لأنَّ غاية الحياة .. غيرُ غايتي .. وغيرُ غايتك
لأنَّ كل شيءٍ ينتهي .. ويختفي
ولا يدوم
لأنَّه لو دام ، لانتهى بقاؤه
وصارت الأحياءُ كلها جماد
نعم .. برغم ما فهمتُ
لم أزل حزين ..
لأنَّ كلَّ شيءٍ في الوجودِ يحترق
مخلفاً وراءه رماد
تنثره الرياح
فراشتي !. لن يُلغَ الكلامُ
غايةَ الكلام
فليكن الصمتُ إذاً
لهذه المأساة .. شارةَ الختام

حبّيتي حنان

حبّيتي ! حنان !
هل بلغ الصمت بنا
مرحلة النسيان ؟
أم مات بيننا الزمان ؟
لا وعد .. لا وعيد
لا زورة يدنو بها البعيد
لا نظرة من عينك العصبى
تخطّهم الجليد
أنا هنا مؤرّق الجفون
يعصف بي الحنين والظنون





هل قلت : أنت ؟

ومن أنا ؟

أنا صرخةٌ غيّرتُ حياتك

صرخةٌ لم تسمعها

أنا شهقةٌ ، مرّت بسمعك

خاطبتك ، فلم تبعها

أنا دَمعةٌ سَقَطَتْ

تُناشِدُكَ الوَفا ، لم تَمسحها

أنا عَثرةُ القلبِ الجريحِ

تَضَرَّعتُ أن تُنصِّبها

وأنا ضحيةُ قلبك القاسي

أبى أن ترحمها

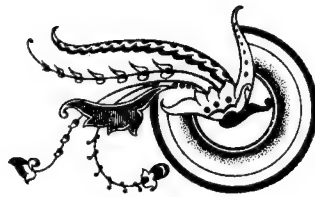
أنا الذي أقسمتُ

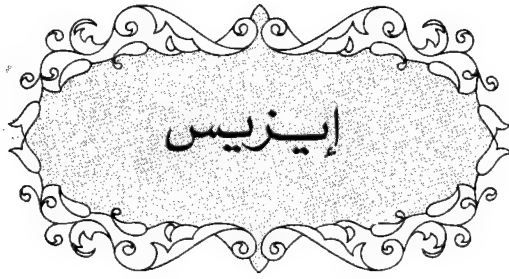
بالعهدِ الحبيبِ وخُنتُهُ ؟

وأنا الذي صدَّعتُ

ما شادَ الهوى وهدمته ؟

وَمِلَّتُهُ .. وَكَرِهْتُهُ وَهَجَرْتُهُ ؟
وَمَضَيْتُ ، وَالْأَحْلَامُ تُحْدُونِي
إِلَى أَفْقِ الْخِيَالِ
هِمَانٌ ، أَحْلُمُ بِالنَّهَائَةِ
فِي مَتَاهَاتِ الضَّلَالِ ؟
وَانْقَضَ صَرْحُ الْكِبْرِيَاءِ
وَتَقَشَّعَتْ سُحُبُ الرِّيَاءِ
هَلْ قَلَّتِ : أَنْتَ ؟
أَنَا ؟ بِحَقِّكَ مِنْ أَنَا ؟
أَنَا الَّذِي وَاسَيْتِهِ ؟
وَحَمَيْتِهِ .. وَوَقَيْتِهِ ؟
وَوَقَيْتِهِ .. وَذَكَرْتِ إِذْ جَافَيْتِهِ ؟





إيزيسُ !

يا أسطورةَ الحَيَالِ !

يا ساحرَتي الجميلةُ !

يا بسمَةَ الرِّيعِ !

يا عبيره السيِّـال !

يا نَشوَةَ الزُّهورِ

في الخميـلةُ

يا حُلُمي الكبير !

يا أمنيَّةَ الشَّبَابِ !

يا أَمَلَ الطُّفولَةِ !

يا قصَّتي التي

ما زلتُ منذُ عِشْتُها !

أبحثُ في آلامها

أبحثُ عن ختامها سُدَى

وَأَسْأَلُ الماضي

فيهِتَفُ الصَّدَى

غداً .. غدا

وَكُنْتَ أَنْتِ

وَذَلِكَ الْغَدُ الْمَجْهُولُ

وَذَلِكَ الْغَدُ الْمَمْطُولُ

وَذَلِكَ الْغَدُ الْمَوْعُودُ

غَدَا الضَّيِّقِينَ بِالْوَجُودِ

وَطَالَ بِي الْحَيْنُ

أَسَارِعُ الْمَدَى

وَأَرْقُبُ الْهُدَى

مُضَيِّعَ السَّيْنِ

وَفَجْأَةً ..

تَحَرَّكَ السُّتَارُ

وَانْبَثَقَتْ مِنْ

دَاخِلِ الْإِطَارِ

نَجْمَةٌ .. تُلَفُّ

فِي أَزْرَارِ

وَطَافَ قَلْبِي

حَوْلَ وَجْهِكَ الْحَبِيبِ

فَرَاشَةً يَسْخَرُهَا

اللَّهُ هَيْبَ

فهل عَرَفْتَ

سِرَّه العَجِيبَ ؟

وهل عَرَفْتَ ما تقول

نَظَرْتُ لِـنَظَرَتِكَ ؟

وما تقول لَهْفَتِي ؟

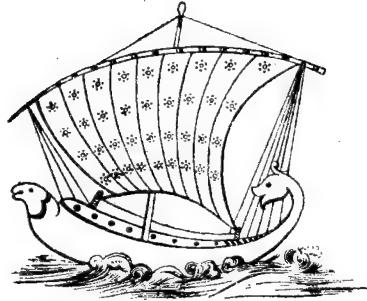
للفظَةِ من

شَفَتِكَ ؟

إيزيسُ !

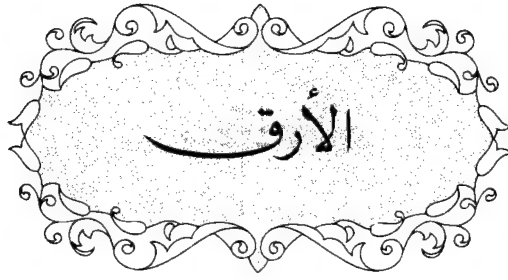
أنتِ قصَّتِي ، بدايةً ، تُعْرِقُ في الشَّقَاءِ

وأنتِ قصَّتِي ، نهايةً ، تُحْلِمُ باللقاءِ





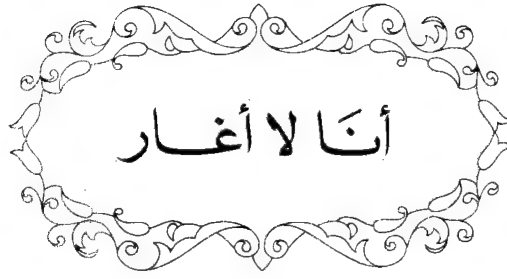
مَتَى كُنَّا هُنَا ؟ قَوْلِي مَتَى كُنَّا ؟ وَهَل كُنَّا ؟
أَتَفَنَى ذِكْرِيَاثُ الْحُبِّ فِينَا ، قَبْلَ أَنْ نَفْنَى ؟
لَقَدْ هُنَّا ، وَهَانَ الْحُبُّ ، مِنْذُ سَرَّتْ بِنَا الْأَيَّامُ
بَعِيداً فِي مَسَارِي الصَّمْتِ ، لَا ذِكْرِي وَلَا أَحْلَامُ
وَمَدَّ ظِلَالَهُ النَّسيَانُ ، فَوْقَ مَعَابِرِ الصَّمْتِ
فَلَا أَنَا قَدْ خَطَوْتُ إِلَيْكَ مَعْتَذِراً ، وَلَا أَنْتِ
لِمَاذَا ؟ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ ، وَمِثْلَكَ كُنْتُ لَا أَدْرِي
تَعَالَيْنَا ، فَضَاعَ الْعُذْرُ بَيْنَ الشُّخْطِ وَالْكِبَرِ
وَمَاذَا كَانَ غَيْرَ تَوَافِهِ الْأَخْطَاءِ وَالْأَسْبَابِ ؟
فَمَاتَتْ بَيْنَنَا الْأَيَّامُ ، لَا عَتَبَ ، وَلَا إِعْتَابَ
كَلَانَا صَابِرِ الْمَأسَاةِ .. سَامَرَ حَزْنُهُ فِيهَا
ثَمَزَّقَ صَدْرَهُ الْآلَامُ ، تَطْوِيهِ وَيَطْوِيهَا
نَسِيْتُ أَنَا .. فَهَلْ تَنْسِينَ مَا فَعَلْتَ بِنَا الْأَوْهَامِ ؟
فِعَاطِئِي كَوُوسَ رِضَاكَ ، زَفَّ عَيْبَرَهَا الْأَنْغَامُ
وَحَسْبِي فَيْكِ مَا لَاقَيْتُ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ جِرْمَانِ
ظَلَمْتُكَ ، فَانْتَصَفْتِ ، وَهَا أَنَا أَتَلَمَّسُ الْغُفْرَانَ



دونَ الذي أتمنى اليأسُ والقَلْبُ
 لم يُبقِ فيّ الجوى صبراً لنازلةٍ
 يا ليلُ ، أثنى فيّ العَدْرُ ، واحتربتُ
 وخائني غادرُ اللحظينِ ، يدفعُهُ
 بثَّ الشَّرَّاءِ بقلبي يومَ فتنَتِه
 أغرُّ ، تنهضُ عيناهُ بحجَّتِه
 عيانٍ ، لا كعيونِ النَّاسِ ، طيَّهما
 ومِمَّ يفرِّقُ جبارٌ يطالعه
 خافَ الهزيمةَ فيما راحَ يأملُه
 يا ليلُ ، حَسْبُكَ ، ماذا يتركُ الأرقُ ؟
 إلَّا أثارةَ نفسٍ ، طيَّها رَمَقُ
 حولي عواصفُهُ الهوجاءُ تصطفقُ^(١)
 عني ضلالُ الهوى والذلُّ والخرقُ
 بفريةٍ من كذابِ الحُسْنِ تُختلقُ
 وقد تردَّدَ فيها الزُّورُ والمَلَقُ^(٢)
 ختلُ الضَّعيفِ ، ووَرَيُّ الشَّرِّ ، والفرقُ^(٣)
 دُمُ الفريسةِ ، وهو الضَّاحكُ الطَّلَقُ^(٤)
 مِنِّي ، وكنتُ عنيدَ القلبِ ، لا أثقُ

★ ★ ★

-
- (١) أثنى : بالغ فيه ، غلب عليه . احتربت القوم : حارب بعضهم بعضاً . اصطفقت : اضطرب وتحرك .
 (٢) الزور : الباطل . الملق : التودد الزائد .
 (٣) الختل : الخداع والمراوغة . الوَرَي : إيقاد النار . الفرق : الخوف الشديد .
 (٤) الطَّلَق : التهلل الوجه .



من أين جئت ؟ وأين كنت ؟

وما فعلت ؟

وأين صادقةُ الجواب ؟

أتقول كنت هناك ؟

أتقول خنتُ هواك ؟

لا .. لن تقول سوى الدَّموع

وتُلجُّ أسبابُ الرِّياءِ .. أو الذِّكاءِ .. أو الرِّجاءِ

على البقاءِ وراءَ أستار الخفاءِ

ونرى، ونسمعُ، كيف يَنْتَصِرُ الهُراءُ

أنا لا أحرار

ولا أغار

أنا لستُ أسألُ أين كنتِ

وما فعلتِ ؟ خلالَ أيام الغياب ؟

لأنني ، وهواكِ ، أدري

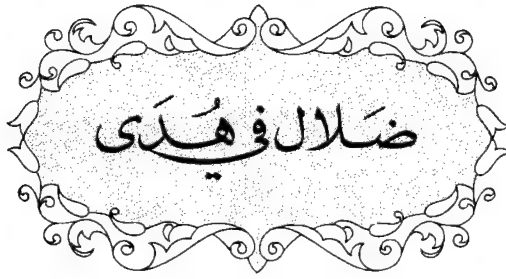
أدري ، وأعرفُ عن يقينٍ

ما تفعلين ، وأنتِ غائبة ؟

وما لا تفعلين
وبمن وأنت معي
وبين يدي ، وجداً ، تحلمين
وبمن .. ومن .. تتلاعبين
وتعرفين .. وتكشفين - ما لا أظنك تجهلين
أفلا يروك أنني لا أشتار ؟
ولا أغار ولا أحرار
وأهيمُ فيك .. ولا يؤزقني الفضول
إذا لقيتك بعد حين ..
ولم الفضول ؟
أنا لا أشك .. ولا أغار
ولا أشوب صفاء قلبك بالعتاب
ها أنت بين يدي
شخصاً مائلاً
ما لي ؟ وما لِهواك قلباً غائباً ؟
أنا لا أغار من الذين
تقاسموه
أنا لا أغار ، فقد شقيتُ
بغيرتي أيام جهلي
أيام كنتُ أقَدِّسُ الكلمات

أطعمُها حياتي
الحبَّ .. والأشواق .. والوجد المبرِّح .. والدموع
أيامَ كان لكل لفظٍ
في أحاسيسي شعار
والآن ماذا بعدُ ؟
أقول بعد الأربعينِ
أم بعد تجربة السنينِ
أصبحتُ شيئاً جامداً
لا يُستثارُ
ولا يَغَارُ
نَعَمْ . وما معنى أغار ؟
ولم تَزَلْ تسري الرياح
بقصّة الإنسان ؟
ترويهما الحقول
عن الثمار .. عن الزهور
عن الوحول .. جميع ما تحوي الوحول

* * *



يا هُدى مَنْ راحَ في حُبِّكَ موصولَ الضَّلَالِ
وسرَى في تيهِ عينيكِ على لمحِ الخيالِ
حائراً ، مضطربَ الخطوة ، مجهولَ المآلِ
كلّما ناءَ به الجَهدُ تصدّى للنضالِ

راجياً يدفعه اليأسُ فيُدنيه الأملُ

ثائراً يُطمِعه الشوق ، فيثنيه الوجَلُ

انطوى ماضيّ في الحُبِّ .. ظلاماً ، وضياء
ومسراتٍ ، وآلاماً ، وغدراً ، ووفاء
وقطوباً ، وابتساماً ، وبعاداً ، ولقاء
يا هُدى ، إنّي أرى الماضي بعينيكِ ثراء

فاجعليه لفؤادينا ، وقد هاما ، نشيدا

واصنعي من عهدِ الشَّامخ بالأحلام عيدا

أنّ يا باعثة الماضي بروحي وجَنائي
عن ثنابكِ الوُضِيئاتِ بدَا نورُ الأمانِ

وبلحظيك النبيلين أرى سحر الجنان
فاغمُريني من حمّاك بآلاف المعاني

إنّما الشّعُرُ معانيك ، وقلبي الشّاعرُ
وأنا الرّوح ، أو الوكرُ ، وأنت الطائرُ

أنت عنوان الصّبا والحسن في أبهى مثال
وهدى قلبي وأفكاري ، وصيتي ، وخيالي
ومنى نفسي وآمالي ، وأحلامي الغوالي
وصدى حُبّي الذي ضاع ، وأيامي الخوالي

فابعثي الماضي بعينيك على اللّحن الطّروبِ
التّقى في ظلّه الطائرُ بالروّض الرّطيبِ

سلسلي القول أغاريد من الفتنة سكرى
واسكبي اللفظ بأذني - إذا حدّثت - قُمْرا
وأعدي ذكريات النّيل أحلاماً ، وسِحْرا
رُبّ ذكرى وحدّت قلبين في الحبّ ، فقرا

إنّها الدّعوة من قلبي أطافت ، فأجيبني
وخذيها ، يا هدى عهد حبيب حبيب

أنت كالوردة لطفاً ، وعبيراً ، وندى
أنت بدرٌ لو رأى البدرُ سنّاه .. سجدا

أَنْتِ كَالْخُلْدِ صَفَاءً ، وَرُوءَاءَ ، وَمَدَى
أَنْتِ كَأْسُ الْخَمْرِ ، لَوْ بَلَّتْ لِحَاسِهَا صَدَى
أَنْتِ لَحْنٌ شَمَلَ الْفِتْنَةَ مِنْ سِحْرِ دَفِينِ
سَوْفَ يَرَوِي قِصَّةَ خَالِدَةَ عَنْكَ وَعَنِّي

يَا هُدَى ! هَلْ هِيَ أَيَّامٌ قِصَارٌ .. أَمْ تَطُولُ !؟
جَمَعَتْنَا صُدْفَةً عَابِرَةً ، فِيهَا ، وَأَحْوَالٌ تُحُولُ
أَمْ هِيَ الْهَجْرُ الَّذِي وَشَّاهَ بِالنُّورِ مُحْيَاكِ الْجَمِيلُ
إِنَّهَا مِثَاقُنَا الْخَالِدُ فِي قَلْبِي ، وَالْحُبُّ النَّبِيلُ
سَوْفَ أَرْعَاهُ كَمَا أَرْعَاكَ حَتَّى نَلْتَقِي
فَاذْكُرْنِي ، يَا هُدَى ، ذِكْرَ سَعِيدٍ لِشَقِي



الوحدانية



مَن لِلْغِلَابِ سِوَى الشَّبَابِ..... ب إذا تُكَاتَفَتِ الصُّعَابُ ؟
 المُرْفُضِينَ إِلَى الْوَعَى يتَوَاتَبُونَ عَلَى الرُّقَابِ ^(١)
 وَالسَّابِحِينَ عَلَى الْعُبَا..... ب يُغَالِبُونَ قُوَى الْعُبَابِ ^(٢)
 وَالرَّاقِصِينَ عَلَى الثَّرَى وَالطَّائِرِينَ عَلَى السَّحَابِ
 الصَّاحِبِينَ اللَّاعِبِينَ..... ن البَاسِمِينَ عَلَى الْعَذَابِ
 يَتَلَهَّبُونَ عَلَى الصَّرَا..... ع تَلْهَبُ الْأَسَدُ الْغَضَابِ
 لَمْ تَنْتِهِمْ نَارُ الْحَصَا..... د ، وَلَمْ يَصُدَّهُمْ الْمُصَابِ
 فَكَأَنَّهُمْ عَشِقُوا الْفَنَاءَ ، فَلَا ارْتِدَادَ وَلَا انْقِلَابَ
 هُمْ فِي الْخَنَادِقِ صَامِدِينَ..... ن ، هُمُ عَلَى قِمَمِ الْهَضَابِ
 شَهَبٌ يَنْوُءُ بِهَا الْفَضَا..... ء ، كَمَا يَنْوُءُ بِهَا الثُّرَابِ
 لَا يَأْسَ ، أَوْ يَغْدُو الْعُدُو..... عَلَى سِيوفِهِمْ نِهَابِ
 غَارُوا عَلَى حُرْمَاتِهِمْ وَالْحُرُّ يَأْنِفُ أَنْ يُعَابِ

* * *

(١) المرفض : من أرفض الشيء : إذا تركه يتفرق ويتشتر ، ويبدو أن المراد هنا : الاندفاع والإقدام .

(٢) العُباب : البحر الصاحب الكثير الموج .

يا مُنْقِذِي شَرَفِ الحَضَا.....رَة أَنْ يَذُلَّ وَأَنْ يُصَاب
 شَرَفُ الحَضَارَةِ دُونَ هَـ.....كَلِّهَا أَحَقُّ بِأَنْ يُهَابَ
 فَلْتَدْفَعُوا عَنْهُ النَّقِيصَ.....صَةً بِالْفَنَاءِ وَبِالْخَرَابِ
 فَالْجُدْ لِلْحُرِّ الْمُظَفَّ.....رٍ لَا لِمُتَلَيِّ الوَطَابِ^(١)
 أَغْلَى المِبَادِيءِ مَا أَقَا.....مَ الْحَقِّ ، مَحْمِيَّ الْجَنَابِ

* * *

النَّصْرُ يَا هِمَمَ الشُّبَا.....بِ جَنَى السَّوَاعِدِ وَالْجِرَابِ
 سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الْقَنَا.....فَأَمَّا مَكَمْ ظَفَرُ الْمَآبِ^(٢)
 خُوضُوا الضُّبَابَ سَتَنْجِلِي.....عَنْ فَوْزِكُمْ كِسْفُ الضُّبَابِ
 أَشْبَالَ آسَادِ الشَّرَى.....الْأُسْدُ لَا تَخْشَى الذُّنَابِ
 ثَمَلَتْ بِمَسْفُوحِ الدِّمَا.....ءِ بَرِيئَةً تِلْكَ الْكِلابِ
 وَلَقِيْتُمُوهَا بِالْعَتَا.....بِ ، وَقَدْ تَهَوَّتِ الْعِتَابِ
 اللَّيْنُ لَمْ يَقْعُدْ بِهَا.....فَتَعَجَّلُوهَا بِالْعِقَابِ
 النَّصْرُ دَاعِيهِ أَهَا.....بِ بَكُمْ ، وَغَايَتُهُ أَصَابِ
 سَجَلْتُمُوهُ عَلَى الْبِحَا.....رٍ مُؤَزَّرًا وَعَلَى الْيَبَابِ^(٣)
 تَارِيخُكُمْ بِأَكْفُكُمْ.....فَلْتَكْتُبُوهُ بِالْغِلَابِ

* * *

(١) الوطاب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه .

(٢) السَّنن : الطريقة والمثال والنهج .

(٣) اليباب : الأرض الخلاء .



أَخِيرُ سَبِيلِكَ ، التي تتجنب .. ؟
 فإليت لي منك التَّجَنُّبَ والقِلا
 فَرُبَّ ابتسَامٍ ، دُونَهُ وَغَرَّةُ الحَشَا
 وَقِيَّتِ الأَسَى ، لو أَنْصَفَ الحُبُّ بَيْنَنَا
 وَلَكِنَّهُ المَقْدَارُ ، يَعْبَثُ بِالْفَتَى
 وَأَدْنَى حَبِيبِكَ ، الذي لا تُقَرَّبُ ؟
 وِرَاءَهَا وَدُ الفَوَادِ ، المُعَيَّبُ
 وَإِعْرَاضَةٍ فِيهَا الحَنَانُ المُحَجَّبُ ^(١)
 لَمَّا بَتُّ أَرْضَى فِي هَوَاكَ ، وَتَغَضَّبُ
 عَلَى وَضَحٍ ، وَهُوَ البَصِيرُ المُدْرَبُ ^(٢)

* * *

صَبْرْتُ ، وما صَبِرُ امرئٍ لم يُعَدِّ له
 أُتْقِدِمُ ؟ والإِقْدَامُ خُطَّةُ يَائِسٍ
 أُيَحْجِمُ ؟ والإِحْجَامُ فَسْحَةُ سَاعَةٍ
 وما هُوَ بِالْمُخْتَارِ فِي ذَيْنِ ، إِنَّمَا
 وما خَيْرُ أَمْرَيْنِ اسْتَوَى فِيهِمَا الحِجَا
 إِذَا مَا انْجَلَى مِنَا فَاقْشَعَ غَيْهَبُ
 أَصَارِغُ مِنْ أُمُوجِهَا اليَأْسَ والرَّدَى
 وَهَلْ بَعْدَهَا إِلَّا غِلَابِيكَ مِحْنَةً
 عَلَى يَأْسِهِ فِيمَا يُحَاوَلُ ، مَذْهَبُ :
 رَأَى أَنَّ ضَيْقَ المَوْتِ لِلنَّفْسِ أَرْحَبُ
 سَيَعْقُبُهَا عُمُرٌ كَرِيهٌ مَعَذِبُ
 ضَرُورَتُهُ تُعَلِي عَلَيْهِ ، وَتَغْلِبُ
 عَلَى غَمْرَةٍ مِنْ حَالِكِ الشُّكِّ يَضْرِبُ
 تَكْتَفُهُ فِيهَا ، فَاطْبَقَ غَيْهَبُ
 وَإِنَّ الذي بَعَدَ السَّلَامَةِ أَرْهَبُ
 وَإِنْ كُنْتَ تَعْمَى عِنْدَ مَنْ لَا يُجَرَّبُ ^(٣)

(١) الوغرة : شدة توقد الحر .

(٢) المقدار : القضاء .

(٣) الغلاب : المغالبة ، وهو محاولة أن يغلب واحد الآخر .

فما منك للعاني ذُراكِ حِمَايَةٍ
وأنتِ كَمَتِنِ البحرِ ما فيه مَأْمَنٌ
وفي موجِكَ الرَّجَافِ ، والمَوْجُ دُونَهُ ،
طَوَتْ أَيَّ جَبَّارٍ ، طَوَى البحرَ هُمُهُ
فإن زَهَدْتَنِي في حِمَاكَ مَخَاوِفِي
وما فَرَحِي بالقَرَبِ منك مَسَرَّةُ

* * *

وَتَشْرِقْنِي منك البَشَاشَةُ بِالْأَسَى
مَخَافَةٌ أَن تُبَدِّي لِي الحَبَّ خُدْعَةً
وَأَحْسُدُ مَنْ تَلْقَاهُ حِينَ تُقْطَبُ
وَيَغْنَمُهُ ذَاكَ البَعِيدُ الْمُقَرَّبُ

* * *

تَجْهَمُ ، ولا تَضْحَكُ فُرْبَ ابْتِسَامَةٍ
ولا تَلْقَنِي بالقَوْلِ فاضِ غُذُوبَةٍ
ولا تُدْنِي ، فالقَرَبُ إن كان كُلفَةً
ولولا مَسِيسُ الوَجْدِ ، لم أَطُو غُصَّتِي
فَمَنْ كَذَبَتْ عِنْدَ الدُّنُو بُرُوقُهُ
ولكنَّهَا أُمْنِيَّةٌ قَدْ جَهِلَتْهَا
فإن بَلَغَتْهُ النَّفْسُ عَافَتُهُ وَاِرْعَوَتْ
سِوَى قَلْبٍ مَوْصُولِ الضَّلَالِ ، عَرَفَتْهُ
جَهِلَتْ عَلَى عِلْمٍ حَقِيقَةٍ حُبُّهُ
صَفَتْ ، تَحْتَهَا نَارُ الْعِدَاءِ تَلْهَبُ
فَمَا سِحْرُ لَفِظِ رَقٍّ عُقْبَاهُ مَعْطَبُ
فَلَلْنَأْيُ أَبْقَى لِلدُّوَادِ ، وَأَصُوبُ
عَلَى أَمِلٍ فِي البَعْدِ ، والبَعْدُ مُجْدِبُ
فإنَّ مَجَالِيهَا عَلَى البُعْدِ أَكْذَبُ
وَيَا رَبَّ مَجْهُولٍ يُرَادُ ، وَيَعْذَبُ
وَشَأْنُ قُلُوبِ العَاشِقِينَ التَّقَلُّبُ
لِسَائِكَ يُعْطِيهِ ، وَقَلْبُكَ يَسْلُبُ
فَأَسْلَمْتَهُ لِلشَّكِّ يُضْوِي وَيَنْهَبُ^(١)

(١) يُضْوِي : يُضَعِفُ وَيُهْزِلُ . يَنْهَبُ : جَعَلَهُ نَهْبًا يُغَارُ عَلَيْهِ .

على أنه الشَّاري ، هَنَّاكَ ، بِرُوحِهِ
وما هُوَ بالسَّالِي هَوَاكَ على المَدَى
وما يَدْعِي فِيكَ المُحَالْ وإِنَّمَا
وما الحُسْنُ فِي حُبِّكَ مَبْعَثُ فِتْنَةٍ
ولكنَّهَا مَعْنَى مِنَ الوُدِّ والوفا
ولكنَّهَا فيمَا يَرَى الفِكْرُ عَادَةً
ولكنَّهَا قُرْبَى فُؤَادِي مُلَبِّياً
يُوشِّجُهَا عَهْدَانِ ، عَهْدُ مُبْعَضٍ
ولكنَّهَا بَيْنَ الكَرِيمَيْنِ مَوْثِقٌ
ولكنَّهَا ذِكْرِي تَجُولُ مَجَالَهَا
ولكنَّهَا مِنِّي إِذَا لُحِتْ نَظْرَةٌ
ولكنَّهَا عَتَبٌ مِنَ الْعَيْنِ صَامِتٌ
ولكنَّهَا - فيما تَقُولُ - مَلَاةٌ
تَلْقَاهُ ضَحَّاكَ الأَسَارِيرِ طَاعِناً

وباذِلْهَا إِن عَزَّ دُونَكَ مُرْغَبٌ^(١)
ولا بِالذِي يَهْوَى بَدِيلاً ، وَيَطْلُبُ
يَدُومُ وَدَادُ النَّفْسِ وَالْحُسْنُ يَذْهَبُ
فَإِنْ زَالَ زَالَتْ ، وَالْهَوَى لَيْسَ يُوهَبُ
يُطِيفُ بِنَفْسٍ لَيْسَ لِي مِنْهُ مَهْرَبُ
يَحْنُ إِلَيْهَا مُسْتَطَاراً ، وَيَطْرَبُ^(٢)
دَوَاعِي الْهَوَى يَوْمًا ، ثَلَيْنُ وَتَصْعُبُ
لَهُ ذِكْرُهُ الْآسِي ، وَعَهْدُ مُحَبَّبُ
يُطَالَعُ آتِنَا الْجَمِيلُ وَيَرْقُبُ
وَتَشْكُو الذِّي آثَرْتُ فِيهَا وَتَنْدُبُ
وَلَوْ أُضْرِمَتْ شَحْنَاوُهَا - تَتَحَيَّبُ
يَقُولُ عَلَى مَا سُمْتَنِي : أَنَا مُذْنِبُ
عَلَى أَنَّهَا قَلْبٌ جَرِيحٌ مُخْضَبُ
وَيَلْقَاكَ وَضَّاحُ السَّرِيرَةِ يَشْحَبُ

* * *

حَبِيبِي ، ثَلَاثَ الْيَوْمِ مَا يُرْتَجَى غَدًا
أَسْكْتُ أَمْ أَشْكُو لَعَلَّكَ سَامِعٌ
وَأَكْتُمُ أَمْ أَفْضِي بِذَاتِ سَرِيرَتِي

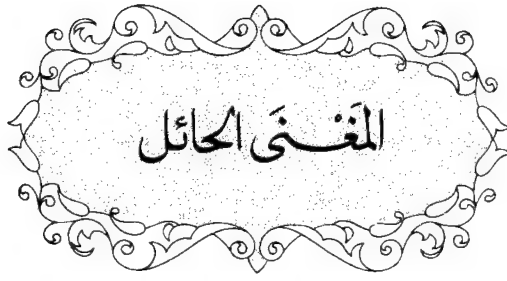
لِبَقِيَا وَفَاءٍ تَرْتَجِيكَ ، وَتَصْحَبُ
وَأَغْضَبُ أَمْ أَغْضِي لَعَلَّكَ مُعْتَبٌ ؟
وَأَهْتِكُ سِتْرَ الْكِبَرِ أَمْ أَتَهَيَّبُ ؟

(١) مُرْغَبٌ : مرغوب ، مطموع به .

(٢) المُسْتَطَار : المذعور .

وَأَحْمَدُ أَمْ أَبْكِي فَقَدْ ضَيَّقْتُ بِالضَنْئِ
 وَمَا اعْتَدْتُ أَنْ أَرْجُو ، وَلَكِنْ مَوَدَّةٌ
 صَبِرْتُ لَهَا فِي ظُلْمَةِ الشُّكِّ وَالرَّجَا
 وَمَا زِلْتُ أَسْتَبْقِيكَ ، ضَنْناً بِصُحْبَةٍ
 فَعَدْتُ لَجَمِيلِ الرَّأْيِ فِيهَا ، تَصُنُّ بِهِ
 فَمَا فَازَ مَنْ ضَاعَتْ مَوَدَّةٌ مَخْلُصٍ
 وَمَا حَفِظَ التُّعْمَى سِوَى مُشْتَرٍ بِهَا
 فَلَمْ يَصْحَبِ الدُّنْيَا طَوِيلًا عَلَى الْمُنَى
 وَمَا زَالَتْ الْأَيَّامُ تُقِيلُ تَارَةً
 فَهَذَا خَصِيبٌ كَانَ بِالْأَمْسِ مُجْدِبًا
 وَمَا اخْتَالَ فِي كَوْنِ الْحَاسَنِ مَوْكِبٌ
 وَكَمْ مِنْ جَمَالٍ أَعْقَبَ الْعَمَّ رَبَّهُ
 وَيَا رَبَّ جَبَّارٍ تَأْجَجُ نَارُهُ
 وَمَا خَلَّدَ الْمَاضِي جَمَالًا لِفَاتِنِ
 رَيْعُ الْهَوَى وَالْحُسْنِ مَشْرِقُ سَاعَةِ
 وَبَرَّحَ بِي فِيكَ الرَّجَاءُ الْمُخَيَّبُ
 تُرَاجِعُنِي فِكْرِي الْعَصِيَّ ، وَتَجِدُبُ
 وَإِنْ رَجَائِي فِيكَ كَالشُّكِّ مُرْعَبُ
 تَعَهَّدَهَا مَاضٍ مِنَ الْحَبِّ طَيِّبُ
 حُسَامًا بِهِ تَلْقَى الصَّعَابَ وَتَضْرِبُ
 لَدَى يَوْمِهِ الْبَسَامَ ، وَالذَّهْرُ قَلْبُ
 رَوَافِدَ قَلْبٍ ، وَدُهُ لَيْسَ يَنْضَبُ
 سَعِيدٌ ، وَلَا أَفْنَى الْجَدِيدِينَ مُتَعَبُ
 وَتُدْبِرُ ، وَالدُّنْيَا تَجِدُّ وَتَلْعَبُ
 وَمَا يَتَّقِي فِي يَوْمِهِ الْجَدَبَ مُخَصِّبُ
 مَدَى لِحْظَةٍ إِلَّا انْطَوَى فِيهِ مَوْكِبُ
 فَبَاتَ عَلَى مَا فَاتَهُ يَتْلَهَّبُ
 مَتَى هَانَ أَمْسَى فَوْقَهَا يَتَقَلَّبُ
 فَيَأْمَنَ نِيَّاهُ ، وَيَعْتَدُّ مَعْجَبُ
 يُدِيلُ لِعَانِي شَمْسِيهِ بَعْدَ مَغْرَبُ

★ ★ ★



أَنْتَ مَغْنَايَ ؟ لا ، فَلَسْتَ بَآهِلٌ أَيْنَ عَهْدِي بِزَهْرِهِ وَالْبَلَابِلُ ؟
وَمَعَانِيهِ - وَالْهَوَى مِنْ مَعَانِيهِ - وَأَمْسَاءٌ وَحِيهِ وَالْأَصَائِلُ
وَمَحَارِيبُ قُدْسِيهِ ، وَتَرَانِيهِ نَمِ رَوْاهُ ، وَسِحْرِهِ ، وَالشَّمَائِلُ ... ؟
وَنُحْطَا مَنْ أُحِبُّ فِيهِ ، وَنَجْوَاهُ ، وَأَعْيَادُ وَصْلِهِ ، وَالْمَحَافِلُ ؟
أَنْطَوْتُ فِي ثَرَاكَ ؟ أَمْ مَلَّتِ الْعَيْشُ عَلَيْهِ ؟ أَمْ رَوَّعَتْهَا النَّوَازِلُ ؟
أَمْ دَعَتْهَا إِلَى سِوَاكَ دَوَاعٍ آتَسَتْهَا ، فَجَاءَتْكَ جَوَافِلُ ؟^(١)
لَسْتَ مَغْنَايَ ؟ لا .. فَقَدْ كَانَ مَغْنَايَ خَصِيْبًا ، وَلَيْسَ مِثْلَكَ قَاحِلُ
ضَاحِكًا كَالرَّبِيعِ ، مُسْتَكْمِلَ الْفِتْنَةِ ، كَالْخُلْدِ طَاهِرًا ، كَالْفَضَائِلِ
ثَابِتَ الْعَهْدِ وَالْأَمَانَةِ وَالْحُسْنِ ، وَفِيَّاءُ ، وَالْأَوْفَاءُ قَلَائِلُ
أَيْنَ مَغْنَايَ ؟ أَفْقُهُ وَمَدَاهُ وَتَسَاوِيحُ أَيْكِهِ وَالْعَنَادِلُ ؟
أَنْتَ مَغْنَايَ ؟ لا ، فَقَدْ كَانَ مَغْنَايَ رَحِيمًا ، وَلَيْسَ مِثْلَكَ قَاتِلُ
إِنَّمَا أَنْتَ طَائِفٌ مِنْ جَحِيمٍ غَالٍ مَغْنَايَ ، صُورَةٌ وَدَلَائِلُ
فَإِذَا أَنْكَرْتَ سِمَاتِكَ عَيْنِي فَلَأُنِّي فَقَدْتُ تِلْكَ الْخَائِلُ
وَلَأُنِّي عِفْتُ الْحَيَاةِ وَكَفْنُ تُ أَمَانِي ، دَامِيَاتِ الْمَقَاتِلِ
رَأْيَا فِيكَ حُلْمَ أَمْسِي الْمُرْدَى حَافِلًا بِالْعَزَاءِ أَوْ غَيْرَ حَافِلُ

(١) الجوافل : جمع جافل ، شارد ، نافر .

سَيِّمَتِ نَفْسِي النُّضَالَ وَعَاقَتْهُ.....هُ ، وَمَلَّتْ فَرُوضَهُ وَالتَّوَافِلَ
 مَا الْهَوَى ؟ مَا الْجَمَالُ ؟ مَا الْمَجْدُ ؟ مَا الْمَا.....لُ ؟ أَلَيْسَتْ إِذَا حَزَنْتُ مَهَازِلُ ؟
 وَالْمَسَاعِي ، طَاحَتْ بِهِنَّ قُلُوبٌ ، كَالْمَسَاعِي ، طَاحَتْ بِهِنَّ جَحَافِلُ
 كُلُّ سَاحٍ يَوَدُّ لَوْ نَالَ مَا شَا.....ءٌ ، فَهَلْ عَادَ كُلُّ سَاحٍ بِطَائِلُ ؟

* * *

يَا لَنَا مُدْلِجِينَ ، أَزْرَى بِنَا الْأَيُّ.....نُ ، وَأَوْهَى أَقْدَامَنَا وَالْكَوَاهِلُ^(١)
 نَتَخَطَّى الْوَعُودَ ، غَيْرَ مُوقِفٍ.....نُ ، وَنَقْرِي عَلَى الْعَمَاءِ الْمَجَاهِلُ^(٢)
 فَإِذَا سَرَّنا جَمِيلٌ بوعِيدٍ أَحْزَنْتَنَا أَخْلَاقُهُ وَالذَّخَائِلُ

* * *

يَا مَغَانِي الْهَوَى ظَنَّنَاكَ حَقًّا فَإِذَا الْوَهْمُ تَحْتَ تِلْكَ الْعَلَائِلُ
 قَدْ وَدِدْنَا مِنَ الزَّمَانِ مُحَالًا حِينَ رُمْنَا مِنْهُ حَبِيصًا مُوَاصِلُ
 شَدَّ مَا رَاعَنَا وَأَوْهَنَ مِنَّا زَمَنٌ ، جَادَ بِالْمُنَى كُلَّ غَافِلُ
 مَا بِنَا مِنْ شِمَاتِ أَهْلِكَ ، يَا دَهْ.....رُ ، وَلَكِنْ بِنَا رِثَاءُ الْمَشَاكِيلُ
 أَوْرَاءَ الْغُيُومِ يَا عَقْلُ دُنِيَا غَيْرُ دُنْيَاكَ ، أَمْ نَهَيْمُ بِيَاطِلُ ؟
 قَدْ رَضِينَا الْأَوْهَامَ وَرَدًّا ، فَلَمْ تُغْ.....نِ ، وَفَاضَتْ لِلْجَاهِلِينَ مَنَاهِلُ

* * *

يَا مَغَانِي الْهَوَى الَّتِي طَالَ فِيهَا يَوْمٌ عَازَتْ بِنَا لَجَاجُ الْعَوَازِلُ^(٣)

(١) المدجج : السائر في أول الليل . أزرى بنا : تهاون وقصّر .
 (٢) الموقى : الشجاع .
 (٣) اللجاج : الإلحاح والملازمة . العوازل : جمع عاذل وهو اللامم .

مَا هَوَيْنَاكَ ، بَلِ الْفَنَّاكَ وَالْإِلْهَافُ زِمَامٌ ، وَقَاكَ حَيَّةَ آمِلٍ
وَلَقَيْتَاكَ عَاطِفِينَ عَلَى حُبِّكَ ، وَالْعَطْفُ رَحْمَةٌ وَفَوَاضِلُ
ذَاكَ دَيْنٌ مَا نَقْضِيهِ ، وَذِكْرِي غَمَرَتْهَا الْأَحْدَاثُ ، فَهِيَ تُنَاضِلُ

* * *

يَا مَغَانِي الْهَوَى ، أَقْمَنَا وَأَبْعُدْ.....تِ ، فَهَلَّا ، وَالْقَلْبُ لِلْقَلْبِ وَاصِلٌ ؟
أَتَمْنَى لَكَ الْبَقَاءَ وَقَدْ مِتَ.....بِنَفْسِي ، حَقِيقَةً ، وَعَوَامِلُ
لَتَفْءَاكَ لَوْ تَرُدُّ عَلَى الْمَيِّتِ.....تِ حَيَاةَ رَغَائِبِ الْمَتَفَائِلِ
يَا مَغَانِي الْهَوَى ، وَدَاعًا فَقَدْ صَدَّ.....تِ كَلِينَا ، عَمَّا يَرُومُ ، شَوَاغِلِ
يَا مَغَانِي الْهَوَى ، وَأُطْلَالَهُ الْيَوْمِ..... ، وَفَاءً ، وَدَاعًا ثَاوِي لِرَاحِلِ



من أعماق الحياة

الفكر يُنجِزُها ، واليأسُ يَلوِيها
عشنا ، وعاشت على صحراءِ مجدِية
أنضاء معركة ، أنقى السَّلاح بها
حيثُ النَّضالُ خَوْفٌ ، والقُوَى خِدَعٌ
لئن أقمنا على خَسفٍ فما فَتَتْ
مُنَى يَبِيتُ على الوَعشاءِ ساريها^(١)
من الحقائق ، تطوينا ونطويها
للفوز ، ما شرعت أخلاقنا فيها
ألقي عليها ضياء الحقِّ مُزجِها
قلوبنا تَتَحَدَّى بأَسَ مُردِها

* * *

يا منكر العيش أوْشاءَ مذهبَـةً
عَفنا الرِّخاءَ فلم تَعْلَقْ بِنُضْرَتِه
فَمَوْرِدُ الإِثمِ تابَهُ لنا شِرْعٌ
فما تَمِيلُ بنا - يوماً - لِمَنْقَصَةٍ
ولو طَوينا على الأَجراجِ راعِفَةً
فافرَحَ بدنياك ما جُنَّتْ ، فإن عَقَلْتَ
لقد رَضِيناهُ أعلاماً وتَموِيها
مبادئٌ عن طِلابِ الدُّلِّ نُغْلِها
من الفضائلِ قاذَنتنا دَواعِيها
ولو ثَقَلَدَ بالجَوزاءِ آتِيها
صُدورُنا ما غَضَضْنا من نَواهِيها
رَدَّتْكَ فيما يُدِيرُ القولُ تَشْبِيها

* * *

يا سَرَحَةَ الجَبَلِ الطَّاوِي على مَضَضٍ
ماذا عَرَفْتَ عن الدُّنيا وباطِلِها
حقائقُ العيش والأحياءِ تَطوِيها
مِمَّا عَرَفْناه مِنْ أَخْفَى معانيها؟

(١) الوَعشاء : المشقة والتعب .

قد قُمْتَ ناضرة الأوراق ، راويةً
 وقد صَدَرْنَا ظمَاءً عن مواردها
 يرمي الشَّمَاتُ بنا في قاع غَيْبَةٍ
 جَرَحَى ثَنُوءُ بأعباءِ الحياةِ أَسَى
 يُلْقِي بنا الأَيْنُ غُزْلاً في مَفَاوِزِهَا
 وَيُوْهَبُ الأَمْنُ بِسَامٍ على دَخَلٍ
 لا ، لن نلینَ على الأَرْزاقِ نُحْرَمُهَا
 من مُسْتَقَاكِ على أَعْلَى مَجَارِيهَا
 مَذْلُوثُ الظَّافِرُ الجافي حواشيها
 من نَاعِمِينَ رَأَوْا رُشْداً تَوَقَّعَهَا
 مُطْلَعِينَ ، عَمِينَا عن مَسَارِيهَا^(١)
 طُخِيَاءَ ترمي بنا هُوجاً مَرَامِيهَا^(٢)
 في مِحْنَةٍ ، هو ، دُونَ النَّاسِ ، جَانِيهَا^(٣)
 ولا نَهْوُنُ على الأَرْمَاقِ نُوهِيهَا



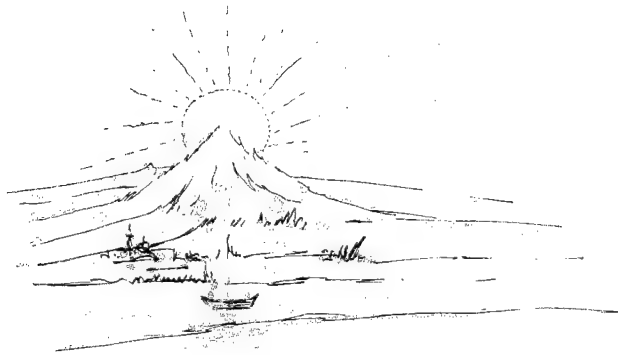
(١) مطلقين : جمع مُطْلَح وهو المتعب المجهود .

(٢) الطخياء : الظلمة الشديدة .

(٣) الدَّخْل : الفساد ، العيب .



دُعَاءٌ - صَدَاهُ الصَّمْتُ - ليس يُجَابُ
كَأَنَّ رُؤْيَ ، هِمْنَا طَوِيلًا بِجَبْهَا
تَدَاعَتْ مَسَاعِينَا عَلَى الْإَيْنِ وَالسُّرَى
وَأَقْبَلَ فِي ظِلِّ الْهَوَانِ شَابُنَا
فَإِنْ ذَكَرَ الرَّأَوِي سَوَابِقَ مَجْدِنَا
وَقَامَتْ مُوَازِينُ الْحَيَاةِ عَلَى الْغِنَى
وَجُهِدْ ، عَدَاهُ الْفَوْزُ ، كَيْفَ يُثَابُ ؟
عَلَى ظَمَأٍ ، لِلْخَالِدَاتِ ، سَرَابُ
تَرَامَى ، وَطَالَتْ ، فُرْقَةُ وَصِيعَابُ
وَأَدْبَرَ رَهْطُ الْعَاثِرِينَ وَشَابُوا
تَنَاقَلَهُ الْمُسْتَنَكِرُونَ وَعَابُوا
وَمَا هُوَ إِلَّا فِتْنَةٌ وَخَرَابُ



الشرق والغرب لا يلتقيان

أَبَتْ قُرْبُ الْإِنْسَانِ إِلَّا تَلَاقِيَا
وَمَا قُرْبُ الْإِنْسَانِ إِلَّا وَشَائِجٌ
رَمَى بَيْنَهَا عَسْفُ الْفُرُوقِ فَذَكَّهَا
فَأَمَّا تَلَاَقَتْ بَعْدَ رَيْبٍ وَجَفْوَةٍ
وَفِي أَنْ تَرَى حَقَّ الْعَدَالَةِ شَائِعاً
وَفِي أَنْ تَنَالَ الْحَقَّ حُجَّةً أَهْلِهِ
وَفِي أَنْ يُمَاطَ الضَّيْمُ عَنْ كُلِّ أُمَّةٍ
وَفِي أَنْ تُرَى حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ مَوْرِداً
فَمَا شَرَعَ الْإِنصَافُ جَوْعاً لِكَادِحٍ
وَلَا أَنْ يَنَالَ الدَّفْعَ نَشْوَانُ طَاعِمٍ
وَلَا أَنْ يُرَى جَيْدُ الْفَقِيرَةِ عَاطِلاً
عَلَى غُلُوءِ الدَّهْرِ بَعْدَ التَّجَافِيَا^(١)
مِنَ النَّسَبِ الْقَاصِي ، تَدَاعَتْ دَوَانِيَا^(٢)
فَقَامَ بِهَا دَاعِي الْأَوَاصِرِ بَانِيَا
فَفِي أَنْ تَرَى وَرْدَ الْمَنَاسِبِ صَافِيَا
وَفِي أَنْ تَرَى ظِلَّ الْمَسَاوَةِ ضَافِيَا^(٣)
وَلَوْ أَنْ تَيَجَانَا أَبَتْ ، وَمَوَاضِيَا^(٤)
تَحَوَّنَهَا بِأَسُ الْمُغْيِرِينَ بَاغِيَا
مُبَاحاً ، وَأَلَا يَدْفَعُ الظُّلْمُ صَادِيَا^(٥)
مُسَخَّرُهُ يَقْضِي الْجَدِيدِينَ لَاهِيَا^(٦)
وَفِي فَخِّهِ عَانٍ تَضَوَّرَ عَارِيَا
وَأَعْنَاقُ أَجْرَاءِ الْغَنِيِّ حَوَالِيَا^(٧)

(١) الْقُرْبُ : القرابة ، وهي الدنو في النسب . الْغُلُوءُ : الغلو والتزيد .

(٢) الْوَشَائِجُ : جمع وشيجة وهي القرابة المتصلة .

(٣) ضَافِيَا : سابقاً .

(٤) الْمَوَاضِي : جمع الماضي ، السيف القاطع .

(٥) الصَّادِي : الشديد العطش .

(٦) الْجَدِيدَانِ : الليل والنهار .

(٧) الْعَاطِلُ : الخالي من الحلي ، وعكسه : الحالي .

وَأَنْ تُحَرِّمَ الْآلَافَ مَأْوًى وَمَطْعَمًا
فَإِنْ ثَارَ مَهْضُومٌ لِحَقِّي مُضَيِّعٌ
لَأَنَّ قَوِيًّا غَالٌ مِنْهَا الْمَسَاعِيَا
طَوْتُهُ قُوَى سُلَّابِهِ ، عُذَّ عَاصِيَا

* * *

لَئِنْ كَانَ قَانُونُ الْعَدَالَةِ مَا نَرَى
لِخَوْضِ الْمَنِيَا كَالْحَاتِ أَثَارَهَا
أَحْمِلُ أَعْبَاءَ الْجِهَادِ تَفَانِيًّا
فَيْنَا ، وَأَفْنِيَا ، وَلَمْ يَفْنِ جُهْدُنَا
وإنْ نَطَّ لَهَا نُصْرَةٌ وَهَزِيمَةٌ
فَلَمْ نُقْتَضِ أَرْوَاحَنَا وَالتَّوَصِيَا ؟
قَوِيٌّ عَلَى جِيرَانِهِ ، رَاحَ عَادِيَا
وَأَجْرِمُ فِي عُقْبَى النَّجَاحِ جَزَائِيَا ؟
إِذَا بَقِيَتْ أَطْمَاعُ قَوْمٍ كَمَا هِيََا
بَدَا خَلْفَهَا زَنْدُ الْمَطَامِعِ وَارِيَا

* * *

بَلَى ! نَلْتَقِي ، يَا غَرْبُ ، مَسْعًى وَغَايَةً
وَمَا الشَّرْقُ إِنْ مَدَّ الْيَمِينَ لِصِنُوهِ
سَوَى نَسَبٍ تَلْوِي الْقِرَابَةَ دَيْتَهُ
فَإِنْ نَالَ حَقًّا ، فَالْوَفَاءُ صَنِيعُهُ
فَمَا كَانَتْ الْأَعْوَانُ إِلَّا عَوَارِيَا
سَوَى نَسَبٍ رَامَ التَّكَافُورَ فَادِيَا
وَتُنَكَّرُ مِنْهُ أَنَّ أَطَالَ التَّقَاضِيَا
وَإِنْ مَسَّهُ حَيْفٌ تَحْمَطُ ضَارِيَا^(١)

* * *

بَلَى ! نَلْتَقِي ، يَا غَرْبُ ، عَدْلًا وَرَحْمَةً
لِنَرْفَعَ أَعْلَامَ الْحَضَارَةِ وَالسَّنَى
فَمَا خَيْرُ مَسْعًى لَا يُحَرِّرُ رَاسِفًا
وَنَدْعَمُ أَسَاسَ السَّلَامِ بِوَاقِيَا
كَمَا نَتَلَقَى فِكْرَةً ، وَأَمَانِيَا
وَيَرْحَمُ مُحْرُومًا ، وَيُسَعِفُ شَاكِيَا؟^(٢)

(١) الحيف : الظلم . تَحْمَطُ : ثَارَ وَهَدَرَ وَاضْطَرَبَ .

(٢) الراسف : في القيد : الماشي فيه رويداً .

أَمَّنْ شَادَ مَسْعَاهُ بَوَاذِخَ اللَّرْدَى كَمَنْ شَادَهَا لِلْعَائِذِينَ مُوَاسِيَا ؟
 أَمَّنْ سَرَّ مَكْرُوباً وَأَنْهَضَ عَائِراً كَمَنْ رَدَّ ، شَرَقَى بِالذُّمُوعِ ، الْمَاقِيَا ؟

* * *

لئن بَاعَدَ الْمَاضِي الْقُلُوبَ عَلَى جَفَا فَقَدْ رَدَّهَا دَاعِي الْلِقَاءِ حَوَانِيَا
 تَلَاقَى بِنَا الْيَوْمَ الْعَتِيدُ ، وَإِنَّا لَنَرْجُو غَدًا ، حَرِيَّةً ، وَتَآخِيَا
 فَهَلْ نَلْتَقِي كُفَّيْنِ ، وَدَاً وَحُرْمَةً وَعَهْدًا وَثِيقًا ، يُقْتَضَى ، وَدَوَاعِيَا ؟

جدة ١٩٤٣ م





لغز الحياة

بئسَ ما تبتغي العقولُ طلاباً فوق أنقاضِ حسنا والشُّعورِ
بقيودٍ من الزَّواجِرِ ، تعتا.....ضُ من اللَّبِّ ، مهملاً ، بالقشورِ
قد أحلَّت وحرَّمت ، وغدا النَّاسُ.....سُ لغاياتِهِم ، بلا تقديرِ
والموازينُ قائماتٌ ، على العهد.....د بدعوى سُلطانِها المدحورِ
ما أرى العقلَ غيرَ راكبٍ لَجِّ باحثٍ عن هُده ، في دُجورِ

* * *

إنَّها غايَةُ الحياة ، ومَسرا.....ها ، وللعقل حَيْرَةُ التَّفْسيرِ
خَفَلت قصَّةُ الحياة ، على مُغل.....لِق الغازِها ، بكلِّ مثيرِ
لن تنالَ العقولُ ، من ذلك السرِّ.....ولو مَزَقَتْ ، أُلوفَ السُّتورِ
وستمضي النفوسُ .. تَعُدو فراشاً لاحتراقٍ ، في جِلْمِها بالنُّورِ
يا سكونَ القبورِ ! ما أروغ الصِّم.....ت بشيراً يَدعو بصوتٍ نذيرِ

* * *

ستظلُّ الأرواحُ تَسبحُ في ظل.....مة أهوائِها ، تهيمُ ضياعاً
مُقبِلاتٍ على مطالِها الدَّن.....يا ، تظنُّ الوجودَ ، نهياً مَشاعاً
وتظلُّ العقولُ ، تكبُّو على الوَع.....ر ، وتَجفُّو لِينِ الحياة ، متاعاً

وسترمي بالضعف والعجز والجهل ، وتأبى للصبر أن يتداعى
وستبكي بصمتها المأتم الدامى ، ولا تهمس الأنين ، وداعا

* * *

يا نجوم الفضاء ! هل صدغ الصمت بدنياك ، رائد للفضاء ؟
وكذا ، مرقوا السكينة في الأرض ، وصاغوا القيود للضعفاء
واستغلوا الجهود ، واحتكروا الأقوات ، باسم الإصلاح والإنماء
والشعارات زائفات ، تحيل العيش ضنكاً ، يفيض بالأرزاء
هكذا بعد سحيقهم ، عالم الأرض ضي غتواً ، تطلّعوا للسماء

* * *

مرحباً يا سماء ! ضربتُك الكبـ.....رى عقاباً ، لجاحدي العدل ، عدلاً
يا نجوم الفضاء ! صمتك مازال بياناً ، لو أن للكفر عقلاً
ومن القول ما يمدُّ به الصمت ، على أروع المشاهد ، ظللاً
إنه يبلغ الكلام مدى الصمت ، بنجواه ، كثيراً .. ومقللاً

* * *

يا نجوم الفضاء ! حسبك من صم.....تِك سحراً أبان عنك وعبر !
أنت في عالم السكينة ، شعراً عبقرى ، غنى ، وأغنى ، وصور
فالزهور التي تقول ، ولا تنطق بالصمت ما أثار وحيراً ؟
ودموع الأسى ، شكاة ، وآلاً.....ماً عذاباً ، وفرحة ، تتحدّر ؟
صور للبيان ، أبلغ من كل كلام ، وفتنة تتفجّر

* * *

يا زمان الهوى ! أرى بعدك العُمُ.....رَ شَريداً ، مروّعاً ، يتعثّر !
يا شراعاً ، أضلّ مجراه .. في اليمِّ.....وقد هالاه الظّلامُ فأقصر !
أين يمضي ؟ وكيف ؟ لا أهبّة تُنـ.....هَضُ عِزماً ، ولا حِجى يتدبّر ؟
يتلقّى مصيره في سكون الصّ.....مت جُرحاً ، بكيره ، يتسّـ
يا زمان الهوى ! مضيت ، وأبعد.....ت ، وخلفت عالماً قد تحجّر !

* * *

ألمّا يجحدُ الفضيلةَ والحَي.....رَ وصوت الضمير والوجدانِ
ومزايا الإنسانِ تنمو وتسمو قوةً تحت راية الإيمانِ
واعتقاداً يُنير في ظلمة .. الهو.....ل فيجتازها دروب أمانِ
أيّها العالمُ الذي ضلّ بالعِل.....م ، فساوى الإنسانَ بالحيوانِ !
إنّه ، في الوجودِ ، قلباً وروحاً.....وخيالاً ، مرآة هذا الكيانِ !

* * *

يا زمان الهوى ! تَرامى' بك الأي.....ن ، وضاقَت على خُطاك القيودُ !
ما أرى للربيعِ بعدك معنًى.....فالسنى فيه باهتٌ والورودُ
يا زمان الهوى ! مضيتَ بدنياً.....ي ، فما اجتازَ بعدها العُمَر عيْدُ !
لم تزل ذكرياتها ملءَ عيني.....حاناً ، يُظللُهنّ الخلودُ
يا زمان الهوى ! وداعاً إلى غي.....ر لقاءٍ ، فأني ماضٍ يعودُ ؟

★ ★ ★

تأملات

آثَرْتُ أَنْ أَظْمَأَ وَعِيفْتُ مَوَارِدِي
وَصَرَفْتُ نَفْسِي عَنْ غُلَلَاتِ الْهَوَى
وَنَذَرْتُ نَفْسِي لِلْجِهَادِ ، فَهَالَهَا
فَإِذَا مُرَادُ النَّفْسِ أَبْعَدُ غَايَةٍ
وَإِذَا الْحَيَاةُ بَغِيرٌ مَجْدٍ قِصَّةٌ
وَاعْتَضْتُ مِنْ نَوْمِي انْتِبَاهَةً سَاهِدِ
لَمَّا أَجَلْتُ بِهِنَّ رَأْيِي النَّاقِدِ
أَلَّا تَشُدَّ عَلَى اللَّغُوبِ بَعَاضِدِ
مِمَّا يُعِينُ عَلَيْهِ جُهْدُ الْجَاهِدِ
زَكَّى الْقَنُوطَ بِهَا فَوَاتُ الشَّاهِدِ

* * *

قَالُوا : اسْتِعَاضَ الْمَجْدَ مُفْتَقِدُ الْهَوَى ،
وَلَرُبَّ مُحْسُودٍ يَبِيعُ نَعِيمَهُ
فَبَكَتْ لِفَقْدِ هَوَاهُ عَيْنُ الْوَاجِدِ
بِهِنَاءِ يَوْمٍ مِنْ حَيَاةِ الْحَاسِدِ

* * *

آمَلْنَا مِلْءُ التُّفُوسِ ، فَهَلْ تُرَى
وَأَرَى الزَّهَادَةَ فِي مَظَاهِرِهَا ثُقَى
أَعْيَيْتَ تَطَلُّبُ فِي حَيَاتِكَ رَاحَةً
يَجْرِي الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ
صَفَرْتُ مِنَ الْآمَالِ نَفْسُ الزَّاهِدِ ؟
مِنْ تَحْتِهِ لَهَبُ الطَّمَّاحِ الْخَامِدِ
وَالْكَدُّ دَابُّ طَرِيدِهَا وَالطَّارِدِ ؟
فَعَلَامَ يَعْجَبُ جَاهِدٌ مِنْ قَاعِدِ ؟

* * *

وَجَدَ الْوَلِيدُ ، وَلَمْ يَجِدْ ، سَعَادَةً
أَرْسَى دَعَائِمَهَا شِقَاءُ الْوَالِدِ

هذا أباه ، وتَمَّ حُكْمُ الواحدِ
عَصَفَتْ بأحلامِ الخيالِ الواعدِ
قلبُ الجبانِ بها كقلبِ الصَّامِدِ
بنصِيهِهِ ومنـاصِلُ كالماردِ
لَأَطَعْتُ في الإقدامِ نُصَحَ مُراوِدِي
فإذا المَزِيَّةُ في الصَّغارِ السائدِ
لَوَصَلْتُ طارفَ فضلِها بالتَّالِدِ
فَرُطُ الكلامِ عن اعتزامِ الصَّاعِدِ

فجَزَى أباهُ بالعُقُوقِ ، كما جَزَى
بين السَّعادةِ والشَّقَاءِ متاهَةً
والعيشُ معركةٌ تَمَرَّسَ بالأُسى
وتفاضلتِ هِمُّ الرُّجالِ ففانِعُ
لولا دواعي الطَّبعِ ، وَهِيَ عَصِيَّةٌ
كان السُّمُوُّ عن الصَّغارِ مَزِيَّةٌ
ولو أنَّ زُهدَ العاجِزِينَ فضيلةٌ
فلقد عَجَزْتُ ، وما زهدْتُ ، وَصَدَّنِي

* * *

فطَوَى الجُحُودُ العَمْدُ فضلَ الرَّائدِ
مما يُحَرِّكُ فيَّ سوءَ مقاصِدِي
ذاعت ، وفاضَ بها الخيالُ ، مَحامِدِي
وقَضَى ، فأَمْطَرَ بالثَّنَاءِ الخالِدِ

رعتِ الجماعةُ بعد غَيِّ رُشدِها
قالوا : اعتزلتِ النَّاسَ ، قلتُ : مخافةٌ
لَمَّا دَفَنْتُ مطامعِي وأَمْنْتُها
كالْحَيِّ عاشَ مُضَيِّعاً في قومِهِ

* * *



هَدَرْتُ شُعُورِي حِينَ صَعَّدْتُهُ شِعْرَا
فَمَا لِي وَقَدْ عَفْتُ السَّلَامَةَ مُورِدًا
تَبَدَّلْتُ مِنْ عَزَمِي وَجُلُّ شَبِيبَتِي
يَهْوُونُ فِي عَيْنِي الْحَيَاةَ وَأَهْلَهَا
فَعَشْتُ وَإِيَّاهُ رَفِيقِي مَتَاهَةً
حَرِييْنِ فِي دُنْيَا تَفِيضُ بِشَاشَةً
وَنَحْنُ سَوَاءٌ ، إِنَّمَا الْعَيْشُ رَحْلَةٌ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَهْلِ عَوْنًا لِمُدْلِجٍ

* * *

تَطَلَّبَ ، مِنْ دُنْيَاهُ عَدْلًا فَسَوَّفَتْ ،
فَأَنْفَقَ فِي ظِلِّ الْخُمُولِ حَيَاتِهِ
وَرُبَّ مُجِدِّ لَمْ يَدْعَ بَابَ حِيلَةٍ
وَحَيٍّ مِنَ الْأَحْيَاءِ ، غَايَةً قَصْدِهِ
تُسَاقُ إِلَيْهِ مِنْ غَرَائِبِ رَزْقِهِ
كَمَا جَفَتْ الْمُزْنُ الْجِنَانُ ، فَصَوَّحَتْ
تَنَوُّ بِهَا الْأَفْهَامَ ، بَدَأَ وَغَايَةً ،

* * *

وَأَشْفَى لِنَفْسِي أَنْ أَفْجَرَهُ جَمْرَا
وَأَعْرَضْتُ عَنْ أَسْبَابِ طَالِبِهَا كِبْرَا ؟
حِجَّتِي ، لَا يَرَى إِلَّا الْمَسَاوِيَّ وَالتُّكْرَا ؟
وَيُوسِعُ طَلَابَ الْمَتَاعِ بِهَا سُخْرَا
عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ ، نَخِيطُ السَّهْلَ وَالْوَعْرَا
لِمُنْتَهَجِيهَا ، رَغَمَ مَا سَاءَ أَوْ سَرَا
مَدَانَا بِهَا ، الْمَقْدُورُ ، أَنْ نَقْطَعَ الْعُمْرَا
مَضَى قُدُمًا ، لَا يَسْتَشْفَى لَهَا سِرَا

حَكِيمٌ فَلَا عَجْزًا أَقَامَ وَلَا صَدْرَا
وَعَاشَ ، عَلَى جَذْبِ الْحَقِيقَةِ ، مُضْطَرَا
إِلَى الْيَسْرِ ، أَفَنَى جُهْدَهُ ، فَجَنَى الْعُسْرَا
عَلَى عَيْشِهِ أَلَّا يَجُوعَ وَلَا يَعْزَى
سَحَائِبُ ، فَاضَتْ حَوْلَهُ دِيمًا غُزْرَا
وَجَادَتْ ، وَلَمْ يَأْبَهُ لَهَا ، بِلَدًا قَفْرَا
حَيَاةً لَهَا فِي الْعَيْبِ أَقْضِيَةٌ تُجْرَى

سَلُّوا الزَّاهِدَ الضَّائِي لُغُوباً ، تَحَدَّرَتْ
أَسِيرُ رَهِينِ الْمَحْسِسِينَ مَصِيرُهُ
مَدَامُ ، لَا يَطْمَئِنُّ وَلَا يَكْبَرِي
أَمْ احْتَسَبَ الْأُولَى وَلَمْ يَدْرِكِ الْآخَرَى ؟

* * *

جَرَتْ بِيْ أَسْبَابُ الْقَضَاءِ خَفِيَّةً
وَأَعْدَلُ ، فِيمَا كَانَ مِنْ سُوءِ فِطْرَتِي ،
فَخِلْتُ اخْتِياراً مَا يَرَاهُ الْحَجَى جَبْرًا
لَوْ اخْتَرْتُ كُونِي ، مَا ارْتَضَيْتُ لَهُ خُسْرًا
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ الْخَلَائِقِ أَمْرُهُ
وَعَايَتُهُ ، خَيْرًا ، تَأَثَّرْتُ أَمْ شَرًّا

* * *

أَرَى عُقْلَاءَ الْقَوْمِ فَاضَتْ صُدُورُهُمْ
قَدَحْتُ زِنَادَ الْعِزْمِ فِي رَاجِحِ النَّهْيِ
أَسَى ، وَأَرَى الْجُهَّالَ قَدْ مُلِئُوا بِشَرًّا
فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْعَقْلَ أَبْطَأُ مَرْكَبٍ
وَنَاشَدْتُهُ عَهْدَ الْجِهَادِ ، فَمَا أَوْرَى
وَمَا الْعَقْلُ إِلَّا بَوْمَةٌ طَالَ جُهْدُهَا
إِلَى غَايَةِ تَسْتَعْجِلِ الْوَاثِبَ الْبَكْرَا
فَمَا نَوَّرْتُ لَيْلًا ، وَلَا أَظْلَمْتُ فَجْرًا

* * *

بَكَيْنَا عَلَى الْمَوْتِ ، وَإِنَّ حَيَاتِنَا
فَلَيْسَ يُبَالِي مَيِّتٌ حَلَّ قَبْرَهُ
بَادَمَعَ بَاكِ ، فِي فِجَائِعِهَا ، أُخْرَى
وَأَسَى لِلْحَيِّ عَدْلٌ ، فَمَا يَنْبِي
تَوَسَّدَ رَمْلًا جَنْبُهُ فِيهِ أَوْ صَخْرًا
يَهِيمُ بِخُلُوعِ الْعَيْشِ يَجْرَعُهُ مُرًّا

* * *

أَصَابَ الْعُلَا ، إِرْثًا ، وَلَمْ يَسَعْ ، غَافِلٌ
كَذَاكَ شَهُودُ الزُّورِ فِي كُلِّ حَقْبَةٍ
فَصَاغُوا لَهُ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ ذِكْرًا
دَوَاعُرُ ، مَا يَعْرِفَنَ صِدْقًا وَلَا طَهْرًا

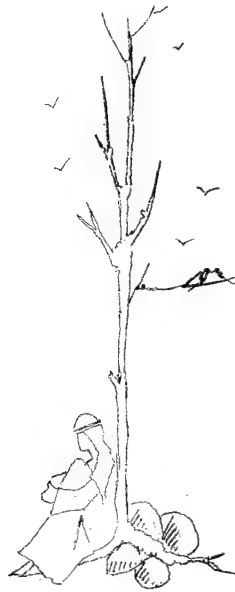
* * *



منذ استقرّ شراعي وانطوت ريجي
أمضي به مُسْتَطَارَ القلبِ والروحِ
إلى حبيبٍ ، ولا دَمْعِي بِمَسْفُوحِ
كَوْنٍ فَسِيحٍ طَلِيقِ الأفقِ مفتوحِ
ملاوة النفسِ في أرجائه الفيحِ
قضَى ولا الفكرُ عن سَبَقِ بِمَكْبُوحِ
أسبابه من « أحاليل التماسيح » :
أغنت عن الشمس أضواء المصابيح
على جوانب قلبٍ غيرٍ مقروحِ
فهل أطيعُ جهاداً بعد تسريحِ ؟
فازجُرْ هَوَاكَ بِقُدُوسٍ وَسُبُوحِ
فصنّت وجهي عن ذلٍّ وتجريحِ
تُردي العزائم بين الأين واللّوجِ
شذا أزاهيرها من بعد تصوّيحِ
بما تأثرت من حبسٍ وتذريحِ
إلى مُرَادِيهِ من أمني وترويحِ

أراحني الله من سُهْدٍ وتبريحِ
فلم يُعد في وصال الغيد لي وطرحِ
وطاب ليّلي ، فلا شوقٌ يورّقني
أنّي اتّجهتُ خَلِيّ البالِ رُحْتُ إلى
أهيمُ فيه ، وأستوحى مَفَاتِنَه
لا القلبُ فيه بمرتعٍ على أملِ
فقل لمن هامَ بالغاياتِ متّخذاً
لو رَدَّ مَيّتٌ على حيٍّ عزيمته
عادَ الرّبيعُ ، فلم تُشرق بشاشته
أبليتُ في القيدِ عُمري نائراً قلّقا
طوى الشّبابُ علاّاتِ المني ومضى
لقد تركتُ الهوى للتّاعمين به
سرى بنا اليأسُ في رمضاء محرقه
واليأسُ أروحُ من آمالٍ مُرتَقِبِ
يا راعي الضّئانِ ! قد رَوّعَتْها زَمناً
فإن تسلّل من مرعاك نافرّها

أَتَاكَ ، غَيْرَ بَعِيدٍ ، صَوْتُ ثَائِرِهَا
أَذَكَ أَسَاكَ الشُّطُوطُ الْخُرْسُ لَوْ نَطَقَتْ
مَضَى الزَّمَانُ عَلَى مَأْلُوفِ سُنَّتِهِ
فَفِيمَ يَعْتَبُ ذُو عَقْلٍ عَلَى سَفَهٍ
ضَاقَتْ نَفُوسٌ بِمَا تُخْفِي ، وَإِنَّ لَهَا
مَتَى يَعْجِي مُدَّعِي الْإِدْرَاكِ غَايَتِهِ
وَهَلْ يُنِيرُ ، لَسَارٍ ضَلَّ ، مَسْلَكَهُ
طَرَحَتْ أَعْبَاءَ عَيْشِي غَيْرَ مُتَّيِدٍ
مَوْجاً مِنَ الْبَاسِ ، لَا يُبْقَى عَلَى نُوجِ
وَأَرْقَتْكَ مِيَاهُ النَّهْرِ لَوْ تَوَحَّى
يُذَلِّلُ الْقِمَمَ الْعَصْمَاءَ لِلسُّوجِ
فِي مِحْنَةٍ سَادَ فِيهَا كُلُّ مَقْبُوحِ
يَوْمًا يُهَيِّبُ بِهَا مُسْتَنْفِرًا : بُوحِي
وَعَايَتِي مِنْ إِشَارَاتِي وَتَلْوِيحِي ؟
شَرَارُ زَنْدٍ بِجُنْحِ اللَّيْلِ مَقْدُوحِ ؟
وَضَلَّ مَا بِفُؤَادِي غَيْرَ مَطْرُوحِ !





يا شعاعاً ! يَلُوحُ في ظُلْمَةِ اليَأْسِ.....سِي وَيَخْفَى ، ماذا يُطِيق البَصِيرُ ؟
لَسْتُ إِلَّا وَهْماً يُراوِدُ عَيْنَيَّ.....وَيَعَيَا بِكشْفِهِ التَّشْخِصُ
أو شِرَاعاً أَعْيَتْهُ نَائِرَةُ المَوْتِ.....ج ، فَصَدْرُ يَطْفُو ، وَعَجْزُ يَغوصُ
يَا لَنَا طَائِرِينَ رِيحاً عن الوَكْءِ.....رِ فَهَامَا ، وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَوِيصُ
فَهُمَا في الظَّلَامِ دَاجٍ مَهِيضُ لِسَلِيمٍ ، جَنَاحُهُ مَقْصُوصُ

* * *

ما أرى في البَقَاءِ إِلَّا غُلَلاً.....تِ خِيَالٍ ، مَالُهَا التَّنْغِيصُ
وَالرَّدَى صَائِدُ النُّفُوسِ فما فَرَّ.....كِئَاسٌ مِنْهُ ، وَلَمْ يَنْجُ عِصْ
فَعَلَامَ العَنَاءِ يُضْنِي المُجِدِّ.....ينَ ، وَيَعْلَاهُ طَاعِمٌ وَخَمِيصُ ؟
يَا لَهَا رَحْلَةً ! بَرَانَا بها الجَهْدُ.....دُ ، وَلَكِنْ قَدْ عَزَّ فِيهَا التُّكُوصُ !

* * *

يَا بِجَالِ الأفكارِ ! ضَيَّقْتُ بها حَظَّ.....وَأَوَيْدًا ، فَكَيْفَ كَيْفَ النَّصِيصُ ؟
أَيَّ عَهْدٍ هَذَا الَّذِي غَلَبَتْ فِي.....هِ على الحَقِّ سِفْلَةٌ وَلُصُوصُ ؟
قال قوم : زَمَانُنَا دُونَ أَزْمَا.....نِ تَقَصَّصَتْ ، وَأَعَوَزَ التَّمَحِيصُ
إِنَّمَا النَّاسُ ، مِنْذُ كَانُوا ، ضَعِيفٌ لِقَوِيٍّ ، وَقَانِصٌ وَقَنِيصُ

* * *

يا فَسِيلاً ! قَدْ غَصَّ بِالماءِ رِيّاً ثُمَّ نَخَلَ ، نَصِيْهُهُ مَنْقُوصُ
 قَدْ شَغَفْنَا بِالْأَعْيُنِ التُّجَلَّ حُبّاً وَسَبَتْ غَيْرَنَا الْعُيُونُ الْخُوصُ
 قال لي صاحبي : سَيَصْلُحُ شَأْنُ النَّ.....اس ، يوماً ، فَهالَنْبِي التَّخْرِيصُ

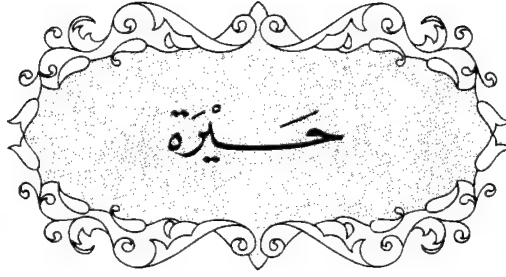
* * *

قَصَّرْتُ مِنْ ثِيَابِهَا ، فَعَنَا الْمَف.....تُونَ صَمْتاً ، وَأَمْسَكَ التَّخْرِيصُ
 جَنَّبِنَا ، يَا تَلَكْ ، فَتَنَةً أَعْضَا.....ئِكَ ، فِيمَا يَشِفُّ عَنْهُ الْقَمِيصُ
 حَسَبْنَا فِتْنَةَ الْأَنْوَةِ ، شَتَّتْ.....هَا عَلَيْنَا شِبَاكُهَا وَالشُّصُوصُ
 شَهِدَ الْعَقْلُ أَنَّ عَيْشَ الْخَلِيِّ.....نَ ، عَلَى مَا فَقِهْتُ ، عَيْشُ رَخِيسُ

* * *

سَأَلْتُ مَا هُوَ الْقَضَاءُ ؟ فَأَطْرَقَ.....تُ طَوِيلاً ، أَمَّا هَذَنُهَا النَّصُوصُ ؟
 وَأَرَانِي لَوْ قُلْتُ شَيْئاً لَأَزْرَى بِي فِيهِ الْإِسْهَابُ وَالتَّلْخِيصُ
 نَحْنُ ، بِاللَّهِ ، سَاكِنِينَ وَمَاضِي.....نَ ، فَمَاذَا أَرْوَا حُنَا وَالشُّخُوصُ ؟
 أَتَرَى مَا يُصِيبُهُ الْمَرْءُ مِنْ دُنْ.....يَاهُ أَمراً قَدْ كَانَ عَنْهُ مَحِيصُ ؟
 مَا أَصَابَ الْقَضَاءُ مِنَّا غَفَولاً قَبْلَ حِينٍ ، وَلَا اتَّقَاهُ خَرِيصُ
 أَيُّهَا الْمَرْتَجِي خُلُوداً عَلَى الْأَر.....ضِ ، تَهَيَّأْ ، فَقَدْ دَعَاكَ الشُّخُوصُ

* * *



عَلَامَ بَكِي الْبَاكُونَ فِي الْحَيِّ هَالِكًا
 وهل يَعْقِلُ الْمَفْجُوعُ فِي غَمْرَةِ الْأَسَى
 أَلَا رَبُّ شَاكٍ مِنْ مَسَاءَةِ يَوْمِهِ
 تَنَبَّأَتْ بِالْأَحْدَاثِ قَبْلَ وَقْعِهَا
 يُلَامُ أَنَاثُ أَتَحَنَ الْقَيْظُ فِيهِمْ
 أَرَى زَبَدًا كَاللُّجِّ أَعْمَارَ نَابِهِ
 تُسَائِلُنِي : كَيْفَ انْتَهَيْتَ إِلَى الرُّضَى
 أَهْبْتُ بِعَزْمِي ، فَاسْتَجَابَ ، فَرَدَّنِي
 لِأَمْرِ رَأَى دُوَّ الرَّأْيِ أَنَّ حُثَالَةَ
 تَشَبَّهْتُ بِالسَّاعِينَ عَزْمًا وَأُهْبَةً
 وَثَقُلْتُ مِنْ خَطْوِي أَنَاةً وَحِكْمَةً
 هُوَ الرِّزْقُ قَدْ لَا يِلْبُغُ الْقَصْدَ جَاهِدُ
 رَأَيْتُ دُرُوبَ الْعَيْشِ شَتَّى لِمَنْ وَعَى
 وَقَدْ حَظَيْتِ اللَّاهُونَ بِالصَّيِّتِ وَالْغَنَى
 وَعِشْتُ ، عَلَى مَا كَانَ ، طَالِبَ غَايَةٍ

وَكُلُّ وَجُودٍ شُعْلَةٌ سَوْفَ تُطْفَأُ
 مَقَالِكَ : إِنَّ الصَّبْرَ لِلْحُزْنِ أَدْرَأُ^(١)
 تَطَامَنَ لِلْيَوْمِ الَّذِي هُوَ أَسْوَأُ
 فَمَا حَاطَنِي مِمَّا حَذَرْتُ التَّنَبُّؤُ
 وَلَوْ وَجَدُوا بَرْدَ الظَّلَالِ تَفَيَّأُوا
 فَقَاقِيعَ مَاءٍ ، تَنْتَهِي حَيْثُ تَبَدَّأُ
 وَمَا عَلِمْتُ أَنَّ الْعَزَائِمَ تَصْدَأُ
 لِسَالِفِ أَطْوَارِي ، حَيَاءً وَمَبَدَأُ
 مِنَ النَّاسِ أَقْضَى لِلْمُرَادِ وَأَكْفَأُ
 فَأَخَّرَنِي أَنِّي عَجِلْتُ وَأَبْطَأُوا
 فَقَالَ خَلِيٍّ : شَدَّ مَا تَتَلَكَّأُ
 مَصِيبٌ ، وَيَلْقَاهُ ، وَلَمْ يَسَعْ ، مُخْطِئُ
 مَسَالِكُهَا ، وَاحْتَرْتُ مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ
 فَشَادُوا ، وَسَادُوا ، وَانْتَشَوُا ، وَتَبَوَّأُوا
 مِنَ الْوَهْمِ ، لَا تَنَائِي وَلَا تَنْهَيَا

(١) أَدْرَأُ : أَدْفَعُ ، مِنْ دَرَأَ الشَّيْءَ إِذَا دَفَعَهُ وَتَوَقَّاهُ .

تَعَبَّرُ أُمِّي بِنُجْجٍ أَصَابَهُ
وَأَخْفَقَ ذُو عِلْمٍ ، فَقَالُوا : مُضَلَّلٌ
طَلَبْتُ شِفَاءَ الصَّدْرِ بِالْعَتَبِ مِنْ جَوَى
أَرَى مِحْنَةً جَرَّأُهَا الذُّلُّ وَالرَّدَى
إِذَا اضْطَرَبَ الْمِيزَانُ فِي مِحْنَةِ النَّهْيِ
فَرَاخَ بِمَا أُوتِيهِ يُفْتِي وَيُقَرِّئُ
وَقَالَ الْحَجَّيْ : إِنَّ الضَّعِيفَ مُرَّرًا
وَلَمْ أُدِرْ أَنَّ الْعَتَبَ لِلْجُرْجِ أَنْكَأُ
فَأَوْمِنُ أَنَّ الْيَأْسَ لِلْعَقْلِ مَرْفَأُ
مَضَى بِالشَّيْءِ الْجَارِمِ الْمُتَجَرِّئُ^(١)



(١) الجارم : المذنب ، الجاني .



مَاذَا يَرِيْبُكَ مِنْ مَالِكَ أَفَغَيَّرَ أَنَّ اللَّيْلَ حَالِكَ^(١)
 الْمَوْتُ خَاتِمَةُ الْمَسِيْرِ ، وَإِنْ تَعَدَّدَتِ الْمَسَالِكُ
 وَالْمَوْتُ لَيْسَ هُوَ الْفَنَاءُ..... ، فَلَا يُقَرُّ حِجِّيْ بِذَلِكَ^(٢)
 كَمْ ذَا هُنَاكَ مِنْ مَسَا..... تِيْرِ السُّرَى ؟ كَمْ ذَا هُنَاكَ !
 كَمْ ذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ مِنْ شَتَّى الْمَتَاعِبِ وَالْمَهَالِكِ !

* * *

سَاوَى الْجَهْلُ بِهَا الْعِلْمُ..... مَ : مَزَاعِمٌ عَصَفَتْ بِحَالِكَ
 لِلْعَقْلِ حُجَّتُهُ ، وَلِلْأَ..... وَهَامَ حُجَّتُهَا ، كَذَلِكَ
 أَتَرَى الْحَقِيقَةَ فِي خِيَا..... لِي كَالْحَقِيقَةِ فِي خِيَالِكَ ؟
 أَوَاهُ مِنْ لُجَجِ الْعُقُوبِ..... ل ! وَآهِ مِنْ حُجَجِ الْمَالِكِ!^(٣)
 قُلْ لِلَّذِي تَشُدُّ الْحَقِيقَةَ..... قَةً كَادِحاً : مَا فِي حِيَالِكَ ؟
 سِرُّ الْحَقِيقَةِ مَا جَهْلُ..... تَ فَلَا تُرْغ . حَالِي كَحَالِكَ
 سَيَّانٍ ، فِي دُنْيَاكَ ، إِنْ أَبْصَرْتَ ، مَمْلُوكٌ وَمَالِكٌ
 لَوْ آثَرَ النَّاسُ الضَّلَالَ..... لَ لَكَانَ رُشْدُكَ فِي ضَلَالِكَ

(١) الْمَالُ : الخاتمة والمصير . حالك : مظلم ، شديد السَّوَادِ .

(٢) يُقَرَّرُ : من أَقَرَّ بمعنى اعترف .

(٣) اللُّجَجُ : مفردها لُجَّةٌ وهى معظم البحر وتردَّد أُمُوجُه ، وقد تكون بمعنى السَّوَادِ الشديد . الْمَالِكُ : الرسائل



ما رأيتُ الحياةَ إلا عُباباً نحنُ فيه ، على السَّلامةِ ، غَرَقَى ^(١)
رُبَّ ماضٍ لغايةٍ لو تَقَرَّرَى ما يَلِها ، رأى التَّخَلُّفَ أَبْقَى ^(٢)

* * *

يا أُماني القلوب ، والأنفسُ الحَـ.....رَى ، مَضَتْ تُقْضِيكَ عَدَلاً وَحَقّاً
لَمَساعِي الأحرارِ فيكَ حَرِيّاً.....تُ بِنُججٍ ، لو كان وَعْدُكَ صِدْقاً

* * *

أَيُّها الكادِحُ الذي اتَّخَذَ الوَعـ.....رَ سَيْلاً إلى السَّعادةِ ! رَفَقاً
هِيَ وَهَمٌ مُجَدَّدٌ ، أَنْتَ مِنْهُ في نِضالٍ ، بِهِ نَبْوءٌ ، وَتَشَقَّى
وَهِيَ لَغْزٌ ، تَمْضِي الحياةَ ، ولا تُكـ.....شِفُ عَنْهُ الظَّنُونُ ، حُرْقاً وَرَتَقاً ^(٣)
كَمْ سَرَيْنَا على سَنَاهَا حَيَّارَى تَرَكَبُ الوَعَرَ والعَوَاصِفَ ، حُرْقاً
وَأَتَشَيْنَا بها خَيْالاً من الرَّا.....حَةِ أَحْنَى مَهْداً ، وَأَنْصَرَ أَفْقاً
فإذا نحنُ في كَفَاجٍ مَرِيرٍ بين سَارٍ على الكَلالِ ومُلَقَى

* * *

(١) العُباب : الموج المرتفع المصطخب .

(٢) تَقَرَّرَى : نظر وتبَّع .

(٣) الحُرْق : الشَّق والتمزيق . وعكسه : الرَّتق وهو السَّد واللَّخْم والإصلاح .

جَلَّ مَنْ أَلَزَمَ النفوسَ دواعي.....ها وأطماعها صِراعاً وسبقاً
فَكَأَنَّ الحِياةَ معركةَ الحَيِّ.....أذاقتهُ ما أَمْضَ وشَقَّى (١)
ثُمَّ ضاقتَ به مَساعيه ، فارتا.....عَ لِمَا خَلَّفَ الصِّراعُ وأَبْقَى
من دواعي آماليهِ ، وَهِيَ صَرَغِي أو بقايا أحلاميهِ ، وَهِيَ شَرَقِي (٢)
فَتَنَاهَتْ بِهِ الدَّامَةُ ، لِلجُهِ.....دِ ، مُذَلَّاً ، لِلحَجَى مُسْتَرَقّاً
بَيْنَ قَيْدَيْنِ مِنْ مُنَى لَا تُؤَاتِي وَأَسَارٍ لَا يَرْتَجِي مِنْهُ عِتْقاً

* * *

رُحْتُ أَسْتَنْطِقُ الحَكِيمَ عِظَاتٍ مِنْ تَجَارِيهِهِ ، فَمَا اسْطَاعَ نُطْقاً
هَلْ تَرَانَا إِلَّا فِقَاقِيعَ مَاءٍ نَثَرَتْهَا الرِّيحُ غَرْباً وَشَرْقاً ؟
فَوْقَ أَثْبَاجِ عَيْلِمٍ صَاحِبِ المَو.....ج ، رَهِيْبِ الوَجْهَيْنِ ، سَطْحاً وَعُمُقاً
تَتَلَقَّى فِيهِ الأَعاصِيرَ وَالظَّلْمَ.....مَةُ شَقَّتْ عَصَا الأَمَانِ وَشَقَّ

* * *

قُلْ لِمَنْ يَتَغَيَّي المَذَلَّةَ بالصَّبْرِ.....رِ عَلَيْهَا ، قَدْ ارْتَضَيْتِ الأَشَقَّاءَ
إِنَّمَا الصَّبْرُ - وَالْمَنِيَّةُ غَيْبٌ - أَنْ تَخْوِضَ العِمَارَ غَيْرَ مُوقَى
كَمْ نَجَا مِنْ كَرِيهَةٍ مُسْتَمِيَّتٍ وَأَصَابَتْ سَهَامُهَا مَنْ تَوَقَّى !
حِكْمَةٌ أَنْ تُصَانَ بالصَّبْرِ وَالذَّلَّةِ.....لُ حَيَاةً ، لَوْ أَنَّ حَيّاً سَيَقِي
غَيْرَ أَنَّ البَقَاءَ أَحْبَوْلَةُ المَو.....تِ ، أَقِيَمْتُ لَنَا ، نُسُوراً .. وَوُرْقاً (٣)

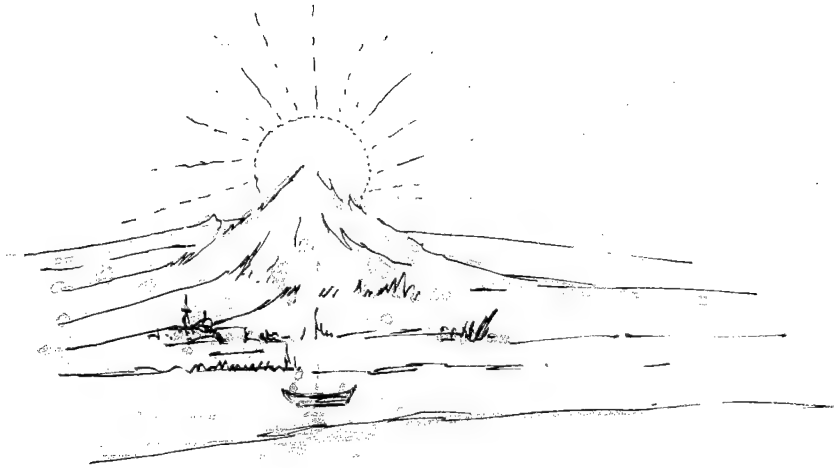
* * *

(١) أَمْضُ : أَوْجَعُ وَآلَمَ . شَقَّى : أَوْقَعَ فِي الشَّقَاءِ .

(٢) شَرَقِي : مِنْ شَرَقٍ بِالْمَاءِ إِذَا غَصَّ بِهِ .

(٣) الوُرْق : جَمْعُ وَرْقَاءٍ وَهِيَ الحِمَامَةُ .

شَرَبَ النَّاسُ بِالرَّذِيلَةِ صَفَواً
 قال لي صاحبي ، على الفوزِ : مَرَحَى
 لا يُسَرَّنَ حَالُكُمْ بِمُنَاهُ
 ولقد يَعَجَلُ السَّلِيمُ ، فَيَقْضِي
 وَشَرَبْنَا عَلَى الْفَضِيلَةِ رَنْقاً^(١)
 ولو استشعرَ القَلِي ، قال : سَحَقاً^(٢)
 فَمَسَارِي الْأَحْلَامِ أَخْطَرُ طُرُقَا
 ولقد يَنْهَضُ السَّقِيمُ ، فَيَقَى^(٣)



(١) الرَنْقَةُ : الكدر .
 (٢) القَلِي : المهجر من البغض .
 (٣) يَقَى : يموت .

تأملات

أَلَا مَنْ لِقَوْمٍ صَرَّحُوا بَعْدَمَا كُنُوا
عَجِبَتْ لِقَوْمٍ صَحَّ فِي الْعَدْلِ رَأْيُهُمْ
وَأَعْجَبُ مِنْهُمْ مُتَّقُونَ تَحَنَّنُوا
رَجَوْنَاهُمْ فِي ظُلْمَةِ الشَّكِّ حُجَّةً
بَلَّا يَقُولُ السَّاخِرُونَ بِهِمْ : جُنُّوا^(١)
فَلَمَّا اقْتَضَاهُ الْمُسْتَضَامُ ، بِهِ ضُنُّوا^(٢)
طَعَامُهُمْ جَشَبٌ ، وَأَثْوَابُهُمْ خُشْنُ^(٣)
نُرْدُ بِهَا الْعَاوِي ، فَقِيلَ : قَدْ اسْتَغْنَوْا

* * *

رَأَى الْحُسْنَ قَوْمٌ ، فَاسْتَطِيرُوا بِسِحْرِهِ
وَمِنْ شَهَوَاتِ الْحَيِّ نَبْعُ شَعُورِهِ
أَرَانَا عَبْدَنَا الْمَالَ ، وَالْجَاهُ ، وَاللَّهْيَ
وَقَالَ حَكِيمٌ : مَا الْغَرَامُ ؟ وَمَا الْحُسْنُ ؟^(٤)
وَأَنَّ مَسَاعِينَا بِأَسْبَابِهَا رَهْنُ
فَمَاتَتْ دَوَاعِي الْكِبَرِ فِينَا . فَمَا نَحْنُ ؟^(٥)

* * *

أَيَا جِرَةَ الْوَادِي ! نَعِمْتُمْ بِخَيْرِهِ
وَهَادَتْهُ الْإِعْصَارُ بَعْدَ عَدَاوَةٍ
فَقَدْ ضَحِكْتَ بَعْدَ الْعُبُوسِ بِهِ الْمُرْنُ
تَهَدَّمْ فِي شَعْوَائِهَا ذَلِكَ الْحِصْنُ^(٦)

-
- (١) كَتَى : تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح ، ومنه : الكناية .
(٢) المستضام : المظلوم . ضَنَّ بالشيء : بغل به .
(٣) تَحَنَّنَ : تعبد . الْجَشَبُ : الطعام الحشن الغليظ بلا إدام .
(٤) استطار : دُعر وفزع .
(٥) اللّهي : جمع لهوة وهي العطية الطيبة .
(٦) شعواء : منتشرة ، متفرقة ، فاشية .

لقد لَعِبَتْ فِيهِ السُّيُوفُ سَوَافِرًا وقد جَهِلَتْ يَوْمًا بِحَوَمَتِهِ الحُصْنُ^(١)
أرى الجودَ خَلَّاقَ المَزايا ، وَطَالَما افترَها ، وَلولا جُودُهُ لم يكن مَعْنُ^(٢)

* * *

وَعَاتِبَةٍ فِي الصَّبْرِ ، قَالَتْ ، فَأَثَقَلَتْ وقد سَاءَ مِنِّي فِي لَجَاجَتِهَا الظَّنُّ
أَقُولُ لَهَا ، وَالصَّبْرُ يُوهِنُ حُجَّتِي ، وما حُجَّةُ المَغْلُوبِ لَيْسَ لَهُ رُكْنُ
تَهاضُ بِي عَقْلِي إِلَى ما اسْتَحَثَّه وَلكنَّه عَزَمِي الَّذِي هَدَّه الوَهْنُ

* * *

عِيَتْ بِأَسبابِ الهوى كَيْفَ تُتَقَى وَمِنْ جُنْدِها : جُوعُ العَرِيزَةِ ، وَالْأَفْنُ^(٣)
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الحُبِّ قَيْدًا لِرَبِّهِ مَسارِيهِ وَعَثَاءً ، وَمَشْرَبُهُ أَجْنُ^(٤)
وَلكنَّهُ راعِي القلوبِ وَسَرَحُها وَلكنَّها ، مُدْ كان ، أَفْئِدَةُ رُعنُ^(٥)

* * *

تَعْنَى رِفاقي بِالْمُدامِ وَفِعْلِها وَلَوْ عَرَفُوا سُوءَ المَعْبَةِ ما غَنُوا^(٦)
تَقول : ابْتَسِمَ لِلْباسِمِينَ تَحِيَّةً وَكَيْفَ ، وَبِي مِنْهُمْ ، وَلَمْ أَنْتَصِفْ ، ضِغْنُ؟^(٧)

* * *

-
- (١) الحصن : (بضم الحاء) جمع حصان وهو الحيوان المعروف . وبكسر الحاء : المكان الحصين .
(٢) معن : هو معن بن زائدة بن عبد الله من أجواد العرب .
(٣) الأفن : نقص العقل وقلته .
(٤) طريق وعثاء : فيها مشقة وشدة وتعب كثير . الماء الأجن : الفاسد المتغير الطعم واللون والرائحة .
(٥) سرح القلوب : انطلاقها . الرعن : جمع أرعن وهو الأهوج .
(٦) سوء المعبة : سوء العاقبة .
(٧) الضغن : الحقد الشديد .

سَلُّوا صَاحِبِي الْمَخْمُورَ : ماذا لَوَى به
أَكَّاسُ الطَّلَا ؟ أَمْ مَنْ سَقَتْهَا ؟ أَمْ اللَّحْنُ ؟^(١)
تَطَلَّعْتُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ بِنَاضِرِي
فَعَادَ ، وَقَدْ أَوْدَى ، بِمَأْمِلِهِ الدَّجْنُ^(٢)
أُنْحَنُ ، وَقَدْ نَالَ الْجَمَادُ كَرَامَةً ،
قَطِيعُ سَوَامٍ ، لَا يُقَامُ لَهُ وَزْنُ ؟^(٣)

* * *

وَذَكَّرْتُ أَجْيَالِي بِمَاضِي عُهْدِنَا
فَهَلْ ذَكَرُوهَا بَعْدَ لَأِي ، وَهَلْ حَنُّوا ؟^(٤)
رَعَى اللَّهُ كَدَّاحِينَ نَادَاهُمُ الْغَنَى
وَأَمَكْنَهُمْ نَيْلُ الْمَطَالِبِ ، فَاسْتَأْنُوا

* * *

أَرَامِزُ فِي قَوْلِي ، فَيُخْطِئُ صَاحِبِي
مُرَادِي ، فَاسْتَخِذِي ، وَيَعْمُرُنِي الْحُزْنُ^(٥)
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الطَّلَا كَمْ تَلَاعَبَتْ
بَعَزَمَ شُجَاعٍ ، فَاسْتَقَرَّ بِهِ الْجُبْنُ

* * *

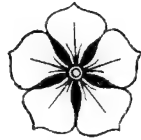
فَزِعْتُ إِلَى شِعْرِي ، أَوَارِي بِهِ الْأَسَى
فَقِيلَ : أَدَيْتِ نَاعِمُ الْبَالِ ، يَفْتَنُ^(٦)
وَمَا أَنَا إِلَّا نَائِرٌ ، فُلْ سَيْفُهُ
وَأَسْلَمَهُ الْحَامِي ، فَاتَّخَذَهُ الطَّعْنُ^(٧)
لَقَدْ عَادَ بِي جَهْدُ السَّرَى نَحْوَ غَايَةٍ
حَرَامٌ عَلَى طُلَّابِهَا الْعَيْشُ وَالْأَمْنُ

★ ★ ★

-
- (١) الطَّلَا : (بكسر الطاء المشددة) اللذة ، أو الخمرة .
(٢) أودى به . الدَّجْنُ : الغيم (السَّوَاد) .
(٣) السَّوَام : الماشية .
(٤) اللَّأِي : المشقة .
(٥) استخذي : خَضَعَ وَذَلَّ .
(٦) فزعت إلى شعري : لجأت إليه .
(٧) اتَّخَذَهُ الطَّعْنُ : كثر عليه وغلبه .



قالوا : ثُقُلْتُ عَنِ الطُّبَلَاءِ.....ب ، فَقُلْتُ : قَانُونُ الشَّرَابِ
أَهْدَرْتُ جُهْدِي فِي الصَّغَا.....ئِر ، وَهِيَ أَحْلَامُ الشَّبَابِ
وَمَطَلْتُ نَفْسِي فِي الْكُھُ.....وَلَةِ حَقَّهَا ، وَكَفَفْتُ نَابِي^(١)
وَذَهَبْتُ أَسْتَسْقِي الْفَضَا.....ئِل ، وَالْفَضَائِلُ كَالشَّرَابِ
ظَمَانٌ بَيْنَ الشَّارِبِ.....ن ، أَخَافُ تَعْتَعَةَ الشَّرَابِ
صِفَرُ الْيَدَيْنِ مِنَ الْحَقِی.....قَةِ ، وَالْحَقِيقَةُ فِي وَطَائِي^(٢)
أَفْخَضْتُ مَعْرَكَةَ الظُّلَا.....م إِلَى سَنَى فَجَرٍ كِذَابٍ ؟
قُلْ لِلَّذِينَ تَلَمَّسُوا عِلْلَ الْإِصَابَةِ ، فِي مُصَابِي



(١) مَطَّلَ : وماتل فلاناً حقه : أَجَلَ موعده وفاته مرة بعد أخرى . كَفَفْتُ نَابِي : حَجَزْتُ نَفْسِي عَنِ

الطعام المشتى .

(٢) صِفَرُ الْيَدَيْنِ : خَالِي الْيَدَيْنِ . الْوِطَابُ : مَا يَبْدُلُ الْحَقِيقَةَ ، أَوْ هُوَ الْوَعَاءُ الْمُتَّخَذُ لِحِفْظِ اللَّبَنِ وَسِوَاهُ .



مَغَانِي الْهَوَى ! مَا أَنْتِ لَوْلَا الْمَارِبُ
وَهَبْنَاكَ ، مَا لَمْ يُوَهَّبِ الْحُسْنُ قَبْلَهُ ،
فَكَانَ ثَوَابُكَ التَّحَرُّجَ وَالْقَلَى
كَذَاكَ يَضِيعُ الْعُرْفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
سَيَوَى وَشَلَّ ، لَا تَمْتَطِيهِ الْقَوَارِبُ ^(١)
قَلَائِدَ نُورٍ ، تَشْتَهِيهَا الْكَوَاكِبُ
ورَاءَهُمَا وَرَدَّ مِنَ الْفَضْلِ نَاضِبُ
وَتُثْمِرُ فِي لَمْعِ السَّرَابِ الْمَطَالِبُ

* * *

مَغَانِي الْهَوَى ! لَمْ تَبَقْ لِلْوَهْمِ صُورَةٌ
فَفِيمَ تُعَانِيَنَّ الْبَقَاءَ ، غُلَالَةً ،
كِلَانًا ، عَلَى مَا ضَاعَ فِي تِيهِ وَهْمِهِ ،
قَطَعْنَا سَبِيلَ الْعُمَرِ جَهْدًا وَرَاحَةً
فَهَا نَحْنُ ، وَالْأَمَالُ رَهْنُ مَصِيرِهَا ،
مُشِيعَةً بِالصَّمْتِ إِلَّا بَقِيَّةً
وَمَا حَاجَةُ الْبَاكِي إِلَى فَضْلِ دَمْعِهِ
تَمِيلُ بِأَحْلَامِ الْهَوَى أَوْ تُجَاذِبُ
وَقَدْ صَفَرَتْ مِنْ رَائِدِكَ الْمَلَاعِبُ ؟
حَزِينٌ ، تُوَاسِيهِ الظُّنُونُ الْكَوَادِبُ
نَرُومُ مُنَى ، ضَنْتَ بَيْنَ الْعَوَاقِبُ
فُلُولٌ ، رَوَتْ مَأْسَاتُهُنَّ الْغِيَاهِبُ
مِنَ الدَّمْعِ ، لَمْ يَصْدَعْ بِهَا الصَّمْتُ نَاجِبُ ^(٢)
عَلَى فَائِتٍ ، سُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَذَاهِبُ ؟

* * *

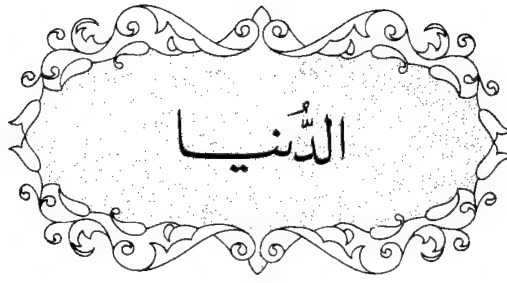
(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) الناحب : الباكي بصوت مسموع .

شَقِينَا بِمَا قَدْ كَانَ فِي مَشْرِقِ الصُّبَا
 مَرَامِي نِضَالٍ ، طَوَّلَ الْأَيُّنُ عُمَرَهَا
 إِلَى أَيْنَ ؟ لَا نَدْرِي ، وَقَدْ أَبْهَمَ السُّرَى
 وَفِيمَ ؟ وَغَايَاتُ الْمَسَاعِي مَوَارِدُ
 يُهَيِّبُ بِأَنْضَاءِ الْعَزَائِمِ رَائِدُ
 وَحَتَّامٌ ؟ وَالْأَيَّامُ فَاغِرَةُ الْمَدَى
 وَتَقْضِي ، بِمَا تَلْقَى ، نَفُوسٌ كَرِيمَةٌ
 فَهَا نَحْنُ ، فِيمَا كَانَ ، وَالْعُمُرُ غَارِبُ ^(١)
 فَطَالَتْ بِهَا آصَارُنَا وَالْمَتَاعِبُ ^(٢)
 سَوَى أَنْ وَهْمًا فِي الدُّجْنَةِ ضَارِبُ ^(٣)
 تَطْيِبُ بِهَا لِلنَّاعِمِينَ الْمَشَارِبُ
 وَيُوقِظُ أَعْرَاقَ الْمَرْوَةِ نَادِبُ ^(٤)
 تَنْوُّ بِأَعْبَاءِ الْهَوَانِ الْغَوَازِبُ؟ ^(٥)
 وَتُدْفَنُ فِي ظِلِّ الْخُمُولِ مَوَاهِبُ



-
- (١) مشرق الصُّبَا : مطلعه .
 (٢) الآصار : جمع الأصغر ومن معانيه : الثَّقَل ، وَالذَّنْب ، وَالْحَبْس .
 (٣) أبهم السُّرَى : أَشْكَلَ وَخَفَى .
 (٤) أَنْضَاءُ الْعَزَائِمِ : الْقُوَى الْمَهْدُودَةُ الْخَائِثَةُ مِنَ التَّعَبِ وَشِدَّةِ الْإِجْهَادِ . النَّادِبُ : الدَّاعِي ، الْمُنَادِي .
 (٥) الْغَوَازِبُ : جَمْعُ غَارِبٍ وَهُوَ الْكَاهِلُ .



لِغَايَةِ أَمْرِهِ يَمْضِي الْقُنُوعُ وَيَعْرِى ، مَا تَبْتَلُ ، أَوْ يَجُوعُ
وما الدُّنْيَا سِوَى مَرَعَى خَصِيبٍ تَرَدَّدَ فِي مَرَاتِعِهِ الْقَطِيعُ
فَمَا لِمَخَيِّبٍ فِيهَا اخْتِيَارُ وَلَا لِمُظْفَرٍ فِيهَا رُجُوعُ
أَقُولُ ، وَقَدْ حُرِمْتُ ، زَهْدْتُ. كَلَّا ، أَفِي الشَّهَوَاتِ يَزْهَدُ مُسْتَطِيعُ ؟



كِلَا طَرَفَيْهَا فِي الْغُمُوضِ سَوَاءُ حَيَاةٌ مَسَارِيهَا دُجَى وَخَفَاءُ
إِلَى أَيْنَ ؟ وَالْغَايَاتُ غَيْبٌ مُحَجَّبٌ وَمِنْ أَيْنَ ؟ وَالْمَاضِي صَدَى وَعَفَاءُ
وَفَيْمَ ؟ وَيَنْبُوعُ الْخَلِيقَةِ وَاحِدٌ تَمَايَزَتْ الْأَضْدَادُ ، وَالنُّظَرَاءُ
هَدَى ، وَضَلَالًا ، وَاتِّفَاقًا ، وَفُرْقَةً وَخَيْرًا ، وَشَرًّا ، وَالْعُقُولُ سَوَاءُ

* * *



نهایات

عَلَّلْتُ عَجْزِي بِأَنَّهُ الْوَرَعُ وَهَلْ لِمِثْلِي فِي غَيْرِهِ طَمَعُ ؟
 آمَنْتُ بِاللَّهِ ، مَا كَفَرْتُ بِهِ لَكُنْهُ الْعَيْ ، وَالْهَوَى تَبَعُ
 مَضَى شَبَابِي ، وَمَا نِعِمْتُ بِهِ فَهَلْ لِمَاضِي الْأَحْلَامِ مُرْتَجَعُ ؟
 لَيْتَ اللَّيَالِي أَعْطَتْ بِمَا أُخْذَتْ مِنِّْي عَزْماً يُورِي وَيَنْدَفِعُ
 شَقِيتُ بِالْحَسِّ فِي رَغَائِبِهِ وَكُلُّهَا نَافِرٌ وَمُتَتِّعُ
 يَرُومُ مِنْهَا مَا لَا يُحَقِّقُهُ جُهِدِي ، وَقَدْ عَاقَ خَطْوِي الظَّلْعُ ^(١)

* * *

يَصُدُّ عَنِّي الْحَسَنَاءُ ، إِنْ عَشِيقْتُ بَسْطَةَ جِسْمِي ، الْجَفَافُ وَالصَّلْعُ
 لَسْتُ بِشَيْخٍ ، لَكِنِّي هَرِمٌ يُصْلِحُ مِنْ سَمْتِهِ وَيَصْطَنِعُ
 وَيَخْدَعُ النَّاسَ عَنْ حَقِيقَتِهِ فَهَلْ تَرَاهُمْ بِفَعْلِهِ انْخَدَعُوا ؟

* * *

تَقُولُ لِي ، وَالكَرَى يَمِيلُ بِهَا : أَنْتَ سَمِيرِي ، وَالرَّيُّ ، وَالشَّبْعُ
 بَلَى ، لَقَدْ كُنْتُهَا ، وَقَدْ صَدَقْتُ لَوْ كُنْتُ مِنْهَا بِالصَّدْقِ أَتَفْعُ
 أَقْرَبُهَا طَيِّبَ الْحَدِيثِ عَلَى خَيْرِ طَعَامِي ، وَمِلْتُ التَّفْعُ

(١) الظَّلْعُ : الْعَرَجُ .

وَقُمْتُ عَنْهَا عَفَّ الْإِزَارِ عَلَى اسْتِجَابَةٍ لِلْحَرَامِ تَصْطَرِعُ
 مَا حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا نَدَمٌ وَلَا تَنَازِي ثَقْيٌ وَلَا جَزَعٌ
 لَكِنَّهُ الْعَجْزُ ، وَالرَّخَاوَةُ ، وَالْأَيْ.....نُ ، وَدَاعِي الثُّضُوبِ وَالْحَرَعُ^(١)
 هَيْهَاتَ ، مَا لِلشَّبَابِ مِنْ عَوْضٍ وَلَيْسَ بَعْدَ الشَّبَابِ مُتَسَعٌ
 أُرْغْتُ فِيهِ الْعُلَا ، فِدَاعِعِي عَنْهَا زَمَانٌ ، سِلَاحُهُ خَدَعُ
 وَهَمْتُ بِالْخَيْرِ ، وَاتَّصَفْتُ بِهِ فَمَا اقْتَفَانِي فِي الْخَيْرِ مُتَبِعُ
 وَارْحَمَةً لِلنَّفُوسِ ، أُرْخَصَهَا هَوَاهَا لِلْقَوِيِّ وَالْجَشَعُ
 وَضَيْعَةً لِلْعُقُولِ فِي زَمَنِ قَدْ أَوْهَمَتْهُ الْآثَامُ وَالْبِدَعُ

* * *

طَالَ عَلَيَّ السَّرَى بِرَاحِلَةٍ عَشَوَاءَ ، أَقْفُو الْمُنَى وَأَنْتَجِعُ
 وَنَاءَ بِي الْأَيْنُ فِي مَسَالِكِهَا صَحْرَاءَ يَخْشَى ظِلَامَهَا السَّبْعُ
 أَرْكَبُ فِيهَا الْوُعُورَ مُحْتَبِطاً وَمِلءُ نَفْسِي الْكَلَالُ وَالْهَلَعُ
 مَاذَا أَرَى مِنْ حَقِيقَتِي ؟ أَسْوَى أَنِّي .. شَيْءٌ يَهْوِي وَيَرْتَفِعُ
 كَفَنْتُ مَاضِيَّ ، وَانْتَظَرْتُ سُدَى مُسْتَقْبَلِي ، فَاسْتَشَاطَنِي الْجَزَعُ
 قَالُوا : تَعَجَّلْتَ ، فَاتَّيِدْ ، فَمَضَى بِالنُّجْجِ - رَاعَ الْعَشِيرَ - مُنْدَفِعُ
 وَنِمْتُ عَنْ غَايَةِ أَطْلَتْ بِهَا سُهْدِي ، سُدَى ، وَالرَّجَاءُ مَنْقَطِعُ
 فَصَاحَ بِي الْوَادِعُ الْمَنَعُمُ : أَبُ.....طَاتُ ، فَهَلَّا عَجَلْتَ يَا لُكْعُ^(٢)

* * *

(١) الحَرَعُ : اللَّيْنُ وَالِاسْتِرْحَاءُ .

(٢) لُكْعُ : لُعِيمٌ ، أَحْمَقٌ ، الْعَمَى .

أُغْرِقْتُ جُهْدِي فِي السَّعْيِ مَلْتَمِساً
فَلَمْ أَرَ الْحَقَّ غَيْرَ مَهْزَلَةٍ
وَالْعَيْشَ سَوْقاً ، تُبَاعُ حَاضِرُهَا
الْأَدَمِيُّونَ وَالْكِلَابُ بِهَا
مَازَالَ يَرْجُو الْإِنْصَافَ مُضْطَّهِدٌ
إِنْ كَانَ حُكَّامُهُمْ ذَهَاقَةَ السُّ
الْعَدْلُ فِي الْأَرْضِ سِيرَةٌ ذَهَبَتْ
يَا سَائِلِي عَنْ فُضَائِلِ مُدَحَّتِ
لَا رَأْيَ عِنْدِي فِيهَا ، فَلَسْتُ أَرَى
فَلَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ صَاغَ مِنْ قَدَمِ
قُلِّ لِلْحَلِيِّينَ : مَا وَرَاءَ كُؤُومِ ؟
أَهْبْتُ بِالْغَافِلِينَ أَنْذَرُهُمْ
لَهْفِي عَلَى الْجَائِعِينَ نَازَعَهُمْ
« سَائِلُ مَلُوكٍ هَذِي مَقَابِرَهُمْ

غَايَةً حُرٌّ بِالْحَقِّ يَدَّرُ
فِيمَا احْتَذَى الْأَقْوِيَاءُ ، أَوْ شَرَعُوا
كَمَا تُبَاعُ الْعُرُوضُ وَالسَّلْعُ
سَيَّانٍ ، إِمَّا الْأَخَ مُتَنَفِّعُ
وَيَسْتَدِرُّ الْخَنَانَ مِنْصِدُّ
سَوْقٍ ، فَمَنْ بِالْقَضَاءِ يَضْطَلِعُ؟^(١)
وَالرَّأْيُ فِي أَمْرِ أَهْلِهِ شَيْعُ
أَهْيَ خِيَالٍ يُرَوَّى وَيُتَدَعُ ؟
فِي الْأَرْضِ ظِلًّا لَهَا ، فَأَقْتَنَعُ
أَسْمَاءُهَا فِي اللِّغَاتِ مُخْتَرِعُ ؟
فَقَدْ عَدْتُنَا الْآمَالَ وَالْمَتْعُ
مِنْ سُوءِ أَطْمَاعِهِمْ ، فَمَا رَجَعُوا
أَقْوَانَهُمْ بِالنَّفُودِ مَنْ شَبِعُوا
هَلْ اسْتَقَالُوا الْمَصِيرَ أَوْ دَفَعُوا ؟

* * *

نَادَيْتُ قَوْمِي وَرَاءَ حَاجِرَةٍ
يَا فَتِيَّةُ ! عَاقَرُوا الطُّلَا سَحَرًا
فِي الْعَيْطِ سَاعُونَ يَنْزِعُونَ طَوًى

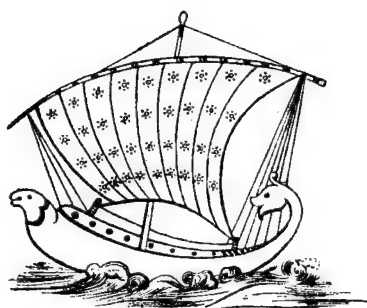
فَرَدَّ رَجُعُ الصَّدَى : لَقَدْ هَجَعُوا^(٢)
أَتَمَّ فَيْكُمُ لِلنُّصْحِ مُسْتَمِعُ
وَأَتَمُّوْا تَحْرُثُونَ مَا زَرَعُوا^(٣)

(١) الدَّهَاقَةُ : جمع دُهْقَان وهو التاجر الخبير .

(٢) الحَاجِرَةُ : المنخفض من الأرض .

(٣) الْعَيْطُ : المطمئن من الأرض ، الحقل .

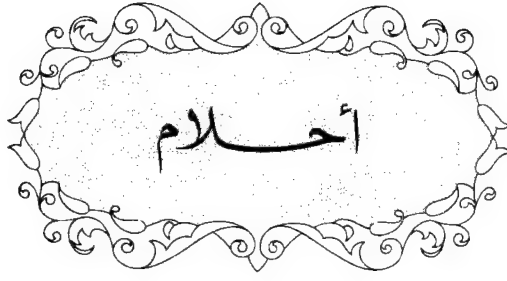
هَلَّا ادَّرَأْتُمْ عَنْ رَأْيِ أَعْيُنِهِمْ
كَمْ أَوْهَنْ الْفَسْقُ قَبْلَنَا أُمَمًا
لَوْ عَرَفَ الْمُتَرَفُّونَ غَايَتَهُمْ
هَلْ لِلْحَزَائِنِ بَعِيشُهُمْ فَرَحٌ ؟
مَرَحَى لِقَوْمٍ أَصَعَّتْ ضَمَائِرُهُمْ
قُلْ لِلدُّجَى : أَطَبَقَتْ غِيَاهُ بِهِ
فَكُلُّهُمْ نَازِرٌ وَمُسْتَمِعٌ
فَانْحَلَّ مَا وَثَّقُوا وَمَا جَمَعُوا
لَأَفْزَعَ الْمُتَرَفِّينَ مَا صَنَعُوا
بِمَا أَصَابُوا فِيهِ وَمَا فُجِعُوا ؟
إِلَى نَذِيرِ الْقُرْآنِ ، فَارْتَدَّعُوا
عَلَى أَنْاسٍ : هَلْ أَنْتَ مَنْقَشِعٌ ؟





أَلَا حَبَّذَا كَأْسُ الْمُدَامَةِ لَوْ تُسْلِي
شَرِبْتُ بِهَا الْآلَامَ ، حِينَ شَرِبْتُهَا ،
رُؤْيٌ دَامِيَاتٍ عَبَّرَ مَاضٍ مُحْزَنٌ
رُؤْيٌ ، لَمْ تَزَلْ تَأْوِي إِلَيَّ كَمَا أُوتِ
تُعَاتِبُ فِيمَا كَانَ أَوْ تَسْتَعِيدُهُ
وَهَيَّاتُ أَنْ يَنْسَى مَاتِمَ عُمُرِهِ
مَسَاعٍ تَقْضَتْ بِالشَّبَابِ ، وَأَعْقَبَتْ
وَلَوْ كَانَ فِي ثِيَارِهَا عَطْبُ الْعَقْلِ
رُؤْيٌ ذِكْرِيَاتٍ ، لَا تَطِيبُ لِمُسْتَجْلِي
فَقَدْتُ بِهِ وَدَّ الْأَحْبَبَةِ وَالْأَهْلِ
إِلَى مَضْجَعِي ، وَالْعِشُّ مُتَّصِلُ الشَّمْلِ
أَبْعَدَ الَّذِي عَانَيْتُ مِنْ رِحْلَةِ الْجَهْلِ ؟
شَقِيٌّ ، ثُقَاضِي الطُّهْرَ مَعْرَكَةُ الْوَحْلِ
جَرَائِرٌ ، أَوْهَى عِبُّهَا كَاهِلَ الْكَهْلِ





ومضينا نَنشُدُ الحقَّ فأوهانا الطُّلابُ
رحلةً كانت على غيرِ هُدى متًا إلى غيرِ مآبٍ
وطوانا تَبَجُّ اليأسِ ضباباً في ضبابٍ
أينَ ما مَنِينَتنا مِن خِدَعٍ ، والعمرُ رَيَّانُ الإهابِ ؟
الهوى الطَّاهرُ والمجدُ وآمالُ الشَّبَابِ ؟
أُثْراها ، لم تكن من صَنَعَةِ الوهمِ سيوى لَمَعِ سَرابٍ ؟
شَدَّ ما أزرى 'بنا الجهلُ على الأينِ وأوهامُ الشَّرابِ !





« هذه القصيدة الطويلة بدأها الشاعرُ بمناجاة الحُبِّ والحبيب ، ثم تطرَّق إلى ما تعودناه في شعره الوجداني من محاولة الكشف عن الأضداد في الحياة .

وكان الشاعر يُقيمُ في مصر فإذا أحداث الحياة السياسيَّة تطعَى على مناجاة الحُبِّ والمحبوب ، وإذا القصيدة تسجِّلُ لواقع عاشته مصر العزيزة في ذلك الزَّمان ، وإذا حينئذٍ الشاعر إلى مكَّة (مَسْقَطُ رأسِه) يتجلَّى كأحسن ما يكون التَّجلِّي » .

ما اصطباري على الأسَى وثوائي وندائي من لا يُجيب ندائي؟^(١)
 حمد الدَّمْع في مآقي يا حُبُّ.....وقرَّ اللّهيبُ في أحشائي
 عدتُ من غربتي إلى الليل والفجـ.....ر لكّي يسمعا ترانيم نائي
 ضيعتُ في تيهك المُحير يا حُبُّ.....تمزقتُ في أسَى بلـوائي
 وتساءلتُ في نعيمك : كم أشـ.....قى ! وكم أرعوي بغيرِ رضاء !
 كم أروضُ الإباء فيك على الصبـ.....ر وأغضي على جراح إبـلـائي !
 كم ألاق العذاب منك ، ولا أشـ.....كو ، وألقاك بالهوى والولاء !

(١) أبيس : عجل ذو صفات خاصة ، جعله المصريون القدماء رمزاً للقوة الحيوانية ، وقدسوه . وهو في هذه القصيدة رمز لحاكم معين

(٢) الثواء : الإقامة .

كَمْ أَخَوْضُ الْأَحْزَانِ رَاكِبَ تَيْهِ ضَلَّ فِي لَا نِهَائِيَّةٍ سَوْدَاءِ !
 يَا دُرُوبَ الْهَوَى ! تَعَطَّيْتَ بِالْوَرْدِ دِدَ عَلَى الشَّوْكِ ، غَارِقاً فِي الدِّمَاءِ !
 الضَّحَايَا مِنْ تَحْتِهِ مُهَجِّجٌ حَرَّ.....ى ، وَمِنْ فَوْقِهِ رُؤَى شُعْرَاءِ
 هَكَذَا أَنْتِ ، وَالْمَحْبُوبُ ، مِنْ قَبْلِ.....لُ ، فَرَّاشٌ مُسَيَّرٌ لِلْفَنَاءِ
 رِحْلَةً تُثْمِرُ اللَّغُوبَ وَخَيْطٌ مِنْ حَرِيرٍ ، يَقْتَادُنَا لِلشَّقَاءِ
 وَشُجُونٌ لَا تَنْتَهِي .. وَصِرَاعٌ يَسْحَقُ الصَّبْرَ دَائِمُ الْغُلُوءِ (١)
 الْحِجَى فِيهِ حَائِرٌ فِي ظَلَامٍ وَالْأُمَمَانِي مَوْءَدَةٌ الْأَصْدَاءِ
 وَالْخَيَالَاتُ فِي دُجَاهُ شُمُو.....عْ ، ثَرَّةُ الدَّمْعِ ، ذَابِلَاتُ الضِّيَاءِ
 وَالْأَسَى فِيهِ لِلْجِرَاحِ يُعْنِي عَبْرَ تَيْهِ ، مُحَلُولِكِ الْأَرْجَاءِ
 يَنْشُدُ الْفَجَرَ ، وَهُوَ نَاءٍ غَرِيبٌ ضَائِعٌ ، مِثْلَهُ ، شَهِيدُ الدُّعَاءِ
 إِلَهَذَا تَشْقَى النَّفُوسُ بِمَا تَهْ.....وَى ، وَتَكْبُو الْغَايَاتُ بِالْعُقْلَاءِ ؟
 وَيَهِيمُ الْخِيَالُ فِي ظُلْمَةِ الْحَيَاةِرَةً يَسْرِي عَلَى بَصِيصِ الرَّجَاءِ ؟
 وَتَفِيضُ الْقُلُوبُ ، مُنْطَوِيَّاتٍ ، بِجِرَاحِ الْأَسَى عَلَى الْبُرْحَاءِ (٢)

* * *

يَا بَرِيقَ السَّرَابِ ! أُسْرَفْتَ فِي الْجَوْ.....رِ وَأُتْخِنْتَ فِي قُلُوبِ الظُّمَاءِ !
 أَنْتِ ، أَنْتِ الْهَوَى دُئُوءاً وَبُعْداً فِي تَصَارِيفِ غَدْرِهِ وَالْوَفَاءِ !
 وَوَعْدُ الْهَوَى أَجَلٌ عَطَايَا.....هُ ، فَهَلْ يَرُخِّصُ الْهَوَى بِالْعَطَاءِ ؟
 وَعَذَابُ الْحَرَمَانِ صَوَّرَ لِلْعَا.....شِقَ أَنْ الْهَوَى زِمَامُ الشَّفَاءِ

(١) الْغُلُوءُ : الغلوة ، شدة المبالغة .

(٢) الْبُرْحَاءُ : الشدة ، العذاب الشديد .

غَيْرَ أَنَّ الْهَوَى يَحُولُ وَيَذْوِي كَالرُّؤْيَى وَالزُّهُورِ وَالْأَنْدَاءِ
 إِنَّهَا قِصَّةُ الْهَوَى وَأَمَانِيهِ رَبِيعاً مَهْدِداً بَانِطِوَاءِ
 قِصَّةُ الذِّكْرِيَّاتِ فِي لُجَّةِ الْعِيَالِ شِشْ ، شِرَاعاً ، يَهِيمُ فِي الظُّلُمَاءِ
 إِنَّهَا مِنْ قُلُوبِنَا خَفَقَاتٌ عَائِرَاتٌ تَشْبَثُ بِالْبَقَاءِ
 إِنَّهَا وَقْدَةُ الشَّبَابِ ، وَمَقْدُودُ رُحُطَاهُ فِي دَعْوَةِ الْأَهْوَاءِ
 وَمَرَايَا أَحْلَامِهِ ، يَجْتَلِي فِي هَا خَفَايَا هِيَامِهِ ، بِالْهِنَاءِ
 وَهِيَ دَوَامَةُ الْحَيَاةِ وَمَجْرَاهَا هَا ، تُلْفُ الْأَمْوَاتُ بِالْأَحْيَاءِ
 وَهِيَ ، مَا كَانَ ، مِنْذُ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ سُسُ عَلَى الْكَوْنِ فِي سَطُورِ الْقَضَاءِ
 مَا اسْتَرَاحَ الْإِنْسَانُ فِيهَا مِنَ الْجَهْدِ دِ وَلَا انْفَلَكُ مِنْ قِيُودِ الْبَلَاءِ
 قِصَّةُ مَا لَهَا خِتَامٌ سِوَى الْمَوْتِ تِ ، مُصَاباً ، لَا يَنْتَهِي لِعِزَاءِ
 وَالرَّذَى كَالْهَوَى ، يُصِيبُ ، وَلَا يُخْطِئُ طِئُ مَرْمَاهُ ، مَوْعِداً ، لِلْقَاءِ
 مَا تَوَقَّاهُ دَالِفٌ فِي أَدِيمِ أَرْضِ يَسْرِي ، أَوْ سَابِغٌ فِي الْفَضَاءِ ^(١)
 جَلَّ مَنْ قَدَّرَ الرَّذَى وَقَضَاهُ غَايَةً فِي الضَّعَافِ وَالْأَقْوِيَاءِ
 مَثَلَمَا قَدَّرَ الْحَيَاةَ وَأَجْرَاهَا هَا مَجَالاً لِكُلِّ دَانٍ .. وَنَبَاءِ
 وَجَلَّاهَا لِلنَّاطِرِينَ جَمَالاً وَخِيَالاً جَمًّا ، وَفَيْضَ ثَرَاءِ
 وَأَقَامَ الْأَضْدَادَ جَزْراً وَمَدًّا تَتَحَدَّى جِهَالَةَ الْحُكَمَاءِ
 فَاتَّسَقَ الْحَيَاةُ ، سَلْباً وَإِجَاباً بَأْ ، سَبِيلُ اطِّرَادِهَا وَالنَّمَاءِ

* * *

يَا نَعِيمَ الْهَوَى ! كَرِهْتُكَ وَرِداً وَوُروداً مُمَوَّهَاتِ الطَّلَاءِ

(١) الدالِف : المتشد في مشيه من العجز أو ثقل الحمل .

وسُعَاراً يَهِيمُ بِاللَّدَمِ وَاللَّحْمِ ، وناراً تَقْتَاتُ بِالْأَشْلَاءِ ^(١)
 كُلُّ صَفْوٍ يُمَلُّ ، مَا لَمْ تُدَاخِلْهُ دَوَاعٍ مِنَ الْأَسَى وَالْعَنَاءِ
 وَحَيَاةُ الْخَلِيِّ ، مِنْ وَصَبِ الدَّنَسِ ، حَيَاةُ خَلِيقَةٍ بِالرِّثَاءِ
 رَبٌّ أَمِنْ يَعِيشُ ، فِي ظِلِّهِ ، السَّاءُ رُحٌ مِثْلَ الْبِهِمَةِ الْعَجْمَاءِ
 وَصِعَابٍ ، تَخُوضُهَا عَزْمَةُ الطَّاءِ مِجْ ، أَعْطَتْهُ شَارَةَ الْعُظْمَاءِ
 وَتَهُونُ الْغَايَاتُ ، حَبّاً وَبَغْضاً ، فِي ظِلَالِ الْهَوَى ، وَلَيْنِ الرَّخَاءِ
 حَبْذا الْوَعْرِ وَالْعِثَارُ ، وَأَخْطَا رُ اللَّيَالِي .. سُرَى عَلَى الْوَعَثَاءِ
 وَدُورِبَاءٌ لَا تَنْتَهِي ، وَعَذَاباً تَتَحَدَّاهُمَا خُطَى الثَّعْمَاءِ
 عَازِفَاتٍ عَنِ الْهَوَى وَمَغَايِبٍ ، هُيَاماً بِالْوَا حَةِ الْخَضَاءِ
 حَيْثُ يَسْمُو الْجَمَالُ بِالطُّهْرِ وَالصُّدْقِ إِلَى قِمَّةِ الْوَفَا وَالْحَيَاءِ
 حَيْثُ لَا تَرْتَدِي الصَّدَاقَةُ أَثْوَاباً بِلَوْنِي خِدَاعِهَا وَالرِّيَاءِ
 حَيْثُ لَا يَطْعَنُ الرَّفِيقُ رَفِيقاً بَيْنَ دَعْوَى تَقْوَاهُ وَالْإِغْوَاءِ
 حَيْثُ تَجْفُو الثُّفُوسُ كُلَّ الْحَقَارَاتِ لِتَحْيَا بِصَفْحَةٍ بِيضَاءِ
 لَا كَمَا تَسْرُحُ السَّوَائِمُ فِي الْمَرِّ عَلَى فَضْلِ عُشْبِهَا وَالْمَاءِ ^(٢)
 فِي قِيُودٍ مِنْ عِشْبِهَا وَدَوَاعِيهِ وَأَمِنْ مِنْ جَهْلِهَا وَالْعَبَاءِ
 حَيْثُ لَا تُنْصَبُ الشُّعَارَاتُ زَيْفاً وَفُجُوراً يُرَوَّى وَمَحْضَ اقْتِرَاءِ
 حَيْثُ لَا تُمَسَّحُ النُّسُورُ خَفَافٍ شِ ، هَوَتْ فَوْقَ أَرْجْلِ الزُّعْمَاءِ
 حَيْثُ تَبْقَى الصَّلَاةُ تَقْوَى وَطُهرًا لَا فِخَاخاً لِلْبَيْعِ أَوْ لِلشُّرَاءِ

(١) السُّعَارُ : شدة الجوع أو العطش ، ومن معانيه الجنون .

(٢) الْفَضْلُ : - هنا - بقية الشيء .

حَيْثُ لَا يَجْبُنُ الشُّجَاعُ لَمَّا يَخْ.....شَأَهُ مِنْ سَامِعٍ يَشِي أَوْ رَائِي^(١)
 حَيْثُ يَلْقَى الرَّيْعُ أَعْيَادَهُ فِي.....هَا جِنَاناً طَلِيقَةً الْأَمْدَاءِ
 حَيْثُ لَا تَخْضَعُ الْحَيَاةُ لِغَيْرِ الْ.....لَّهُ ، رَبِّ الْبَأْسَاءِ وَالنَّعْمَاءِ
 حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ يَكُونُ سِوَى الْحَقِّ.....وَصَوْتِ الْهُدَى وَوَحْيِ السَّمَاءِ
 رَبِّمَا تَصْدُقُ الْمَسَاعِي فَتَنْجَا.....بُ غَيُومُ الْأَسَى عَنْ الشُّرَفَاءِ
 لَمْ تَهِنْ عَزْمَةً يَسَانِدُهَا الْإِصْب.....رَارُ لَمْ يُلْقِ رَايَةَ الْكِبْرِيَاءِ
 وَتَوَوَّبُ الْأَوْطَارُ بَعْدَ نِدَادٍ وَيَعُودُ الرَّيْعُ بَعْدَ انْقِضَاءِ^(٢)
 وَكَذَا كُلُّ لَيْلَةٍ تَلِدُ الْفَجْ.....رَ ، فَيَلْوِي بِالظُّلْمَةِ الدَّكْنَاءِ
 وَقُطُوبُ الْغَيُومِ بَشَّرَ بِالْغِي.....ثِ ابْتِسَاماً فِي الْبَقْعَةِ الْجَرْدَاءِ
 رَبِّ دَانِ نَأَى ، وَنَاءٍ تَدَائِي رَهْنُ قَيْدَيْنِ ، صُبْحِهِ وَالْمَسَاءِ

* * *

يَا سَطُوراً ! كَتَبْتُهَا بِدَمِي الْخُرِّ.....أُنِيرِي جَوَانِبَ الصَّحَرَاءِ
 وَابْعَثْنِي فِي رِمَالِهَا اللَّهَبَ الثَّا.....وِي عَهْداً يَفْوَرُ بِالْأَنْوَاءِ
 عَهْدَ عَمْرٍو يُحِيطُ بِالنَّيْلِ بَحْراً تَبَوَّيًّا سَرَى بِنُورِ ذُكَاءِ^(٣)
 وَاعْبُرِي فِي جِيَادِهِ تَيْهَ سِينَا.....ءَ لَوَاءٍ يُزْرِي بِكُلِّ لَوَاءٍ
 وَانْشُرِي فِي مَوَاطِنِ الْعَرَبِ اللَّا.....هَيْنَ نَاراً مَكِّيَّةَ اللَّأْلَاءِ
 لَتَقْصِي عَهْدَ الْعَبَاقِرَةِ السُّمُ.....رِ كِتَاباً يَفِيضُ بِالْأَنْبَاءِ

(١) يَشِي : مَنْ وَشَى إِذَا نَمَّ وَسَعَى بِالْشَّرِّ . الرَّائِي : (هُنَا) الْجَاسُوسُ الْخَبِيثُ .

(٢) الْأَوْطَارُ : الْحَاجَاتُ ، الْغَايَاتُ . التَّدَادُ : النُّفُورُ ، الشُّرُودُ .

(٣) عَمْرٍو : هُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَاتَحَ مِصْرَ ، وَحَاكَمَهَا الْإِسْلَامِي الْأَوَّلُ .

ذُكَاءُ : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ .

وأعِدْ تَارِيخَ مَكَّةَ ، فِي الْآ..... فَاقِ ، فَتَحْأَ يَسْحُ بِالْآلَاءِ
لَا هُرَاءَ ، يُدِيرُهُ فَمُ مُلْقِي..... عَلَى الْهَاتِفِيْنَ وَالْأَجْرَاءِ
إِسْتَخَفَّتْهُمُ الرُّؤْيُ وَالْأُمَانِي..... يَوْمَ يَأْتِي وَفِيهِ الْغِذَاءِ
كَالْبِرَاغِيْثِ سَاقَهَا الْجَوْعُ وَالْبَرْ..... دُ ، وَعَاشَتْ عَلَى دَمِ الْغُرَبَاءِ
إِيْهِ ! يَا وَحْدَةً تَبْشُرُ بِالْخِي..... رِ بَرَاغِيْثَهَا ، تُحْذِي بِالْإِنَاءِ
وَأَمْلَأِيْهِ دَمًا ، مِنْ الْجَارِ وَالصَّأ..... حِبْ ، بِاسْمِ اشْتِرَاكِهِمْ فِي الْإِحَاءِ
وَاضْرِبِي بِالْذُّفُوفِ ، فِي حَلَقَاتِ الذُّ..... كَرِ رَقْصًا ، وَبَرَزِي فِي الدَّهَاءِ
مَا يَزَالُ الْخِدَاعُ مِيسَمَكِ الْبَا..... رَزَ بَيْنَ الصُّحَابِ وَالْأَعْدَاءِ
فَارْكَبِي الرُّجْسَ مِنْ طَبَاعِكِ يَمًّا وَالْبَسِي لِلرِّيَاءِ أَلْفَ رِدَاءِ
لَنْ تَسُوْدِي ، وَلَنْ تَقُوْدِي سِوَى تَل..... كِ الْبِرَاغِيْثِ تَحْتَ كُلِّ ادِّعَاءِ
وَسَتَقْضِي الْأَيَّامَ فِيكَ وَفِيهَا مَا قَضَتْهُ فِي رَاكِبِ الْعَشَوَاءِ^(١)
فَالْقَوَانِيْنُ لَا تُجِيرُ وَلَنْ تَرْ..... حَمَ مَنْ غَاصَ فِي دَمِ الْأَبْرِيَاءِ
وَمَنْ اسْتَعْبَدَ الرُّقَابَ فَأَجْرًا..... هَا عَلَى حُكْمِهِ بِدَعْوَى الْبِنَاءِ
إِنَّ لِلَّهِ غَيْْرَةَ وَانْتِقَامًا عَصَفَا بِالطُّغَاةِ ، لِلضُّعْفَاءِ
عَمِيَ الظَّالِمُونَ عَنْ سُبُلِ الْحَقِّ..... فَهَامُوا فِي الْفِتْنَةِ الْعَمِيَاءِ
وَالْمَصِيرُ الْمُخْتَوِّمُ يَزْحَفُ فِي صَم..... تِ ، لِأَعْنَاقِهِمْ ، بِشَرِّ الْجَزَاءِ
مِخْنُ الدَّهْرِ تَنْقُضِي ، وَالضَّلَالَا..... ثُ تُؤَلِّي ، وَالْمَوْتُ لِلْجِنَاءِ
يَا سَطُورًا كَتَبْتُهَا بِدَمِ الْقَلَمِ — بِ ! أَهْيِي بِسَاكِنِي الْبَطْحَاءِ^(٢)

(١) العشواء : مؤنث أعشى ، وهو الذي ضعف بصره ، ويتخبط في طريقه على غير هدى .

(٢) البطحاء : الأرض المستوية ، ويراد بها هنا : مكة المكرمة .

واستفزي جبالها السمر ، ترئد بإرث الآباء للأبناء
من هنا راية العدالة رفّت وأنارت جوانب الصغراء^(١)
رُبَّ حرفٍ دعا ، فلبّته أعراس قُ المروءات لظَى الهيجاء

* * *

يا خيام الصَّحراء ! قد بَلَغ الصَّم ت مداه على أذى العَوغاء
فاركبي ، واضربي ، على طول مسرا ك ، فلول الخيال والخيل
الفلول التي يُسيرها ثور ر بسوط الزَّعامَةِ الجوفاء
صارَ معبودها ، كما كان من قَب ل ، وقد خار مُمعناً في الهراء
وتحدّى بالظلف والقرن والذبي ل « وقد هاج » قُدرة القُدراء
مستخفّاً بالإنسي والجِن ، بالعا لِم طراً بِرفرف الجوزاء
ماضيّاً في خواره يُنذر الدن يا بويلاتِ بأسِه العسراء
فاختفي يا نجوم ! قد أقبل العج ل ، إله الكُهان ... والعُرفاء
الذي صيّر الخيانة والغد ر شعاراً لعَهده الوضاء
والذي نازع الرغيف رعايا ه ، فضاقوا بصيفهم والشَّاء
غاصباً من حقولهم ثمر الكد ج رُكاماً ، أحاله كالهباء
فاذهبي يا رياح ! بالحرث والنس ل ، وعُودي بالآين والثوباء^(٢)
وانسخي آية الحِقار ، وطوفي بالعوا دي ... بالراية الحمراء^(٣)

(١) الغبراء : الأرض ، الدنيا .

(٢) الحرث والنَّسل : الزرع والناس . الثوباء : الثاؤب وهو حركة للرم غير إرادية ، من كسل أو نعاس .

(٣) الحِقار : جمع حقير ، وهو المستهان به . العوادي : الخيل المغيرة .

واطرحي للحياة ألف سؤالٍ عن أبيسٍ وسيَرِه للوراءِ
 يا ألوهية العجول ! أفيقي من حُمارِ الجنون والصَّهباءِ
 لم تضيق رقعة الخيال بعجلٍ سامَ عبَّادَه حياة الإماءِ
 سارياً في هَشِيمِهِم سريانَ الـ.....نَّارِ ، تَذروهُمُو سُدىً في الهواءِ
 يا عقولاً تآلَّه العجلُ فيها أيُّ قَرَيْهه مُؤذِنٌ بالعَفَاءِ !
 للبرايا من كلِّ جنسٍ ولونٍ لم تَلِن للديانة النكراءِ
 يا عقولاً تمكَّن الضَّعْفُ منها فاستكأَتْ لِلْحِظَةِ الحَرْقَاءِ !
 عَشِيَتْ هذه العقولُ وهائت فاستعارت تَلَوْنَ الحِرْبَاءِ
 ليس يُلحَى عَجَلٌ ، يَخورُ ، فيُلْقَى بينَ عُبَّادِهِ ، بآيِ الثَّناءِ ^(١)
 كلماتٌ من الرِّحيقِ المصفَّى عَتَّقَتْها يدا أبي البلغَاءِ
 جَلَّ ، يا ثورُ ! مَنْ بَرَاكَ وناجَا.....كَ عَلَى الطُّورِ في ليالي الجَلَاءِ ^(٢)
 أيُّها السَّاجِدُونَ في لُجَج الوَهْ.....م ! أَفَيَقُوا من غَمرة الإغفَاءِ
 وضَعُوا العِجْلَ حيث يَكْدَحُ في الغَيِّ.....ط ، ذليلَ القَرَيْنِ في استخذاءِ ^(٣)
 حيث يَشقى ، كيلاً يَجوعَ وَيَظْمأ ، في صفوف الأَشْباهِ والتُّظْراءِ
 حيث لا تَعْبُد العجول إلَهاً من ذواتِ الأَظْلاف في الأَهْراءِ ^(٤)

* * *

- (١) لحا : يلحوا : لام وعذل ، ولحا الله فلاناً : قَبَّحه ولَعَنه .
 (٢) برأ : خلَق ، تقول : برأ الله الخلق ، وبراك : خلَقك (وسَهَّلَ الهِزمة) . الطُّور : الجبل (وأُضيف في القرآن الكريم أحياناً إلى سيناء) . الجَلَاء : الخروج عن الوطن بعد الإقامة فيه - ولَعَله يقصد هنا جلاء الإنكليز عن مصر - .
 (٣) الغيظ : الأرض المطمئنة ، الحقل .
 (٤) الأَظْلاف : جمع ظَلْف وهو الظفر المشقوق للبقرة والشاة والظبي ونحوها . الأَهْراء : جمع الهَرَي وهو موضع كبير ضخم تجمع فيه الجيوب وتحفظ .

لَيْتَ شِعْرِي ! ماذا دها النَّيْلَ في النَّاسِ س ؟؟ أَصِيبُوا بِأَقْلِلِ الْأَدْوَاءِ
حينما أَلْهَوْا أَبْيَسَ ، فَأَصْلًا هُمْ جَحِيماً .. مُسْتَشْرِياً كَالْوَبَاءِ
يَتَرَدُّونَ فِي الْحَيَاةِ إِلَى الْقَا ع ، وَهُمْ قَبْلَهُ ، دَعَاةُ الْعَلَاءِ
فَاشْرَقِي يَا عَيُونُ بِالذَّمْعِ لِلنَّيِّ ل ! مُصَاباً بِالْمَخْنَةِ الْخِرْسَاءِ
حَيْثُ تَبْدُو الْأَقْلَامُ وَالْفَنُّ وَالْفَك رُ ظِلَالاً عَدِيمَةً الْإِيحَاءِ
حَيْثُ يَسِرِّي الشُّحُوبُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَغَطَّى بِالرَّمْزِ .. وَالْإِيحَاءِ
حَيْثُ غَطَّ التَّارِيخُ فِي شَاطِئِهِ نَائِماً عَنْ مَصِيرِهِ .. وَالتَّوَدَّاعِ
عَنْ أَبْيَسٍ .. وَعَنْ عِبَادِ أَبْيَسٍ وَضَحَايَا السِّيَاسَةِ الْحَوْلَاءِ
يَا زَمَانَ الْعُجُولِ ! أَسْرَفْتَ فِي الْوَعْدِ د ، فَمَرَحَى لِلْهَادِمِ الْبَنَاءِ
يَا زَمَانَ الْعُجُولِ ! أَمْطَرْتَ دُنْيَا ك ، فَأَغْرَقَهَا بِهَذَا السَّخَاءِ
فَرَكَبْنَا طُوفَانَهَا نَضْرِبُ الْمَا ء ، صِرَاعاً ، يَمْضِي بَعْدَ انْتِهَاءِ
كَذَبِ السَّامِرِيِّ ، مَا كُنْتُ ، يَا عَج ل ، سِوَى فِتْنَةٍ بَغِيرِ كِسَاءِ^(١)
ضَلَّ فِيهَا لَاهٍ ، وَصَدَّقَ أَعْمَى وَتَسَلَّى بِهَا ذُووُ الْآرَاءِ
وَتَصَدَّى لَهَا بِسَخْرِيَّةٍ هَا زِيءُ ذُو الْعِلْمِ وَالْحِجَا وَالذِّكَا
كَيْفَ لَا تُعْبَدُ الْعُجُولُ ؟ وَمَا تُخ لَقُ إِلَّا لِلذَّبْحِ وَالْإِقْتِنَاءِ
بَيْنَمَا تَبْلُغُ الْجِيَادُ ذُرَى السَّبَبِ ق تَلْجُ الْعُجُولُ فِي الْإِبْطَاءِ
وَكَذَا أَنْتَ ، يَا أَبْيَسُ ! ثَقِيلُ الْ حَطْوٍ ، فِيمَا ابْتَدَعْتَ مِنْ أَخْطَاءِ
الْخُورِ الطَّوِيلِ آيْتُكَ الْكُب رَى ، تُنَاجِي بِهَا هَوَى الدَّهْمَاءِ

(١) السَّامِرِيُّ : رجل من بني إسرائيل صنع في أيام موسى عليه السلام عجلًا من ذهب ، ودعا قومه إلى عبادته
(والقصة مفصلة موجودة في سورة طه من القرآن الكريم) .

الحيثاء الذين قد رُزئوا في.....ك ، وعاشوا على الطوى والعراء
 أنت أكذوبة الزمان على الناس.....س ، أطاحت بقصة العنقاء^(١)
 يا مُسيلَ الدموع من أعين العر.....ثى ! ولم يُصنع ذيله للبكاء^(٢)
 القرايين من عبادك تُثرى تبغى منك سنة الرُحماء
 أفلا كان ذيلك القلقُ الحا.....قد في خطبها من الشفعاء؟^(٣)
 أنت في النيل حجة الله في الأر.....ض على الناس في الرضى بالبغاء
 لم لم يلزموك مأواك في العي.....ط ، لتشقى بالحرث والإرواء ؟
 لم لم يُثقلوك بالنير والحب.....ل ، قياداً ، يصون حقّ الأداء ؟
 فاحتكم ، واتمس بأظلافك التق.....مة فيهم بالحيف والإزراء
 وآله ، والعَب بهم ، فما زال في جل.....دك طفلاً ، يهيمُ بالحلواء
 أقما مارسوا الكهانة من قب.....ل ، وعاشوا من بعدها للجواء؟^(٤)
 أقما شئدوا الهياكل للأر.....باب من عليه ومن أمراء ؟
 فلتكن أنت للمهازل ، طُغراء.....ء يُوارى المهازل - العرجاء^(٥)
 لتكن ما يشاء ذيلك والقـ.....ر ن إلهاً حقاً .. بغيرِ مرء^(٦)
 لست إلا عجلًا تردّد في العي.....ط ، وشيئاً من أتفه الأشياء
 لست إلا أسطورة في الأساطي.....ر ، أضلت سداجة البسطاء

-
- (١) العنقاء : طائر وهمي لا وجود له .
 (٢) الغرثى : جمع غرثان وهو الجائع ، خبيص البطن ، أصاخ له : استمع .
 (٣) الخطب : الأمر الشديد ، المصيبة .
 (٤) الجواء : اللعب بالأفاعي ، وتعني كذلك الشعوذة .
 (٥) الطغراء : الطرة تكتب في أعلى الكتب والرسائل ، وأصل الكلمة تترى .
 (٦) المرء : الجدال .

سَيُكْرُ الزَّمَانُ يَوْمًا فَيَطْوِي.....ها ، وَيَهْوِي بِرَهْطِهَا السُّخْفَاءِ
 غَفْلَةُ الذَّهْرِ يَا أْبَيْسُ ! أَتَاخَتْ لَكَ دَوْرَ الظُّهُورِ بَعْدَ الْخَفَاءِ
 لَمْ تَكُنْ فِي الْقَطِيعِ صَاحِبَ شَأْنٍ يُرْتَضَى بَيْنَ أَسْوَأِ الْقُرْنَاءِ
 إِنَّمَا كُنْتَ يَا أْبَيْسُ ، وَمَا زِل.....تَ ، عَقَابًا لِنَزْوَةِ الْأَكْفَاءِ
 خَسِيءَ الْوَاهِمُونَ ، مَا أَنْتَ فِيهِ غَيْرَ رَمَزٍ لَشِدَّةِ اللَّأْوَاءِ (١)
 يَا نَذِيرَ الْخَرَابِ ! نَكَّكَ بِالْأَح.....رَارِ ، مِنْ أَهْلِهِ بَغِيرِ اتِّقَاءِ
 وَهُمْ أَجْلَسُوكَ فِي مَجْلِسِ الْقَا.....ئِدِ يُلْقِي الْأَمَالَ رُكْنَ التَّجَاءِ
 فَإِذَا أَنْتَ أَغْدُرُ النَّاسِ بِالصَّحَابِ ، وَأَوْفَى لِفِطْرَةِ اللَّوْمَاءِ
 غِلْتَهُمْ ، وَانْطَلَقْتَ ، وَحَدَكَ ، فِي النَّي.....لِ ، فَحِيحًا ، كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ (٢)
 تَنْفُثُ السُّمَّ حَيْثُ رُحْتَ ، حَرِيقًا ، فِي دِمَاءِ الْجِرَانِ وَالْأَقْرَبَاءِ
 وَتَأَلَّهْتَ ، وَاعْتَلَيْتَ مَكَانًا فِي أَمَانِ الْحَرَّاسِ وَالرُّقَبَاءِ
 الرَّعَايَا أَمَامَ هَيْكَلِكَ الرَّأ.....يُعِ سَكْرَى الْإِذْعَانِ وَالضُّوْضَاءِ
 إِلَيْهِ يَا عَجُلُ ! إِنَّمَا كُنْتَ دَلُوءًا حَرَّكَتُهُ الْأَقْدَارُ بَيْنَ الدَّلَاءِ
 فَدَعِ الْمَاءَ مِنْ حَوَافِيكَ يَنْصَبْ.....وَمِنْ قَعْرِكَ الْعَدِيمِ الْعَنَاءِ
 لَا لَصُونٍ ، وَلَا لِعَوْنٍ ، تُرْجَى بَلْ لِلْعَوِ ، يَا سَيِّدَ الْفُصْحَاءِ (٣)
 إِنْ يَطُلْ لَيْلُكَ الْمُؤَرَّقُ ، يَا عَيْنِ.....نُ ، فَشَيْمِي مَصَارِعَ الشُّهْدَاءِ (٤)
 أَوْ يَطُلْ صَبْرُكَ الْمَمْرُوقُ ، يَا قَلْبِ.....بُ ، تَرَقَّبْ نَهَايَةَ الْبَلَاءِ

* * *

(١) اللَّأْوَاءُ : ضيق المعيشة .

(٢) غَال : يغول غَوْلًا وَغِيلَةً : أَخَذَهُ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ فَأَهْلَكَهُ . الْفَحِيجُ : صَوْتُ الْأَفْعَى .

(٣) اللَّعْوُ : الْكَلَامُ الْمَذَرُ الَّذِي لَا طَائِلَ وَرَاءَهُ .

(٤) شَامَ : يَشِيمُ الْبَرْقُ وَالسَّحَابُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ يَتَحَقَّقُ أَيْنَ يَكُونُ مَطَرُهُ .

قَلَمِي ! قد ركبْتُ صَهْوَتَكَ الْيَوْمَ.....مَ فَعَرَّجَ بِسَاكِنِي الدَّهْنَاءِ^(١)
أَطْلِقِ الصَّوْتِ فِي مُرُوءَاتِ أَهْلِيهَا ، تُحَرِّكُ كَوَامِنَ الْبَيْدَاءِ
فلقد أَذَّنَ الصَّبَّاحُ وَدَوَّتْ صرخةُ الثَّأْرِ من أعالي جِرَاءِ
صرخةُ الْحَقِّ وَالْعَدَالَةِ وَالْإِيْمَانِ وَالنَّصْرِ وَالْهُدَى وَالْفِدَاءِ
رَقَصَتْ رَايَةُ « الْعُقَاب » عَلَيْهَا فِي تَشْيِيدِ يَحْدُو خُطَى « الْقَصَوَاءِ »^(٢)
إِنَّهُ دَرَبُنَا الْقَدِيمُ جِهَاداً تَبَوَّأَ الْمِعْرَاجَ وَالْإِسْرَاءِ

* * *

قَلَمِي ! قد ركبْتُ صَهْوَتَكَ الْيَوْمَ.....مَ ، فَخُضْ رِحْلَةَ السَّنَى وَالسَّنَاءِ
وَأَرْخِ سَرَجَهَا عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ.....لِ ، تُحَرِّزُهُ مِنْ قِيودِ التَّوَاءِ^(٣)
فلقد صَوَّحَتْ زَهْوَرُ مَغَانِيهِ.....هِ ، وَغَصَّتْ طَيُورُهُ بِالْغِنَاءِ
ولقد جَانَبَ النِّسِيمُ مَسَارِيهِ.....هِ ، فِرَاراً مِنْ رِيحِ التَّكْبَاءِ
قَلَمِي ! لَمْ تَزَلْ لِحْدِكَ أَهْلَاءُ فِي دَوَاعِي التُّهُوُضِ بِالْأَعْبَاءِ
لَمْ تَزَلْ فِي مَآزِقِ الضَّنَنِ سِيفاً صَارَمَ الْحَدِّ يَعْزُبِي الْمَضَاءِ
لَمْ تَزَلْ حَامِلَ اللَّوَاءِ وَدَاعِي عِرْقِهِ الْحَيِّ فِي أَبِي الزَّهْرَاءِ
قَلَمِي ! إِنْ بَلَغَتْ غَايَتَكَ الْيَوْمَ.....مَ ، فَأَقْبِلْ إِلَى الْكُؤُوسِ الْمِلَاءِ
من حُمَيَّا الْجِهَادِ فِي نُصْرَةِ اللَّـهِ.....هِ ، تَرَدَّى بِهِ نُسُورُ الْجِيَّوَاءِ^(٤)

(١) عَرَّجَ بِالشَّيْءِ : نَزَلَ بِهِ . الدَّهْنَاءُ : الْفَلَاةُ ، وَهِيَ صَحْرَاءٌ فِي وَسْطِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ .

(٢) الْعُقَاب : اسْمُ رَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ . الْقَصَوَاءُ : اسْمُ نَاقَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ .

(٣) التَّوَاءُ : سَمَةٌ فِي الْفَخْدِ وَالْعَنْقِ .

(٤) الْجِيَّوَاءُ : جَمْعُ جَوْ . وَيَجْمَعُ عَلَى أَجْوَاءَ كَذَلِكَ .

وَارَوْ عَنَّا حَدِيثَ عَمْرٍو إِلَى النَّيْلِ..... لِي وَعَهْدَ الرُّعَاةِ وَالْخُلَفَاءِ^(١)
 قِصَّةُ ثَوَّرَتْ ، وَقَادَتْ ، وَشَادَتْ ، وَارْتَقَتْ شَأُوهَا بِلَا اسْتِعْلَاءِ
 مَا اسْتَبَدَّتْ ، وَلَا تَحَدَّتْ ، وَلَكِنْ مَهَّدَتْ لِلْهُدَى بِغَيْرِ اجْتِرَاءِ
 قَلَمِي ! إِنْ بَلَغَتْ غَايَتَكَ الْيَوْمَ..... م ، فَحَاذِرْ ضَلَالَةَ الْأَدْعِيَاءِ
 قَلَمِي ! عَشْتُ كَوَكْباً يَرْسُلُ الثُّوَرُ..... ر ، وَيُعْلِي هَدَايَةَ الْأَنْبِيَاءِ

* * *

يَا حَنِيئاً أُمَّ الْقَرْيِ ! فَيْكَ قَرَّتْ مُهَجٌّ ، مَا انْطَوَتْ عَلَى شَحْنَاءِ^(٢)
 يَبْدُ أَنْ الْأَذَى ، وَعُدْوَانُهُ السَّاءُ..... دِر ، قَدْ أَجَّجَا لَهَيْبِ الْعِدَاءِ
 فَلَيْكِنْ وَزْرُهُ عَلَى رَأْسِ جَانِيءٍ..... ه هَجِيئاً يَلُوبُ فِي رَمْضَاءِ
 قَدْ بَلَّغْنَا بِالصَّمْتِ آخِرَ حَدِيدٍ..... ه لِإِذَا بِشِيمَةِ الْكُرْمَاءِ
 وَصَبَرْنَا ... وَقَدْ صَبَرْنَا طَوِيلاً لَتَحْدِي السَّفَاهِ وَالْبَغْضَاءِ^(٣)
 فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى الْحَفِيزَةِ لَا نَلْـ..... وَي عَلَى الْعَاذِلِينَ وَالنُّصَحَاءِ^(٤)
 لَا نَهَابُ الرَّدَى فَمَا زَالِ مَسْرَا..... نَا وَمَسْرَى أَجْدَادِنَا الْقَدَمَاءِ
 فَلْتَهُبْ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ فَهِيَ مِنْ تَحْتِنَا تُغَاءِ الشَّاءِ
 وَلَتَذُفَّ الْأَخْطَارُ شَرْقاً وَغَرْباً فَهِيَ مَنَّا لَيْسَتْ مِنَ الدُّخْلَاءِ^(٥)

(١) الرُّعَاةُ : ربما يرمز لحكام مصر القدماء « المكسوس » ويعرفون بـ « الملوك الرعاة » . وقد حكموا مصر من عام ١٧٨٦ إلى حوالي العام ١٥٧٠ قبل الميلاد ، وكانت عاصمتهم « أفارس » في دلتا النيل الشرقية .

(٢) أم القرى : اسم من أسماء مكة المكرمة .

(٣) السَّفَاهُ : الحمق والطيش .

(٤) الحَفِيزَةُ : الغضب والحيَّةُ والدفاع عن العرض .

(٥) ذَفٌ : أصلها دَفَّ الطائرُ بِجناحيه إذا ضرب جناحيه بِجناحيه أو حركهما ورجلاه على الأرض ، وهي هنا بمعنى الإقدام والم هجوم .

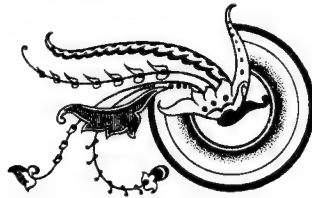
نحن حُطَّابُهَا عَلَى السَّهْلِ وَالْوَعْدِ.....ر ، وَرَكَابُهَا عَلَى الدَّأْمَاءِ^(١)
وَبِأَثْوَابِنَا غُبَارُ مَرَامِي.....هَا ، يَدِيلُ الْأَلْقَابِ وَالْأَسْمَاءِ

* * *

قَلَمِي ! أَنْتَ لِلطَّلَائِعِ حَادٍ لِلسَّرَايَا مِنْ لَعْلَعٍ وَقُبَاءِ^(٢)
لَكَأَنِّي بِفَجْرِ يَوْمِكَ فِي الْآ.....فَاقِ يَمْحُو الظَّلَامَ بِالْأَضْوَاءِ
وَكَأَنِّي بِالْبَيْتِ وَالرُّكْنِ وَالْقَبْرِ.....ر مَنَاراً لِلسُّدْرَةِ الْعَصْمَاءِ^(٣)

* * *

رُبَّ طَاغٍ عَتَا ، فَسَاءَ مَصِيرُهَا حَيْثَا ازْدَادَ وَهْمُهُ فِي النَّجَاءِ



-
- (١) الدَّأْمَاءُ : البحر .
(٢) لَعْلَعٌ : جبل في أطراف المدينة المنورة .
(٣) البيت : رمز للبيت الحرام في مكة المكرمة . الركن : رمز للركن اليماني في الكعبة المشرفة أو ركن الحطيم في الكعبة المشرفة وهو مقام إسماعيل عليه السلام . والقبر : رمز لقبر الرسول ﷺ في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة . السُّدْرَةُ : رمز لسدرة المنتهى وهي الشجرة في الجنة تحدث عنها القرآن الكريم .



هَذَا الْعِيدُ

هذا هَلَالُ الْعِيدِ أَشْرَقَ ، فَاعْتَبِطْ
واخلعْ قَدِيمَكَ لِلْقَدِيمِ .. تَلْفُهُ
وانهَبْ من اللَّذَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا
أرْسِلْ لِفَارِهِةِ الشَّبَابِ لِجَامِهَا
دعها تَرِذْ عَذَبَ الْمَوَارِدِ قَبْلَ أَنْ
اليَوْمَ تَمْنَحُكَ الْحِسَانُ خَدَوَدَهَا
اليَوْمَ ، زَيْنُ الصَّحْبِ أَنْتَ ، وَشُغْلُهُمْ ،
اليَوْمَ دُنْيَا الْقَادِرِينَ ... فَإِنْ مَضَتْ
طَرَفٌ فِي حَدَائِقِهَا ، وَمُصْرٌ رَحِيقِهَا
وانصِبْ شِرَاكَكَ ، وَارْمِ سَهْمَكَ صَائِباً
فَالْيَوْمَ تُعْطِيكَ الْحَيَاةُ وَقَوْدَهَا

وَالْبَسْ لِمَقْدَمِهِ السَّعِيدِ جَدِيداً
فيه يَدٌ تَطْوِي الطَّرِيفَ تَلِيداً
ما تَسْتَرِدُّ به الْحَيَاةَ وَلِيداً
فَعْدَاً سَيُعْطِيكَ الْمَشِيبُ قِيوداً
تَبْغِي الْوُرُودَ ، فَلَا تُطِيقُ وَروداً
وَعْدَاً سَتُصْلِيكَ الْحِسَانُ صُدوداً
وَعْدَاً تَدْبُّ عَلَى عَصَاكَ وَحِيداً
هِيَهَاتَ ، لَوْ نَادَيْتَهَا .. فَتَعُوداً
وَاحْمَدِ وَرُودَكَ إِنْ رَشَقْتَ وَروداً
وَاقْرَعِ قَرِيعَكَ فِي النُّضَالِ جَلوداً
وَعْدَاً سَتَصْنَعُكَ الْحَيَاةُ وَقوداً !!



بَيْنَ الْكُهُولَةِ وَالصَّبَا

شَقِيتُ بِهَا بَيْنَ الْكُهُولَةِ وَالصَّبَا
تَقَاضَيْتُهَا عَهْدَ الْهَوَى ، وَقَدْ انطوى
يَهِيمُ خَيَالِي فِي ذَرَاهَا مُجْتَنَحاً
أَرَى مَسْرَحَ الْأَمَالِ أَصْفَرَ خَاوِياً
أَلَمْ جِرَاحَ الْقَلْبِ فِيهِ عَلَى الْأَسَى
يَنْوَأُ بِهَا صَبْرِي خَيْالاً مُعَذِّباً
وَحَتَّامٌ ؟ لَا أَدْرِي ، وَلَكِنَّهَا تُحْطَى ،
مَضَى قَدْرُ السَّاعِي إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ
نَخُوضُ وَحَوْلَ الْعَيْشِ عِبْرَ حَضِيضَةٍ
خَيَالٌ أَجَادَ الْوَهْمُ نَسَجَ خِيوطَهُ
أَرَانِي شَرِيداً ، أَنْكَرْتَهُ بِلَادُهُ
وَنَاضِلٌ ، يَسْتَبِقِي الرَّجَاءَ ، فَلَمْ يَجِدْ
خَبَا تَجْمُعُهَا الْوُضَاءُ ، أَحْلَامَ ضَارِبٍ
تَحَامِلَ فِيهَا ، يَخِيطُ الْوَعَرَ سَارِياً
وَكَيْفَ ؟ وَمَا فِي الْعُمْرِ لِلْجَهْدِ فَضْلَةٌ

مَارَبَ ، لَمَّا أَقْضَى مِنْهُمْ مَارَباً^(١)
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فَجْرَهَا مَتَرَقِباً
فِيهِوِي جَرِيحاً فِي ثَرَاهَا مُخَضَّباً
وَقَدْ كَانَ مَخْضَرُ الْجَوَانِبِ مُعْشِياً
مَصِيراً ، عَدَاهُ الْكِبَرُ أَنْ يَتَعَبَّأَ
وَتَمْضِي بِهِ الْأَيَّامُ سِرّاً مُعْيِياً
يُوَاصِلُهَا الْمَكْفُوفُ ، أَذْعَنَ ، أَمْ أُنَى
بِهِ ، وَكَفَاهُ الْجَهْلُ أَنْ يَتَهَيَّأَ
وَنَحْلُمَ بِالْإِزْهَارِ نَضراً عَلَى الرَّبَى
شَقِينَا بِمَا أَزْجَى إِلَيْنَا وَأَعْقَبَا
فَشَرَّقَ مَسْلُوبَ الْقَرَارِ ، وَغَرَّبَا
عَدَا الْيَأْسُ نَهْجاً ، وَالْمَعَاطِبُ مَرَكِبَا
عَلَى ظُلُمَاتِ الْعَيْشِ ، لَمْ يَلَقْ مَذْهَبَا
إِلَى الْحَقِّ ، لَا يُبْدِي لَهُ الْوَعْرُ كَوَكْبَا
أَفْجَرُ فَجْراً ، أَوْ أَزْحَرُحُ غَيْهَبَا ؟

(١) الْمَارَبُ : الْحَاجَةُ وَالْغَرَضُ .

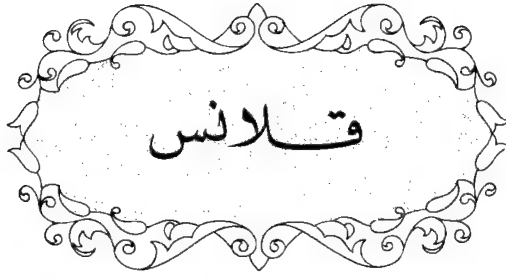
صِرَاعٌ ، أَضَاعَ الْعَمْرُ فِيهِ شَبَابَهُ
 أَلَّا نَكْصُ ؟؟ لَا .. حَتَّى أُضْرَجَ مُمَسِكَاً
 فَمَا أَنَا إِلَّا مَا أَهَيْمُ بِحُبِّهِ
 سَمَوْتُ بِنَفْسِي أَنْ يَهُونَ حَيَاؤُهَا
 رَضِيتُ لَهَا ضَنْكَ الْحَيَاةِ ، وَرَضْتُهَا
 رَفِيقَانِ ، قَدْ عَاشَا عَلَى خَيْرِ صَحْبَةٍ
 تَكْشَفُ عَنْ هَوْلِ النِّهَايَةِ مُرْعَبَا
 بِسَيْفِ اعْتِقَادِي ، مَا بَقِيَتْ ، وَإِنْ نَبَا
 مِنَ الْمُثَلِّ الْعُلْيَا ، جِهَاداً وَمَطْلَبَا
 فَيَسْحَرُهَا بَرَقُ الْمَطَامِعِ خُلْبَا
 عَلَيْهِ ، فَالْفَنُّ عَذَاباً مَحَبَّيَا
 تُحَوِّلُ جَدَبَ الْعَيْشِ رَيَّانَ مُخْصِبَا



قريتنا

قَرِينَتُنَا تَفِيضُ بِالسَّمَاحِ لَمْ تَغْرُقْ قَطُّ رَمْلَهَا الرِّيَّاحُ
 قَدِ نَسِيتُ كَلَابُهَا التُّبَّاحُ وَمَعْرِضُهَا لَا يَعْرِفُ النَّطَّاحُ
 وَلَيْلُهَا الْوَدِيعُ كَالصَّبَّاحِ ظِلُّ ظَلِيلٍ وَهَوًى مُتَّاحُ
 يَجُوبُهَا السَّارِي بِلا سِلَاحِ فَمَا لِبَابِ دُونِهَا مِفْتَاحُ
 حَيَاتُهَا صَبْرٌ عَلَى الْجِرَاحِ وَعِلْمُهَا يَسْتَنْكِرُ الْجِمَاحُ
 تَلَوِّذُ فِيهَا الشَّمْسُ بِالْبِطَاحِ تَسْأَلُ عَنْ قَطِيعِهِ الْمُرَاحُ
 حَتَّى تَرَاهُ مَطْلَقَ السَّرَاحِ كَعَهْدِهِ مِنْذُ غَدَا وَرَاحُ
 فِي قَرْيَةٍ مَهِيضَةِ الْجَنَاحِ تَمْرُحُ فِي أُدِيمِهَا الْأَشْبَاحُ
 مَحْرُومَةٍ حَتَّى مِنَ النَّوَاحِ لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ الْكِفَاحُ





لِلَّهِ كَمْ تُخْفِي الْمَلَابِسَ مَا فِي الضَّمَائِرِ مِنْ خَسَائِسَ
الْحَيِّ صَائِدُ خُلْسَةٍ سَيَّانٍ مُفْتَرٍّ وَعَابِسٍ^(١)

* * *

أَفْتَدَّعِي حُبَّ الْحِسَابِ..... نِ ، وَلَسْتَ بِالرَّجُلِ الْمُوَانِسِ ؟
لَوْلَا ثَرَاؤُكَ لَمْ تَجِدْ لَكَ خُلْسَةً بَيْنَ الْأَوَانِسِ^(٢)
إِنْ عُدَّ غَيْرُكَ فِي الْبُعَا..... ثِ ، فَأَنْتَ مِنْ سَقَطِ الْخَنَافِسِ^(٣)

* * *

أَتُرَى الَّذِي اغْتَالَ الْفَرَا..... ئِسَ ، رَاعَهُ دَمْعُ الْفَرَائِسِ ؟
تَعِسَ الْغَنِيُّ بِمَالِهِ يَشْتَارُ مِنْ دَمِ الْفِ بَائِسِ

* * *

مَا لِلَّذِي اسْتَصَفَى الْغَنِي..... مَةَ لَا يَعِفُّ عَنِ النَّفَائِسِ ؟
لَمْ يُبْقِ مِنْ مَاضِي الْمُرُوءِ..... عَةٍ غَيْرَ أَطْلَالِ دَوَارِسِ

* * *

(١) الخُلْسَةُ : الْفُرْصَةُ .

(٢) الْخُلَّةُ : الصَّدَاقَةُ وَالْحُبَّةُ الَّتِي تَحُلَّتِ الْقَلْبَ فَصَارَتْ خِلَالَهُ : أَيِ فِي بَاطِنِهِ .

(٣) الْبُعَاثُ : طَائِرٌ مَبْقَعُ اللَّوْنِ ، بَطِيءُ الطَّيْرَانِ .

قَدْ وَثَّقَ الْجَشِيعُ الْأَثِيمَ.....مُ عِلَاقَةً بَيْنَ الْفَوَارِسِ
قَلْنَا تَضَافَرَتِ الْقُلُوبُ.....بُ ، فَهَالَنَا مَوْجُ الدَّسَائِسِ
وَارْحَمَةَ لِلنَّاعِمِينَ.....نَ ، أَمْضَهُمْ لَيْنُ الطَّنَافِسِ

* * *

مَاذَا وَرَاءَ الْأَفْقِ يَا.....ذُنَيْبَا ! فَإِنَّ اللَّيْلَ دَامِسٌ ؟
ذَكَّرُوا الْعَدَالََةَ لَاهِجِي.....نَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْمَجَالِسِ
أَمِنَ الْعَدَالََةَ أَنْ تَرَى فِي أَلْفِ عَارٍ نَصْفَ لَابِسٍ ؟

* * *

أَطْلَقْتُ آمَالِي فَعُدْ.....نَ إِلَيَّ بَعْدَ وَجْئِ خَوَانِسِ^(١)
مَالِي وَلِلْقَصْرِ الْمَشِيدِ.....دِ ، يَصُدُّنِي سُورٌ وَحَارِسٌ ؟

* * *

قَالُوا : اسْتَراحَ أَبُو فُلَانٍ.....نِ ، قُلْتُ : مِنْ أَمَلِ الْعَوَانِسِ
وَأَجَدُّ لِي قُوْتُ الْحَرَامِ.....مَ قَنَاعَةً ، تَيْدُ الْوَسَاوِسِ

* * *

صَاحَ الْبَشِيرُ : رَأَيْتُ ثُو.....رَ الْفَجْرِ يَخْتَرِقُ الْحَنَادِسَ
فَتَوَائِبَ الْمُتَرَبِّصِ.....نَ ، وَأَحْكَمُوا وَضَعَ الْقَلَانِسِ
وَأَدْرْتُ مِنْ ثَوْبِي عَلَيَّ.....وَقُلْتُ : إِنَّ الْبَرْدَ قَارِسَ

* * *

(١) الوجي : رقة القدم من كثرة المشي . خوانس : جمع خانس ، المتخلف ، المتواري .

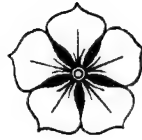
أَلَزَمْتُ نَفْسِي بِالْكَمَالِ.....لِ ، فَكَانَ وَهْمًا مَا أُمارِسُ
كَمْ راعني قَرْنُ السَّيِّئَةِ.....سَةِ لِلْمَسَاجِدِ بِالْكَنَائِسِ

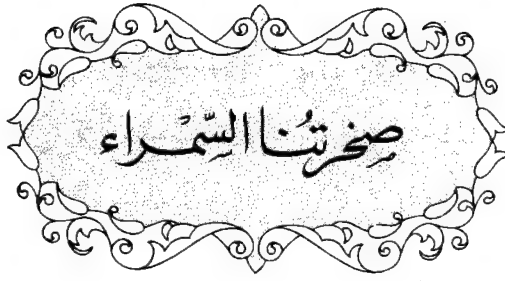
* * *

نادَى الْفَقِيهُ : أَلَيْسَ فِي شَرَفِ الشَّهَادَةِ مِنْ مُنَافِسٍ ؟
فَأَجَابَهُ رَجْعُ الصَّدَى : خَمَدَتْ بِرَهْطِكَ نَارُ فَارِسِ
مَا ثَمَّ بَيْنَ بَنِي أَبِي.....كَ لِشِرْعَةِ الْأَجْدَادِ دَارِسِ

* * *

لَيْتَ الَّذِي خَافَ الْعَوَا.....قَبَّ لَمْ يُطْعَ تِلْكَ الْهَوَاجِسِ
وَمَضَى لِغَايَتِهِ عَلَى سُنَنِ الْجَوَارِحِ وَالْأَطَابِسِ
رَاجَعْتُ تَارِيخَ الْحَيَا.....ةَ ، فَمَا قَرَأْتُ سِوَى الْفَهَارِسِ





مَالِي أَتَحَامَلُ مَكْفُوفَ الْخُطُواتِ
وَأُرُودُ بِنَظَرَاتِي آمَاداً
لَا تَقْطَعُهَا النَّظَرَاتِ

مَالِي أُتَطَلَّعُ حَوْلِي .. فِي صَمْتٍ وَغَبَاءِ ؟
وَأُحْدَقُ فِي قَطَرَاتِ دَمِي ..
صَبَاحاً وَمَسَاءً

أَنَا فِي هَذَا الْوَعْرِ الْمَخْضُوبِ بِهَا حَجَرٌ مُلْقَى ؟
حَجَرٌ لَا يَنْطِقُ .. لَا يَصْرُخُ .. لَا يَنْشُدُ حَقّاً ؟
مَاذَا أُدْرِكُ مِنْ أَمْرِي ؟ هَلْ أُدْرِكُ مِنْهُ شَيْئاً ؟
حَتَّى الذُّكْرَى ؟

ذَكَرَى مَاضِيَّ الْغَارِقِ فِي
مَأْسَاةٍ مَصِيرِي سِرّاً
مَالِي لَا أَدْعُو اللَّيْلَ ؟

رَفِيقَ صَبَاحِي

وَحَدَنَ شَبَابِي ؟
أَتُورَاهُ جَرِيحاً مِثْلِي ..

مُلقى .. يَلْتَرُمُ الصَّمْتَ حزيناً لِمُصَابِي ؟
والعجزُ يَصُدُّ خُطَاهُ
عن خَوْضِ التِّيهِ المترامي

* * *

يا لَيْلُ ! كلانا في قَيْدٍ
من واقِعِهِ الجَبَّارِ
عَبَثاً نَرْتَادُ طَرِيقَ الصَّمْتِ
وَنَسْتَجِلِي الأَلْفَازِ
أَنخَوْضُ البَحْرَ بغيرِ شِرَاعٍ ؟
أو نَقْطَعُ هَذَا التِّيَّهَ بلا أَقْدَامٍ ؟
كَلَّا يا لَيْلُ !
« وكَلَّا » جَرَحَ آخر
جَرَحَ أَكْبَرُ من كُلِّ جَرَّاحٍ وجَرَّاحِي

* * *

إِزْحَفْ يا لَيْلُ إِلَيَّ !
فأنا أَزْحَفُ يا لَيْلُ إِلَيْكَ !
والموعِدُ صَخَرَتْنَا السَّمَرَاءُ
حيثُ المَاضِي
أَلْقَى بَعْصَاهُ ونَاءَ

سَنَكُونُ هُنَاكَ حَيْثُ الذِّكْرَى لَمْ تَبْرَحْ

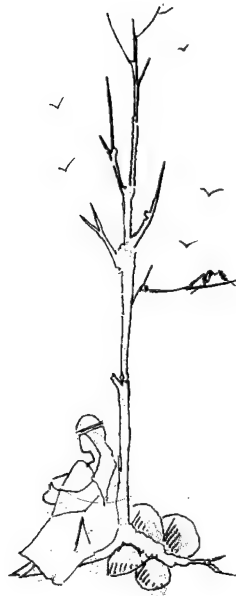
ثُمَّ بَصِيصٌ ضِيَاءٌ

وَكُلُّ بَعِيدٍ يَدْنُو ..

مَا ظَلَّ الْفَجْرُ يُطِيفُ بِصَخْرَتِنَا السَّمَرَاءِ

وَجَرَّاحِي وَجَرَّاحُكَ يَا لَيْلُ

سَتَغْرِسُ فِيهَا أَلْفَ لَوَاءِ



النارِخ .. بلغة الأساطير

(١)

قَبْرٌ .. وَقُبُورٌ ..
قَبْرٌ يَتَحَرَّكُ .. يَتَكَلَّمُ ..
ويقولُ : أنا ..
مصنَعُ دِيدانٍ .. لَا تُحْصَى .. عُلْيَا
قَبْرٌ يَتَأَلَّمُ .. أَحْيَانًا !
أَلَمْ الْأَحْيَاءِ .. الدُّنْيَا !
فِيهِ الْإِحْسَاسُ .
بَغِيرِ شُعُورٍ .
* * *

(٢)

وَقُبُورٌ .. سَاكِئَةٌ .. صَامِتَةٌ
فِي ظِلْمَتِهَا .. مَنَسِيَّةٌ ..
لَمْ يَسْقُطْ فِي عِيدٍ ،
مِنْ أَعْيَادِ الطُّوفَانِ ، عَلَيْهَا
خِيطٌ مِنْ نُورٍ ..

من نور الذِّكْرِ

نثراً .. أو شعراً

هي ماضي مُخْضَلّ

بِدَمِ الإيمان .. المُنْهَلّ

على جَنَبَاتِ البركانِ الخَامِدِ

لم تَلَقْ حَوَالِيهِ الدِّيدَانُ

مجال بقاء ..

ماضي ناضل فيه الجرح ، طويلاً

كى يبقى جرحاً .. لا يُشْفَى ..

لا يُنسى .. لا يَهْدأ .. أبداً

ماضي .. مطوًى . مجهول

مذاً أصبح تاريخاً .. تَجْهَلُهُ الدِّيدَانُ !!

يَنْـبُضُ بِالْآلامِ

ويسبَحُ في أَلْغازِ الإلهامِ

ويَطْفَحُ بِالْآمالِ .. وبالأحلامِ

ويغرقُ في صَمْتِ الإبهامِ ..

وفي الأَشْواقِ .. الكُبْرَى

الثائرة .. النَّارِيَّة

ماضي خالـد ..

في صُورِ دَامِيَّة

لم يَخْفِضْ فِيهَا الْكِبْرُ الْعِمْلَاقَ
 جِيناً لِلطُّوفَانِ
 لم يَخْلَعْ أَثْوَابَ حَدَادِ الدَّارِ
 لِيلْعَبَ بِالْقِيْثَارِ
 ويرْقُصَ فَوْقَ الْمَسْرَجِ ، لِلجَبْرُوتِ
 عَلَى أَحْجَارِ السَّدِّ ..
 فِي أَعْيَادٍ .. قَتَلْتُ أَعْيَادَ الْبِرْكَانِ .. الْمَطْمُورِ
 تِلْكَ الصُّوَرُ الْوَضَاءَةُ ..
 الصُّوَرُ .. الْآيَاتُ .. التَّارِيخُ ..
 أَلَى أَنْ يَطْمِسَهَا . الْمَارِدِ
 لَمَّا أَعْجَزَتِ الطُّوفَانِ
 فَارْتِغَاعَ بِهَا ..
 بَيِّنَاتِ الْأَطْرِ الْمُنْحَوِّتَةِ
 مِنْ صَخِرٍ .. صُلْبٍ ..
 مَقَالِغِهِ جَنَبَاتِ الْآلِ ..
 وَجِرَاءَ ، وَثَبِيرٍ .. وَأُحْدِ .
 وَارْتِغَاعَ بِأَنَّ لَهَا
 فِي كُلِّ يُبْسِوَتِ الْحَيِّ ،
 ظِلَالاً .. صُوراً .. أُخْرَى ،
 أَكْثَرَ مِمَّا قَدَّرَ .

تَحْفَظُهَا الْجُدْرَانُ السُّود .. الْبُكْم .
شَارَاتِ حِدَاد .. تَنْشُرُهَا .
فِي أَعْيَادِ الطُّوفَان
لئلا يَنْسَى الْأَطْفَال
قُبُورَ الْمَوْتَى ،
وَجَرَاحِ السَّدِّ .. الْأَسْطُورَةِ ..
الْمُسْتَشْهِدِ فِي يَوْمِ الطُّوفَان ..

* * *

(٣)

الْقَبْرِ .. الطِّفْلُ .. الْمُتَرَعِّع
فِي ظِلِّ الْمَارِد !
الْقَبْرِ الْمَصْنَع !
يَقْدِفُ بِالذِّبْدَان
أَلُوفاً .. لَا تُحْصَى
يَقْدِفُ .. يُنْتِجُ .. لَا يَخْشَى الْمَوْتِ
أَمَّا الْأَحْيَاءُ .. فَلَا أَقْدَامَ لَهُمْ
إِلَّا أَحْدَاقَ عَيُون
كَانَتْ تُبْصِرُ ..
أَعْمَاهَا .. الدَّمْع .
وَأَزْدَحِمَ الْحَيِّ .. وَمَاج ..

بِشْيءٍ .. لَا يُحْصَرُ ..
شَيْءٍ .. كَعُثَاءِ السَّيْلِ .

* * *

(٤)

وبدا للماردِ رَأْيِي
في الصُّورِ .. الشَّاراتِ .
شاراتِ جِدَادِ الْحَيِّ .. الْحَيِّ ..
عَدُوِّ الْأَحْيَاءِ
صديقِ الْأَمْوَاتِ .. الشُّهَدَاءِ .. الْأَوْغَادِ .
فدعا أطفالَ القبرِ .. المصْنَعِ !
في ساحَتِهِ الْكُبْرَى .
عندَ الْمَنَبَعِ !
وانتصبَ .. خطيباً .. قَائِدَ حَرْبِ
صَالٍ .. وَجَالٍ .. فَاسْمَعِ .
ضدَّ الشَّاراتِ السُّودِ .
وَالصُّوَرِ الْمُنْحَوِّتَةِ مِنْ صَخَرِ
جِبَالِ الصَّبْرِ .
ضدَّ الْأُسْطُورَةِ ..
ضدَّ جراحِ السِّدِّ
ضدَّ قُبُورِ سَاكِنَةٍ .. فِي ظُلُمَتِهَا مَنَسِيَّةٍ

حول البركانِ الخامد

* * *

(٥)

وانطلقت أولُ ذكرى
أحجاراً .. وتراباً
وسيوفاً خشيةً ..
وخيولاً .. من لعبِ الأطفال
ولغَو صغارٍ .. وسبابا
مرحى .. يا أولُ ذكرى ..
من قبرٍ حيٍّ .. يتحركُ .. يتكلم .
ويقولُ : أنا ..
لقبورٍ ساكنة .. صامتة .
لم يسقطْ من قبلُ عليها
خيوطٌ من نور ..
من نورِ الذكرى
نثراً .. أو شعراً

* * *

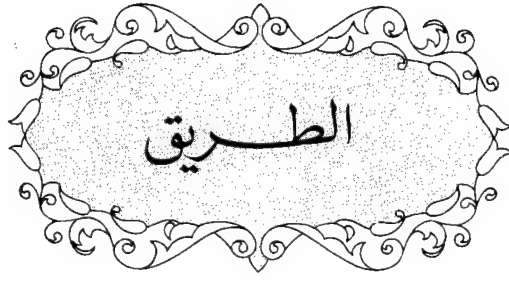
(٦)

وابتسم الجرح ..
وظلَّ يناضلُ .. في صمت

أياماً .. أجيالاً أخرى ..
كى يصنع عقلاً .
برماد البركان .. البارد .
يستنبط فيه أقداما ..
بدل الأحداق
وكي يبقى جرحا
جرحاً .. لا يُشفى .
لا يُنسى ..
لا يهدأ .. أبدا ..
جرحاً .. يخشاه المارد والطوفان .
وتجهله .. الدّيدان .. الصّبيان ..

★ ★ ★

١٩٥٩/١٢/٢٥ م



أُتَقَوْلُ : قد طَالَ الطَّرِيقُ ؟

نَعَمْ : لقد طَالَ الطَّرِيقُ

وأَيُّ شَيْءٍ لم يَطُـ

في رحلةٍ بدأتُ ، ولم تَجِدِ الخِتَامَ ؟

الوَعْرُ .. والوَعْثَاءُ .. والظُّلُمَاءُ

والأَمَلُ البَعِيدُ

والذِّكْرِيَّاتُ مَضَى بها

عَبَّرَ الفَضَاءَ إلى الظَّلامِ

مَدَى سَحِيقَ

والأَيْنُ .. والعَثْرَاتُ

والزَّمَنُ العَنِيدُ

نَعَمْ .. وسُخْرِيَةُ النُّجُومِ بنا

بأَحْلَامِ العَبِيدِ

تَخُوضُ مَعْرَكَةَ الظُّلَامِ

إلى سَنَى الفَجْرِ الجَدِيدِ

قُلْ يا صَدِيقُ

أَلَا تَرَى فِي حُلْمِكَ الْفَجَرَ الْجَدِيدَ ؟
أَفَلَا تُنَاضِلُ يَا شَرِيدُ
لَكِي تَرَاهُ ؟

أَفَلَسْتَ تَزْرَعُ فِي خِيَالِكَ
عَنْ هَوَاهُ .. وَعَنْ رُؤَاهُ
وَفِي رُبَاهُ أَلْفَ عِيدٍ ؟
وَلَا تَقْلُ طَالَ الطَّرِيقَ
فَلَنْ يَقْصُرَهُ الْكَلَامُ
وَاحْمِلْ عَلَى قَدَمَيْكَ
وَاقْتَحِمِ الْهَجِيرَ .. وَلَيْسَ فِيهِ مَا يُجِيرُ
سِوَى الْعَذَابِ

خِلَالَ مَعْرَكَةِ السَّرَّابِ . وَقُلْ مَعِيَ :
طُلْ يَا عَذَابُ !

وَأَيُّ شَيْءٍ لَمْ يَطُـلْ
فِي رَحْلَةِ الْأَمَالِ .. وَالْأَحْلَامِ
مِنْذَ حُدَا الشَّبَابِ
هُيَامُهُ بِرُؤَى الشَّبَابِ ؟
مَا لِلرَّفِيقِ يَتَنَّنَ .. ؟
يَزْفِرُ كَالْغَرِيقِ ؟
وَيَمِيلُ عَنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ ... ؟

أَتَمُوتُ قِصَّتِي هُنَا
عِنْدَ الْمَضِيقِ ؟
أَتَمُوتُ أَيَّامَ الْكِفَاحِ ؟
وَتَضِيعُ أَصْدَاءُ الْجِرَاحِ ؟
وَالْأَفُقُ بَشَرٌ بِالصَّبَاحِ ؟
أَتُطِيعُ رَايَاتِ الْجِهَادِ ؟
وَيَخْتَفِي حُلُمُ الْمَعَادِ ؟
الوَاحَةُ الْخَضْرَاءُ ، هَا هِيَ وَالصَّبَاحُ
يُضِيءُ مِثْلَ دَمِ الشَّهِيدِ
وَالْجَنَّةُ الْمُلَقَّاةُ فِي دَمِهَا
عَلَى ذَاتِ الطَّرِيقِ
وَإِذَنْ ، فَقَطْ ، سَقَطَ الرَّفِيقُ
وَسَمِعْتُ وَلَوَلَةَ الرِّيَّاحِ
تَزِفُ قَافِلَةَ الْهَاجِرِ
وَرَأَيْتُ قَافِلَةَ الْهَاجِرِ
تَخُوضُ مَعْرَكَةَ السَّرَّابِ
فَعَرَفْتُ أَنَّ الْوَاحَةَ الْخَضْرَاءَ
مِنْ وَحْيِ الْعَذَابِ
وَوَجَدْتُنِي أُرْمِي الطَّرِيقَ
بِنَظَرِي الْبَلَهَاءِ

ماتَ على جوانبِها سؤال
أينَ الرِّفيق ؟
وسمعتُ قهقهةَ الطَّريق
تَشقُّ أجوازَ الفضاء
وتهيبُ بي :

ها أنتَ وحدك في الطَّريق
وعليكَ وحدك أن تسير
إلى النهايةِ مُغمَضَ العينينِ
تَهْتِفُ باللَّواءِ والشُّعارِ
وبدا السُّكونُ

كأنَّما هو قصَّةُ أخرى
تَطُولُ بلا ختام
وكأنَّما هو جُنةٌ .. سَقَطَتْ
على ذاتِ الطَّريقِ
سأسيرُ وحدي بالطَّريق ..
وحدي ؟

نَعَمْ وحدي .. فَهَمْتُ ..
وكان حتمًا أن أسير
وأن أُجَدِّفَ للفرَاغِ
لِهَوَاةِ العُمُرِ الممزَّق .. للمَصِيرِ

وهناك .. حيث الواحة الخضراء ..

والفجر العتيد ..

سأعيشُ ملءَ رؤاي ..

آلاف السنين !!

بين الملايين ، الذين مضوا

على ذات الطريق

مُخلِّفين وراءهم

جُثث الضحايا .. الأصدقاء

تدُف فوقهم الرياح

الحالمين بكل ما تشدوه

من حرية .. وسعادة

كان السلامُ لواءها .. ونداءها

وطريقها .. هذا الطويل

الأخرس .. القاسي

الذي ابتلع الرجال ..

وفرَّق الأحلام .. والآمال

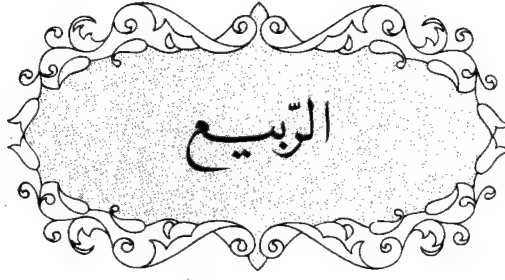
منطوياً على السرّ الرهيب ..

سرّ الغد المنشود .. والأمل الكبير

حُلُمي، وحُلُم الأصدقاء .. الأصدقاء ..

الذاهبين على الطريق ..

لا يعرفون سِواه، منذُ تحرَّكَتْ
أهدأُ بهم بِسَنَى الحياة .
في مَعزِلِ عنها .. فقد كانت هناك
على الدَّوام .. تُتَابِعُ السَّعداءَ
واللَّاهِينَ عن مأساة
مَنْ وُلِدُوا .. وَمَنْ عاشُوا
وَمَنْ سَقَطُوا على ظَهرِ الطريقِ
سأسيرُ ملءَ قِوَايَ
ملءَ اليأسِ .. من جَدوى التراجع .
والتوقُّفِ .. والسَّقوطِ ..
لا شيءَ إلا أن أسيرَ
وأن أشدَّ على اللِّسواءِ
يدي .. وأهتَفَ للشُّعارِ
★ ★ ★



تَهْدَ الرَّيِّعُ مِلءَ صَدْرِهِ
وَأَنْتِ الْجَرَّاحُ
فَلَفَّ بِالصَّمْتِ خَفَى سِرِّهِ
عَنْ مُقَلَّةِ الصَّبَّاحِ
مَنَاضِلًا بَرُوحَهُ عَنْ كِبَرِهِ
مُخَضَّبَ الْجَنَاحِ

* * *

الصَّبْرُ يَا رَيِّعُ !
شِيْمَةُ الْكَرِيمِ
وَالصَّمْتُ يَا رَيِّعُ !
شَارَةُ الْحَكِيمِ
وَأَنْتِ يَا رَيِّعُ !
بِالْأَسَى عَظِيمِ

* * *

أَلَا تَرَى النَّجُومَ

بُسْهَدَهَا تَرَعَاكَ ؟
وَالْبَدْرَ كَالْحَمْسِ
عَطْفًا عَلَى بَلْوَاكَ ؟
وَالشَّمْسَ فِي وُجُومِ
أَسَى لِمَا أَشْجَاكَ ؟

* * *

غَدًا تَلُوحُ الشَّمْسُ يَا رِيحَ
ثَرَّةِ الضِّيَاءِ
وَتَسْخَرُ الْحَقُولَ بِالصَّقِيْعِ
سَاقِطَ اللَّوَاءِ
وَيَسْتَعِيدُ أَفْقَكَ الْبَدِيعِ
أَلَقَ الْهِنَاءِ
وَيَتَلَاشَى الْحُلْمَ الْمُرِيعِ
فِي فَرَحَةِ اللَّقَاءِ

* * *

فَارْقُبْ حَفِيفَ الزَّهْرِ فِي الْغَيْطَانِ
إِنَّهُ اكْتِشَافُ
بِعْدِكَ الْوَاعِدِ
وَانْظُرْ رَفِيفَ النَّهْرِ فِي الْغُدْرَانِ

إِنَّهُ الْتِفَافٌ
يَبْدِنُكَ الصَّامِدَ
وَاسْمَعِ عَزِيفَ الطَّيْرِ فِي الْوُدَيَانِ
إِنَّهُ هُتَافٌ
لِمَجْدِكَ الصَّاعِدِ

* * *

عَرْشُكَ فِي الْقُلُوبِ
بِسَاطَةِ الْحَنَانِ
وَتَأْجُكُ الْحَبِيبِ
رَابِطَةُ الْوُجْدَانِ
وَأَنْتَ يَا رِبِيعَ
صَانِعُ الْعُرُوشِ
وَمُبْدِعُ التَّيْجَانِ
خَالِدَةُ السُّلْطَانِ
يَا خَالِدَ الْفَتُونِ
فِي الْفَنُونِ
مُذْ وَدَّعَ الزَّمَانَ
وَالْمَكَانَ
فَتْرَةَ السُّكُونِ
فَانْطَلَقَ الْبَيَانَ

وَعَبَّرَ الْكِيَانَ
بِقُدْرَةِ الْفَنَانِ

* * *

يَا مُلْهَبَ الْخِيَالِ
بِالْحَنِينِ لِلْكَمَالِ
وَفَاتِحَ الْمَجَالِ
لِلْقُلُوبِ ، كَيْ تَهَيِّمَ بِالْجَمَالِ
وَوَاهِبَ الظُّلَلِ
فِتْنَةَ الظُّلَلِ

* * *

يَا مُوقِظَ الْحَيَاةِ فِي الْحَقُولِ
مِنْ سُبَاتِهَا
وَمُطْلِقَ الشُّعُورِ فِي النُّفُوسِ
تَجْتَلِي ذَوَاتِهَا
وَبَاعِثَ الرُّؤْيِ تَرَفُّقَ
الْجَمَالِ فِي سِمَاتِهَا
إِلَيْكَ مِنْ وَدَادِنَا
رِسَالَةَ الْإِيمَانِ
تَفْضِضُ مِنْ أَكْبَادِنَا

بأطهر الألقان
فأنت في جهادنا
ذخيرة الأمان

* * *

لا يُخلفُ الربيعُ موعِدَ الإياب
ولا تُوارِي ضوءه المأمولَ غمرةُ السحاب
ولن تطولَ بالأمانِي وحشةُ الغياب





ثَمَنُ الْحُرِّيَّةِ

أنا حُرٌّ .. أنا حُرٌّ
أنا حُرٌّ حَقًّا ..
في بلدٍ حُرٍّ ، انتزعَ الحُرِّيَّةَ
بدمِ الشُّهداء ..
ونضالِ الأحياءِ الأنضاء ..
بقايا المعركةِ الكبرى ..
تحت الأعلام .. الخضراء ..
وتحت الأعلام .. الحمراء ..
وتحت مزيجِ حُلُوٍ من ألوانٍ أُخرى
تَبَقَى .. أو تَتَعَيَّر .. وَفَقَ عَزِيمَةُ
قُوَادِي الأبطالِ .. الثُّوار .. الأُمَناء ..
هي أعلامٌ .. آمَنْتُ بها إيماني .. بِوُجُودي
وهتفتُ لها بِدَمِي .. وبأَعْصَابِي ..
وبِفُورَةِ أشواقي .. وبإيماني ..
وبكُلِّ كِيَانِي ...
ووقفتُ أَدافعُ عنها بشِقَائِي في المَيدانِ ..

وبسْهْدِي فِي الْخُنْدَقِ ..
تَحْتَ النَّـ____يرَانِ ..
بَزَهْرَةِ عُمْرِي .. بِأَمَانِيَّ شَبَابِي ..
وَبِمَنْ مَاتُوا .. مِنْ أَهْلِي .. وَصِيْحَائِي ..
قَتَلَى .. حَوْلِي .. وَأَمَامِي ..
وَبِمَنْ مَاتُوا مِنْهُمْ .. تَحْتَ الْأَنْقَاضِ ..
وَفِي أَطْبَاقِ السَّجْنِ .. عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ
أَعْلَامُ آمَنْتُ بِهَا ..
وَهْتَفْتُ أَدَافِعُ عَنْهَا ..
فِي مَطْلَعِ أَيَّامِي الْأُولَى ..
قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ الْكُبْرَى ..
ضِدَّ الطُّغْيَانِ ..
بِعِثَارِي فِي تَيَّارِ الظُّلْمَةِ .. وَالْإِرْهَابِ ..
بِقَلَمِي .. بِلِسَانِي ..
بَسَلَاحِ الْكَلِمَةِ .. بِالْمَبْدَأِ .. بِالْأَحْرَارِ
وَحَتَّى شَقَّ الْجُهْدُ طَرِيقَ الْفَجْرِ ..
وَحَتَّى شَقَّ الْجُهْدُ طَرِيقَ النَّصْرِ ..
وَحَتَّى عُذْتُ مِنَ الْمِيدَانِ فَخُوراً بِجِرَاحِي ..
وَبِأَنْسِي حُرٌّ
حُرٌّ حَقّاً ... حَقّاً ..
حَتَّى مِنْ مَاضِي الضَّائِعِ .. أَحْلَاماً وَشَبَاباً ..

حَتَّى مِنْ بَيْتِي ..
فَقَدْ اسْتُشْهِدَ .. يَوْمَ اسْتُشْهِدَ أَهْلِي ..
خَرَّ .. وَخَرُّوا تَحْتَ الْأَنْقَاضِ ..
وَصَارُوا مِنْهُــا
وَكَذَاكَ قُبُورُ الشُّهَدَاءِ ..
ذِكْرِي .. خَالِدَةٌ .. أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ إِطَار ..
وَمَضِيَّتُ أَسَابِقُ أَحْلَامِي ..
وَأُعِيدُ نَشِيدَ الْمَيْدَانِ ..

* * *

وَمَضَتْ أَيَّامُ الْعِيدِ .. سِرَاعاً .. كَسَنِيَّ حَيَاتِي ..
وَتَحَرَّكَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ يَسْأَلُنِي ..
مَاذَا بَعْدُ .. ؟؟
وَسَمِعْتُ صَدَى صَوْتِي .. مَبْحُوحَا ..
يَلَهُتُ .. يَتَقَطُّعُ ..
أَنَا حُرٌّ .. أَنَا حُرٌّ حَقًّا ..
أَتَسَاءَبُ .. أَتَسَكَّعُ ..
أَمْشِي .. أَنْظُرُ ..
أَضْحَكُ .. أَبْصُقُ ..
حَيْثُ أَشَاءُ ..
وَأَنَامُ .. وَلَكِنْ .. أَيْنَ أَنَامُ .. ؟؟؟

لا مأوى .. غيرُ ظلالِ بيوتٍ لم تهْدَم ..

يومَ تهْدَم بيتي ..

لكنْ. مالي والبيت .. ؟؟

فها أنا حُرٌّ .. حتَّى منه ..

ومن أهلي ..

حُرٌّ .. حتَّى من عملي ..

من لقمة عَيْشي ..

إنْ عَزَّ .. وقد عَزَّ ..

طعامي ..

وإذا كلماتُ نشيدِ المِيدان ..

نشيدِ الحرِّية ..

تتحوَّل ألفاظاً أخرى .. مُبهمةً المعنى ..؟

مثلَ وجودي

وإذا الأعلامُ الخضراء ..

وإذا الأعلامُ الحمراء ..

تبدو في الأفقِ أمامي ..

خِرْقاً .. باليةً .. باهتة ..

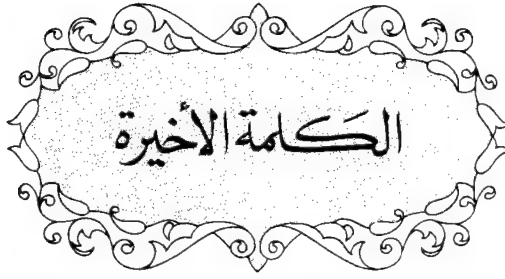
كنشيدِ ..

لا أدري .. لا أفهم ..

لا أشعر ..

كيف أنا حُرٌّ .. ؟؟

ما دمتُ بلا عمل .. وبلا مأوى ..
وبغيرِ طعام ... ؟؟
وَمَسْتُ بهذا داخلَ نفسي ..
ثم قذفتُ به .. كَبْصَاقِ المسلّول
فتأذى النَّاسُ لأنِّي
شوّهتُ جَمالَ الحرّية ..
بخيالي المتسكّع .. مثلي ..
ورأيتُ عيونَ النَّاس ..
تقولُ .. اسكت ..
وتشيرُ إلى جنديّ يتقدمُ مِنّا ..
جنديّ من حَرَسِ القانون ..
حرس الحرّية .. مَنْ خاضوها ..
بالسَّمْع .. وخاضوها بالطّاعة ..
بعدَ المعركةِ الكبرى ..
معركةِ الخندق .. والميدان ..
معركةِ الحرّية ..
معركةِ شبّابي .. وحياتي ..
معركةِ المأوى واللّقمة ..
والخندقِ والظُّلمة ..
ونشيدُ المَيدان ..
معركةُ الألوان



كانت آمالي فيك
قيوداً تُثقلني .. وتَعوقُ خُطاي
وتربطني بظلام ، لا أعرف فيه مساري
كانت مجهولاً أبدياً .. يحفل بالألغاز
وتَحلّي عني إدراكي .. لحقيقة شيء منها
فمضيتُ أسير .. أسيرُ إلى غيرِ نهاية
وأسأَلُ نفسي . والحيرة تغمرها
وتُغطّي بالعثراتِ طريقي :
أهنالك غاية ؟

وبدا بين الظلمات .. خيالكِ
يُخفي ويلوح .. كشارة ضوءٍ تُخفيها
أمواج البحر ، يُحرّكها التيار
لا شيء .. لا شيء سوى . الحيرة والسير
وراء المجهول الأبدي ..

لماذا كان الصمت

نصيب المتطلع للكلمة .. للتفسير !؟

قد طالت مرحلة الإيهام

وكرهت الصمت ..

واشتقت إلى كسر قيودي

لا أحلم بالحرية .. فهي رداء براق

لا يصلح للتعساء

لكنني أنشد أن القبي أعبائي

أعباء شعوري بالعربية، في دنيا تقذف كالبركان

حُمماً تتلظى وتنفور ..

وتطوي في غير مبالاة .. أشواقاً عاش بها

ولها قلب الإنسان

يا سيدتي !

قد كان فضولاً مني

أن أحمل قلبك بين يدي

ليسكب في أذنك حكايتَه

في صور ينقصها الزخرف ..

لا يشفع فيها غير هواه

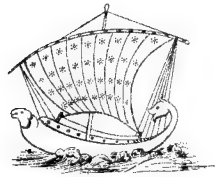
بفاتنة لا قلب لها

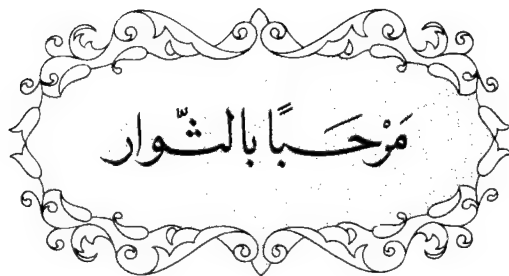
كلا يا سيدي .. لن تجدني بالباب ..

أعيد الطرقة .

لأشكو منك إليك .

قد ودَّعْتُكَ .. وَمَضَيْتُ
على دربي المعهود
أحدثُ دَوَّحَ الغاب
وأعاتبُ أحلامي
وككلِّ غريبٍ في دنياه
أطالعُ مأساةَ حياتي
بثباتِ اليأسِ
من جدوى أيِّ نضالٍ
قد كانت لحظةً وهَمٌ مرَّتْ بحياتي
وَمَرَّرْتُ بها
وَحَبَّتْ ، وانطفأت ، وتلاشت
لم تترك .. أثراً .. حتَّى أثراً للذكرى !!

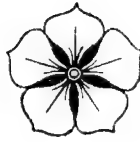




الماضي .. صوتٌ يَهْتَفُ بي
قَدَّمَ قُرْبًا — أَنْكَ
والحاضرُ سَجَنٌ يَصْرُخُ في وجهي
انْبِذْ سَجَّانَكَ
والمستقبلُ نورٌ مَطْمُور
في أفقٍ مَسْجُور
يَخْفَى وَيُلُوح
كما تَطْفُو وتُغْوِس
رُؤَى المسحور
وأنا في القيدِ أسير
جريحاً خَلَفَ السُّور
الظُّلْمَةُ حَوْلِي مُطَبِّقَةٌ
والبيتُ رَتِيب
الجُرْحُ بها يَدْعُو
والجُرْحُ يُجِيب
لَكُنِّي أَسْمَعُ

ماذا أسمع ؟
 إِنَّ الصَّوْتَ قَرِيب
 هَمَّهُمَةُ رَجَال
 وَصَدَى طَرَقَاتِ مَعَاوِل
 وَخَطَا أَقْدَامِ عَارِيَةِ
 تَزَحْفُ وَتَنَاضِل
 هَا هِيَ تَدْنُو
 تَعْلُو
 عَجَبًا !
 إِنَّ فَنَاءَ السَّجْنِ يُضْنِينِي
 بَلْـُـونِ أَحْمَر
 تَنْسَابُ .. خِيوطٌ مِنْهُ
 إِلَى قَيْـِـدِي
 أَتُرَاهُ الْبَحْرُ !
 وَلَكِنْ .. كَيْفَ ؟
 فَضْوَةُ الْفَجْرِ بَعِيد
 أَفْذَاكَ شُعَاعُ جِرَاحِي
 يَعْكِسُ لَوْنَ دَمِي ؟
 كـلا
 فَهَنَّاكَ .. مَشَاعِل

وهناك طَرُق متواصل
الأبواب تَطِيح
على جُثث الحَرَّاس
والسَّجَّان الأكبر
لفظَ الرُّوحِ بِضَرِيَّةِ فاس
وتوالى الطَّرُق على بابي
فتَداعى الباب
وأشرق نورُ الشَّمس
يُرْحَبُ بالثُّوَار ..





اصْفِيْ يَ رِيَّاحُ ! دُونِيْ بِابِي واقدِفِيْ فِي ثُقُوبِهِ بِالْثَّرَابِ
وَأَسِرْ كَالنَّارِ فِي هَشِيمِ حُقُولِي تَتَعَالَى بَيْنَ الثَّرَى وَالسَّحَابِ
وَارْقُصِيْ حَوْلَ مَوْقَدِيْ رَقْصَةَ الرُّغْبِ ، وَطُوفِيْ بِالْهَوْلِ وَالْإِرْهَابِ
وَاطْمَسِي الدَّرَبَ حَوْلَ كُوخِيْ ، لَا يَخُ..... لُصْ إِلَيْهِ الضِّيَاءُ غَبَرَ الضُّبَابِ
وَأَطِيفِي بِالْجُوعِ ، بِالْعُرْيِ ، بِالْمَو..... تِ ، بِدَامِي الْجِرَاحِ ، مِلْءَ إِهَابِي
وَاصْنَعِي لِي مِنَ الْمَوَاجِعِ وَالْجَر..... مَانَ سِجْنًا ، وَأَمْعِنِي فِي عَذَابِي
لَنْ تَرَيْنِي مُسْتَسْلِمًا لِمَصِيرِي فِي جِهَادٍ أُبْلِيَتْ فِيهِ شِبَابِي
إِنَّهُ مَوْقِفِي ، نِضَالًا وَإِصْرًا..... رَأً ، وَهُزْأً بِصَوْلَةِ الْأَرْبَابِ



مَاذَا أَقُولُ ؟

مَاذَا أَقُولُ ؟ وَكَمْ أَقُولُ ؟ وَالْقَوْلُ مِنْ مِثْلِي فَضُولُ
 الْمَالِ سَحَّارُ النَّفْسِ.....سِ ، وَفِي يَدِي مِنْهُ قَلِيلُ
 وَالنَّاسُ ، لِلدِّينَارِ ، أَتَبَاعٌ ، وَأَتَبَاعِي فُلُولُ
 وَالْحَقُّ - وَنِجَ الْحَقِّ - لِلرَّاجِيهِ عَاقِبَةُ تَهُولُ
 وَالرَّأْيُ فِي الْإِصْلَاحِ صَغْبٌ ، وَالْفَسَادُ هُوَ الذَّلُولُ
 وَالنَّفْسُ لِلشَّهَوَاتِ أَطْوَعٌ ، وَالتَّقَى جُهْدٌ ثَقِيلُ
 أَنَا شَمْعَةٌ ، سَخِرَ الظَّلَامُ مِنْهَا ، وَخَفَّ بِهَا الذُّبُولُ
 مَاذَا يُطِيقُ وَمَا يُنِيرُ ؟ وَقَدْ وَهَى ، ضَوْءُ ضَمِيلِ
 يَا نَاطِرِينَ إِلَى الْوَرَاءِ ! أَمَامَكُمْ ذُلٌّ طَوِيلُ
 مَاؤَاكُمُو ، عَصَفَ الْهَوَا.....نُ بِهِ ، وَأَغْرَقَهُ الدَّخِيلُ



السلام

الملحمة الكبرى

« الملحمة الكبرى هي المناظرة الشعرية بين الشاعرين الراحلين محمد حسن عواد وحمزة شحاته .

اتَّخَذَ كُلُّ مِنَ الرَّجَلَيْنِ رمزاً لنفسه . فكان عوادُ هو « أبولون » ^(١) ، وكان شحاته هو « الليل » . وتطور الصِّراع بين الشاعرين في صورة صراع بين العناصر (التراب ، والهواء ، والماء ، والنار) .

وكانت جريدة « صوت الحجاز » سنتي ١٣٥٥ و ١٣٥٦ هجرية مسرح هذا الصِّراع الشعري الذي كان كَسْباً للأدب والشعر ، ثم استحال - بكلِّ أسف - إلى هجاء مُقْدِع بين الشاعرين ، لم تنشره « صوت الحجاز » ، وإنما نُشِرَ بعد نَسْخِهِ باليد .

وحين تجاوز الأمرُ حدَّهُ ، خَشِيَ الشَّاعران مَعَبَّةَ الأمر ، فاقصرا .

وقد اخترنا أن نفرِّد لِمَا نظمهُ الشَّاعر في هذه المناظرة باباً خاصاً في هذا الديوان تحت عنوان « الملحمة الكبرى » وربَّناها كما بدأت ، على قَدَرٍ ما تسمح به الذاكرة ، ثم ألحَقْنَا بها ما ظَنَّنَا أَنَّهُ يَتَّصِلُ بها لسببٍ من الأسباب .»

(١) أبولون : اسم إغريقي ، أُطْلِقَ على ما زعموا على إله الموسيقى ، والشعر ، والطب ، والجمال الرجولي . وقد ورد ذكره في الأساطير « الميثولوجيا » اليونانية ، والرومانية كثيراً . ولمحمد حسن عواد كتاب بعنوان « رُؤى أبولون » وكان - على ما يبدو - يعني بأبولون نفسه .



يزعمون أنَّ للشَّعْرِ والشَّمْسِ إلَهاً اسمه (أبولون) ، نحنُ أوَّلُ الكافرين به ، وقد تخيلناه كائناً كالأحياء الهزيلة ، وسخاً من هذه الأوساخ الآدمية التي هي زورٌ على الإنسانية ، كما كان أبولون وزراً على الألوهية ، فركبناه بالسُّخر والهجاء ، وأعملنا فيه معولَ الهدم والتَّكْييل ، زُلْفَى إلى الله الواحد ، الأحَد ، الذي لا نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاه ، مَخْلَصِينَ له الدِّين .

هاكِهَا من سحائبي وَطَفَاءِ صَيِّباً صَيَّرَ السَّبِيلَ غُثَاءً ^(١)
وتطامَــــنْ لها ، وتيرةَ لَيْثٍ زَارُهُ صَيَّرَ الرُّعُودَ زُقَاءً ^(٢)
يا أبولون ! يا إلهَ المجانيبِ.....ن ، على غابرِ اللَّيالي ، عزاء
لستُ إلاَّ خيالَ فكرٍ مريضٍ عُلِقَتْهُ أَخْنَى القلوبِ ، غَبَاءً
وتشَهَّتْ به على النَّفسِ ما أغــــ.....ننى نفوساً ، وانصَبَّ فيها هُذَاءُ ^(٣)
هذه نكبةٌ ، ذَرْتِكَ رماداً بعد ما كنتَ كائناً يَتَرَاءى
ولئن عِشْتَ في اعتقادِ الشُّعَارِي.....رِ إلَهاً ، فقد غَدَوْتَ هَبَاءً ^(٤)
أيُّهَا الخاملُ الذي ملأَ الجَوَّ.....مُوءاءَ طَوَّراً ، وطَــــوَّراً عَوَاءً ^(٥)

(١) الصَّيْبُ : المطر الجَوْد . الغُثَاءُ : ما يحمله السَّبِيلُ من رغبة وأشياء أخرى . الوطفاء : السحابة الممطرة .

(٢) الرُّقَاءُ : صياح الديك .

(٣) الهُذَاءُ : الهذر بكلام غير مفهوم .

(٤) الشعاري : جمع شعور وهو غير النابه من الشعراء ، وهو فوق المشاعر ودون الشويعر .

(٥) المواء : صوت القطاة . والعواء : صوت الكلب والذئب وابن آوى .

قَدْ لَعَمْرِي أَفْنَيْتَ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ ، سَيْنِيّاً بِالْمَخْزِيَّاتِ .. رُوءَاءِ^(١)
 كَلَّمَا خِلْتَ لِلظُّهُورِ مَجَالاً زَادَكَ الْحَقُّ فِي الْعِيُونِ خَفَاءَ
 مَا مَجَالُ الْحَيَاةِ بِالْهَيْئِ السَّائِغِ ، أَنْ رَامَهُ الْحَقِيرُ ابْتِغَاءَ ؟

* * *

يَا أَبُولُونُ ! خَدَعْتَ أَنْتَ ، تَسْتَهْـوِي خَشَاشَ الْأَحْيَاءِ ، وَالْبُلْهَاءِ^(٢)
 هُمْ صَعَالِيكَ الْأَلَى عَبَدُوا زَوْ.....رَكَ ، فَاهْتَأُّ بِهِمْ لِعُودِ لِحَاءِ^(٣)
 أَنْتَ عَوَّأُوهُمْ ، وَهُمْ تَابَحُوا اللَّيْلَ.....لِ ، حَوَالِيكَ ، رَدَّدُوا الْأَصْدَاءَ^(٤)

* * *

يَا أَبُولُونُ ! لَسْتَ لِلْفَاضِلِ الْحُرِّ.....كِفَاءً ، وَلَسْتَ إِلَّا لَعَاءَ^(٥)
 أَنْتَ ضَعْفٌ ، وَحِطَّةٌ ، وَاسْتِفَالٌ إِسْتَحَالَتْ بَدَاءَةٌ وَهُرَاءُ^(٦)
 أَيُّ فَنٍّ ؟ هَذَا الَّذِي تَدْعِيهِ كَلَّمَا ازْدَدْتَ لَوْنَةً وَالتَّوَاءَ؟^(٧)
 أَهْوُ فَنُّ الْحَقْدِ الَّذِي شَبَّ فِي صَدِّ.....رِكَ ، نَاراً ، وَكَانَ دَاءٌ عِيَاءَ ؟
 أَمْ هُوَ الذُّلُّ وَالضَّرَاعَةُ فِي عَيْنِ.....كَ ، قَدْ أَخْفَا الْجَوَى وَالشَّقَاءَ ؟
 وَاهِمٌ أَنْتَ ، يَا أَبُولُونُ ! لَا تَبْـلُغْ مَجْداً ، وَلَا تَنَالُ ثَرَاءَ

* * *

(١) الرواء : الرّبي من الشرب .

(٢) الخَشَاش : حشرات الأرض .

(٣) اللحاء : القشر .

(٤) العوّاء : مبالغة اسم الفاعل العاوي ، وهو الكلب النابح .

(٥) اللّغَاء : سَقَطَ المتاع ، أو ما لَا يُعْتَدُّ بِهِ .

(٦) الهراء : الكلام التافه الفاسد .

(٧) اللوثة : الحمق ، أو الحبسة في اللسان .

كَمْ تَحَدَّكَ فِي مَغَاوِرِ أَحْلَا.....مِكَ ضِدُّ ؟ فَمَا أَطَقْتَ اللَّقَاءَ ؟
 وَتَهَادَى إِلَيْكَ ، مَتَزِعاً مِنْ.....كَ أَزَاهِيرَ الرِّوَاءِ الْوِضَاءِ ؟
 فَتَخَاذَلْتَ دَوْنَهُ ، تَرَسَّلَ الْعَبْدُ.....رَةً ، حَرَى ، وَقَدْ فَقَدْتَ الرَّجَاءَ
 مُسْتَفِزّاً مِنْ عَابِدِكَ عَلَيْهِ يَا أَبُولَوْنُ ، رُزَّحاً أَنْضَاءَ ^(١)
 كَانَ هَذَا مَقَامَ سَعِيكَ ، يَا مُقْ.....عَدُ ، لَوْ أَنَّ فِي الْفَوَادِ ذَمَاءَ ^(٢)
 عَاجِزٌ أَنْتَ ، يَا أَبُولَوْنُ ! لَا تَحْ.....مِي ذِمَاراً ، وَلَا تُرَدُّ اعْتِدَاءَ ^(٣)

* * *

يَا أَبُولَوْنُ ! أَنْتَ تُحْتَشَى ، وَلَنْ تَلْ.....حَقَّ شَأَوِ الْفَحُولِ ، إِلَّا ادَّعَاءَ ^(٤)
 وَحَسُودَ ، قَدْ أَرَّثَ الْفَشْلُ الدَّ.....ئُمُ ، فِي غَوْرِ صَدْرِكَ ، الْبُرْحَاءَ ^(٥)
 وَنِيكَ ! هَلَّا جَرَى بِكَ الْحِطُّ مَجْرَ.....هُ ، وَمَرَّتْ بِكَ الْحَيَاةُ رُخَاءَ ؟
 هُزْأَةً عِشْتَ ، يَا أَبُولَوْنُ ، لِلنَّ.....سِ ، وَأُفْكُوَهَةً ، تُسَاقُ اَزْدِرَاءَ
 أَنْحُمُولَ ، وَحَاجَةً ، وَانْفِرَادَ ؟ تَبَّ عَيْشاً ! بَلْ تَبَّ هَذَا فِنَاءَ !! ^(٦)
 لَنْ يَنَالَ الْحَيَاةَ إِلَّا كَفَافاً مَنِ قُصَارَاهُ أَنْ يَعِيشَ رِبَاءَ

* * *

مُدَّعٍ أَنْتَ ، يَا أَبُولَوْنُ لَا تَغْ.....لِبُ ضِدِّاً ، وَلَا تُجِيبُ نِدَاءَ !
 أَتَحَدَّكَ هَازِئاً ، لَا أَبَالِي.....كَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَبْلُ طَحَاءَ ^(٧)

-
- (١) الرِّزْحُ : جمع رازح وهو المزيل الملتصق بالأرض من الضعف . الأنضاء : المهازيل .
 (٢) الذَّمَاءُ : بقية الروح في المذبوح .
 (٣) الذِمَارُ : ما ينبغي الدفاع عنه كالوطن والشرف .
 (٤) الخَنْشَى : المخلوق المكوّن من أمشاج الذكر وأمشاج الأنثى . - ويريد الشاعر بها هنا التحقير - .
 (٥) الْبُرْحَاءُ : الشدة كشدة الحمى .
 (٦) تَبَّ : خسر وهلك . الْفِنَاءُ : ساحة الدار أو ما أحاط بها .
 (٧) الطَّحَاءُ : المنبسط من الأرض .

لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا تَحَيَّفَهُمْ بَاسٌ..... غ ، تَرَاخَوْا عَنْهُ ، وَشَدُّوا بِطَاءً !
 أَنَا مَن أَرَعَمَ الْخُصُومَ ، وَأَسْقَا..... هُمْ كَوْوَسًا ، مَن الْهَوَانِ ، مِلَاءً !
 غَيْرَ أَنِّي أَرَى خُصُومَةَ أَمْثَالِكَ..... لَكَ ، لِلثُّبُلِ وَالسُّمُورِ اجْتَوَاءً ^(١)
 أَتُرَانِي إِذَا تَحَدَّثْتُ مَطْعُورًا..... نَا ، يُمَرِّضُ فِيهِ الْحَيَا وَالْإِبَاءَ ؟
 انْطَلِقْ سَالِمًا ، فَأَنْتَ هَزِيلٌ مُسْتَخْسِئٌ ، لَا تُمَسِّكُ الْجِرْبَاءَ !
 لَسْتُ نِدِّي ، إِذَا الْمَفَاخِرُ عُذَّتْ ، وَإِذَا مَجْدُ الْكَرَامِ الْوَفَاءَ !
 أَنَا أَغْلَى دِمَاءً ، وَأَضْحَى جِينًا ، إِنْ دَجَّتْ ظُلْمَةٌ ، وَأَعْلَى بِنَاءً !
 أَنَا مَن أَسْهَرَ الْعَيُونَ ، وَمَن رَدَّدَ..... قُلُوبَ الْحَسَادِ عَنْهُ ، ظِمَاءً !
 لَسْتُ بِالْكَاذِبِ الْمُسِفِّ ، وَمَن أَصْدَقُ مِنِّي ، مَوَدَّةً ، وَعِيدًا ؟
 أَنَا مَن يَفْتَدِي الْمَوَدَّاتِ بِالرُّوحِ..... ج ، وَمَن يَسْحَقُ الْعَدُوَّ مَضَاءً !
 أَنَا هَوَلٌ !! مَن الْحَقِيقَةِ ، يَرْمِي..... كَ ، بِنَارٍ ، تُزِيلُ عَنْكَ الطُّلَاءَ !
 وَالْعَدَاوَاتُ ، يَا أَبُولَوْنُ ، لَا تَرْ..... حَمُ ، إِنْ مَسَّ جَمْرُهَا الضَّعْفَاءَ

* * *

جَا حَدُّ أَنْتَ ، لَسْتُ تَغْفُلُ عَنِّي لَكْرِيْمٍ وَلَا تَعُدُّ جَزَاءً !
 كَمْ أَظَلَّتْكَ ، مَن سَحَابٍ جَدُّوا..... يَ ، هَوَامٌ ، أَصَبَتْ فِيهَا الشَّقَاءَ؟ ^(٢)
 فَتَنَاسَيْتَهَا ، صَنِيعَكَ فِي كُلِّ جَمِيلٍ ، يُسَيِّدِي إِلَيْكَ الْبَقَاءَ

* * *

(١) الاجتواء : الشيء الكريه إلى النفس .

(٢) الهوام : حيوانات ليلية تافهة ، جمع هامة .

صَنَّمْ أَنْتَ ، حَطَّمْتَهُ يَدُ اللَّـهِ ، وَأَصْنَمْتَ عِبَادَهُ السُّخَفَاءَ !
 وإذا أَنْتَ لِلْعَمِيقِ قَذَاهَا جَلَّ مَنْ شَانَ هَذِهِ السَّحَنَاءَ !
 نَبَذْتَكَ الْحَيَاةَ ، وَالنَّاسُ ، وَالْحَيَاطُ ، وَأَنْعَمَ بِهِ ، عِقَاباً سَوَاءً !
 حَيْثُ تَنْسَلُ ، أَسْخَطَ النَّاسَ مَرَا.....كَ ، فَأَصْلَوْكَ نَظْرَةً شَرَّاءَ !
 لَا تُرَى غَيْرَ قَابِجٍ ، مُنْغِضٍ الرَّأْسَ.....سِ ، تُعَاذِي مِنَ الْهَوَانِ عَفَاءً !
 يَا أَبُولَوْنُ ! إِنَّ فُقَاعَةَ الشُّعْرِ خَلِيقٌ أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْبَاءَ !
 عَشْ مَرِيضاً ، أَوُمْتُ بَغِيضاً ، وَهَلْ أَشْهَبَهُ ، مَنْ عَاشَ مِثْلَكَ ، الْأَحْيَاءَ ؟
 هَذِهِ شَارَةُ النَّوَابِغِ مِنْ قَبْ.....لِكَ ، فَافْخَرْ بِهَا وَتَهُ خِيَلَاءَ
 إِنَّ مَنْ يَجْهَلُ التَّهْكُمَ وَالسُّخْرَ ، غَبَاءً ، يَدْعُوهُمَا ، إِطْرَاءَ

* * *

يَا أَبُولَوْنُ ! عَاصِفٌ أَنَا ، لَا يَغْ.....بَاءُ فَلَا ، وَلَا يَخَافُ سَرَاءَ
 أَنَا لَيْلٌ ، يَغْشَاكَ بِالْهَوْلِ وَالظَّلَامَةِ ، وَاللَّيْلُ يُفْرِعُ الْجُبْنَاءَ
 أَنَا لِلْجَارِمِينَ مَوْتُ ، وَلَا غَرْ.....وُ ، فَقَدْماً أَوْطَأْتُكَ الرَّمْضَاءَ
 أَنَا مِنْ زَيْفِ الْأَبَاطِيلِ تَزْيِيفٌ قَدِيرٌ ، يَرْمِي السُّهَامَ غِلَاءَ
 أَنَا وَاللَّيْلُ ، مَنْذُ كُنْتُ ، شَبِيهَا.....نِ ، جَلَالاً ، وَقُوَّةً ، وَحِيَاءَ
 نَتَسَاقَى الْإِلَهَامَ ، وَالشُّعْرَ ، وَالْحِكْمَةَ.....مَةَ ، وَالْفَنَّ ، وَالْهَوَى ، وَالسَّنَاءَ
 فِي سَكُونٍ أَضْفَى الضَّمُورَ عَلَيْهِ أَلْقَاً مِنْ نَقَائِهِ وَصَفَاءَ
 لَا كَمَنْ حَاوَلُوا الْحَيَاةَ نَقِيْقاً وَاسْتَقَلُّوا سَبِيلَهَا ضَوْضَاءَ
 فَجْهَادُ الْمُبْرَزِينَ فِعَالٌ تَحْدَى بِصَمْتِهَا الْبَلْغَاءَ
 يَنْطِقُ الدَّهْرُ ، دُونَهَا ، وَيَذُودُ ال.....نَقْصَ عَنْهَا ، وَيُرْخِصُ الْفَحْشَاءَ

وسجايـا الكـرام عُـرَّ بـَوَاقٍ تتهـدَّى بها النفـوسُ ضيـاءً
وهجائـيك ، يا أبـولـونُ ، أبـقا.....ك ، ولـكن مـبعثـراً أشـلاءً^(١)
فتعـهـذه بالتـلاوة والـدَّر.....س ، ونافـسُ برزقـك اللؤمـاءُ
فهو تُـخلـدُ حَبَاكـهُ حَظُّكَ العا.....ثِرُ ، شـِعْراً ، يـُوجِّجُ البـغضـاءُ

١٩ ذي الحجة ١٣٥٥ هـ

٢ مارس ١٩٣٧ م



(١) وهجائيك : وهجائي إياك .



الحياة ملحمة كبرى في شتى مظاهرها المعنوية والمادية ، وهل الحياة حياة إلا بهذا الصراع بين الموجودات ، منظورة ومُدركة ؟

فهذه القصيدة تمثل في ثوب القصّة .. ملحمة تخيلية بين عناصر الكون (التراب والهواء والماء والنار) تتم فيها الغلبة للعاصف رمز الهواء ، على البحر رمز الماء .

والاتجاه الفني في هذه القصيدة مستمد من وقائع الحياة وصميمها ، فمن ينكر أن كلّ شيء في الوجود مسلّط على كل شيء فيه ؟ الحياة والموت ، الشباب والهرم ، الصحة والمرض ، القوة والضعف ، أليس الصراع بينهما ملحمة تكرر بها الأيام والليالي ؛ لا يخاف أيهما اللباب والجوهر ، إن اختلفت القشور والأعراض ؟ أليس كلّ ذلك مظهراً للقانون الإلهي الأسَمى في صور هذه الحياة ؟؟ (الناظم)

حدّثَ اللَّيْلُ ، والحديثُ شُجونٌ ، وحديثُ العَظيمِ لَهُوَ وَجْدٌ
تتلَهَّى به نفوسُ الخَلِيَّةِ يَنْ ، ويُعَنَى بِلَبِّهِ المُستَبِدُّ
قال : كانت عناصرُ الكونِ كالأحـ ياءٍ قِدمًا ، تروح فيه وتغدو
لم يُقَيِّدْ كُلُّ بقانونِـهِ الصَّ رِم ، والقيّدُ حاكمٌ مُستَبِدُّ
فتلاحت يوماً ، وجَدَّ بها الشرُّ وللشرِّ .. ثورةٌ ما تُحدُّ

* * *

وَادَّعَى كُلَّ عَنصرٍ قَصَبَ السَّبَبِ.....قِي وَأَدْلَى بِحُجَّةِ الْمُتَحَدِّدِي
 قَالَتِ النَّارُ : إِنِّي عَنصرُ الْفَتْحِ.....كِ ، إِذَا أُورِثَ الْمُطَامِعُ زَنَدِي
 أَتَلَقَّى الْحَدِيدَ بِالْجَاحِمِ الْمُو.....دِي ، وَأُرَدِّي الصَّلَابَ إِنْ جَدَّ جَدِّي
 وَيُعِيدُ الْأَصْنَامَ حَرَى رَمَاداً وَيُنِيرُ السَّبِيلَ ضَوْئِي وَيَهْدِي
 أَنَا لِلْكَوْنِ بَدْءُ تَارِيخِهِ النَّاسِ.....بِضِي ، مَذْ قُلْتُ : يَا حَيَاةُ ، اسْتَعِدِّي !

* * *

فَأَجَابَ التُّرَابُ : هَلْ كَانَ لِلْكَوْنِ.....يْنِ وَجُودٌ ، لَوْ لَمْ أَكُنْ فِيهِ أَصْلاً ؟
 كُنْتُ سِرَّ الْبِنَاءِ فِيهِ ، فَمَا قَالِ.....مَ بِنَاءً ، لَوْلَايَ ، أَوْ مَدَّ ظِلًّا
 وَأَنَا نَائِرُ الْحَقُولِ ، وَمَنْ أَط.....لَقَ فِيهَا الْحَيَاةَ ، حَقْلًا فَحَقْلًا
 صَبَّغَ مِنِّي الْإِنْسَانُ وَالْوَحْشُ وَالنَّبَاتُ.....تُ ، وَعَادَتِ إِلَيَّ وَصْلاً وَفَصْلاً
 أَتَلَقَّى أَمَانَةَ اللَّهِ بِالْصُّو.....يْنِ ، وَمَا زِلْتُ لِلْأَمَانَةِ ثِقْلاً

* * *

وَزَهَا الْبَحْرَ أَيْدُهُ ، فَرَمَى الْقَوُ.....لَ جُزَافاً ، شَأْنَ السَّفِينَةِ الْعَضُوبِ
 قَالَ : مَاذَا ؟ أَلَسْتُ مِنْ يَطْفِئُ النَّارَ.....رَ ، إِذَا آذَنْتَ بِوَشْكِ شُبُوبِ ؟
 الَّذِي تَسْكُنُ الْعِنَاصِرُ ، إِنْ ثَا.....رَ ، وَتَعْنُو مِنْ خِيفَةٍ وَوَجِيبِ ؟
 وَالَّذِي أُغْرَقَ الشَّوْاطِئُ ، لَوْ شَا.....ءَ ، وَجَارَ الْأَمْدَاءَ غَيْرَ هَيُوبِ ؟
 وَطَعَى ! .. فَانْطَوَتْ شَوَاطِئُ فَي.....هِ ، وَقَدْ هَمَّ مُقَعَّدٌ بِوُثُوبِ !!

* * *

حَدَّثَ اللَّيْلُ ، قَالَ : وَانْدَفَعَ الْبَحْرُ.....رُ ، يَظُنُّ الشُّطَّانَ كُلَّ الْوُجُودِ
 فَإِذَا اجْتَاَزَهَا فَقَدْ بَلَغَ الْفَوْ.....رَ ، وَأَرَبَى ، وَالْفَوْزُ جِدُّ بَعِيدِ

مَنْ لَهُ بِالْجِبَالِ تَلْقَاهُ بِالْهُزْزِ..... ، صَنِيعَ الْقَوِيِّ بِالْمَكْدُودِ ؟
شَاخَاتٍ ، إِذَا تَطَامَمَ بَحْرٌ أَوْ تَنَزَّى بِهِ غُرَامُ الْحَقُودِ
رَاسِيَاتٍ ، لَا مِنْ وَنَى أَوْ لُغُوبٍ ، سَاكِنَاتٍ ، لَا مِنْ عَنَى أَوْ جُمُودِ

* * *

مَنْ لَهُ بِالنَّجُومِ ، بِالْبَدْرِ ، بِالشَّمْسِ..... ، أَلَيْسَتْ بِصِيرَةً وَهُوَ أَعْمَى ؟
مَنْ لَهُ بِالطَّيُورِ تَسْبِيحٌ فِي الْجَوِّ..... خِيفَاتٌ مَعْنَى ، وَرُوحاً ، وَجَسَماً ؟
مَنْ لَهُ بِالنَّسِيمِ ، بِالرَّيْحِ ، بِالْعَا..... صِفْ ، تَغْزُو الْحَيَاةَ حَرْباً وَسَلَماً ؟
حَدَّثَ اللَّيْلُ ، قَالَ : وَاسْتَقْبَلَ الْعَا..... صِفْ ، هَذَا الطَّاغِي الْجَهُولَ وَهَمَّا
هَمٌّ ، فَارْتَدَّ ، فَارْتَمَى ، فَطَوَى الدَّنْ..... يَا ، حَيَاةً ، وَمَسْرَحاً ، وَخِصَمًا

* * *

ثَارَ بِالْبَحْرِ ثَوْرَةٌ رَدَّدَ الْكَو..... نُ صَدَاهَا ، وَرَدَّدَتْهُ السَّمَاءُ
جَابَتِ الْأَرْضَ ، كَرَّةَ الطَّرْفِ ، وَارْتَدَّتْ..... ثُ ، تَفَاذًا ، كَمَا يُحَمُّ الْقَضَاءُ
أَخْرَسَتْ كُلَّ نَاطِقٍ ، وَدَهَتْ كُلَّ..... عَتِيٍّ ، فَنَاءً مِنْهَا الْفَضَاءُ
الْبَرَائِكِينَ نَائِرَاتٍ ، أَمْ الشُّهُ..... بُ تَهَاوَتْ ، أَمْ قَدْ أَطَافَ الْفَنَاءُ ؟
أَمْ تُرَاهِ صَدَى الْجَحِيمِ ، وَقَدْ جُنَّتْ..... ت ، بِهِ ، فِيهِ ، سَاعَةٌ عَسْرَاءُ !

* * *

لَفْظُ الْبَحْرِ كُلُّ مَا اشْتَمَلَ الْبَحْ..... رُ ، وَلَاذَتْ شَطَائِنُهُ بِالسُّكُونِ
وَعَدَا رَاجِفًا ، يَمِيدُ بِهِ الْهَوُ..... لُ ، فَيَهْوِي إِلَى قَرَارٍ مَهِينِ
وَأَعَاصِيرُ ذَلِكَ الْعَاصِفِ الْعَا..... صِفْ ، تُلَوِي بِمَائِهِ وَالسَّفِينِ

أبيع الحياة ؟ كلاً ، ولا عا.....ش شجاعٌ بالعمر غيرُ ضنين
فليسالم ، ولعلين العجز ، ما ع.....ض ، على عجزه ، بنانُ العَين

* * *

حدّث اللّيلُ ، قال : واستنجد البحرُ.....رُ فلاناً ، أو قال طوداً أشمّا
معلناً ضعفه ، وقد آتسَ المو.....ت ، عياناً ، يدعو الضّراعةَ حزماً
وترامى إليه ، يلتبسُ العو.....ن ، وألقى قياده ، واستدّما
قال : هيهات ! أن يُجيرَ من العا.....صف طودٌ ، يرى غروركُ جرماً
بيد أني محاولٌ لك ، ما رُم.....ت ، ومُلقٍ على سجايي غرماً

* * *

ومشى الطّودُ ، والمروءةُ تحدّو.....ه ، إلى العاصفِ المُشيع .. ونادى
هيه يا صاحبي !! ومثلُك من لَب.....ى ندائي ، لقد بلغتَ المراد
عادَ رهواً ، ما كان من قبلَ زهواً فعنا المدّعي ، وعافَ الجهاد
حسبه منك ، ما بلغتَ به الغا.....ية فيه فما أطاق الرّيادة
ما تراه قد استكان ، فما فغ.....لُك ، فيمن ألقى إليك القيادا ؟

* * *

حدّث اللّيلُ ، قال : ما أكرمَ العا.....صف ، ما أكرمَ القويّ الرّحيم
آثرَ العفو ، والكريمُ صفوحٌ إن تولّى عدوه مهزوما
وسعى البحرُ ، صاغراً ، يُقصِرُ الخط.....و ، ويُغضيّ ضراعةً وسهُوما
قال ، بل هم أن يقول ، فلم يَق.....و ، وهل يُسعدُ المقالُ عديماً ؟

إِنَّهَا سَقَطَةٌ ، فهل ينهض العفــو ، بأمثالِها ، قوياً سليماً ؟

* * *

ورنا العاصفُ الحطومُ إلى البحرِـــــــــــــــــــــــــــــــــر ، فالفاهُ مُطْرِقاً إذعانا
ورأى الضَّعْفَ عارياً ، يَنْشُدُ الرحـــــــــــــــــــــــــــــــــمَةَ ، هوناً ، ويستعيدُ الأمانا
فاستَحَثَّتْ قلبَ العظيمِ دواعيـــــــــــــــــــــــــــــــــه ، فلبَّى الضميرَ والإيماننا
قال : أهلاً بالسَّلمِ ، والودِّ ، والعِشـــــــــــــــــــــــــــــــــرةِ ، صفواً ، وبالوفاءِ ضماننا
لك عندِي ، ما يَطْلُبُ الخُلُقُ السَّمـــــــــــــــــــــــــــــــــحُ ، مَغِيّاً ، أَصْفِيكَهُ ، وَعَيَاننا

* * *

حَدَّثَ اللَّيْلُ ، قال : وانفتَلَ العاـــــــــــــــــــــــــــــــــصِفُ ، يَعتامُ في الطَّبِيعَةِ مَسْرَى
ومَضَى البحرُ ، يَرْمُقُ الأفقَ غَصّاًـــــــــــــــــــــــــــــــــنَ ، فتلهو به الكواكبُ سُخْراً
راسفاً ، قِيدَتْ خطاهُ قواـــــــــــــــــــــــــــــــــنُ السَّوافي والضوءِ ، مَدّاً وَجَزْراً
فإذا وَصَّصَتْ عيونُ الدَّراريِ ... أو هَفَّتْ نَسْمَةً تَلَفَّتْ دُعْراً
ذَلَّ مَنْ خافَ ، فالحياةُ غِلاَّبٌ فازَ فيه الأَحَدُ ناباً وظُفْراً

* * *

وغفا الكونُ ، بعدَ مَلَحْمَةِ الأُمـــــــــــــــــــــــــــــــــسِ ، وكانت على الطَّبِيعَةِ شَرّاً
وأفاق الصَّبَّاحُ ، من حُلْمِهِ البـــــــــــــــــــــــــــــــــا سِيمَ ، يَنْدَى هَوًى وَيَرْفُضُ سِحْراً
وتمشَّتْ أنفاسُهُ في حواشيِ الكـــــــــــــــــــــــــــــــــوَنِ ، فاستيقَظَتْ رواييهِ سَكْرَى
حَدَّثَ اللَّيْلُ قال : وانطلقَ الضُّوـــــــــــــــــــــــــــــــــءُ منيراً دنياءً سهلاً ووعراً
فاستفاضَ الحديثُ عن أَمْسٍ يُزجِيـــــــــــــــــــــــــــــــــهُ فُضُولُ الحِياةِ سِيراً وَجْهَراً

* * *

وَحَدِيثُ الْفُضُولِ يَسْتَضْحِكُ اللَّاحِقَ هِيَ ، وَيَضْوَى بِوَحْزِهِ الْمَوْتُورُ
فَهُوَ - إِنْ شِئْتَهُ - مُجُونٌ مَثِيرٌ وَإِذَا رُمَتْهُ - شَمَاتٌ مَرِيرٌ
حَدَّثَ اللَّيْلُ ، قَالَ : وَاحْتَمَلَ الْبَحْرُ مُجُونَةَ الْحَيَاةِ ، وَهُوَ عَسِيرٌ
مُسْتَشِيطٌ عَلَى الْإِسَارِ فَمَا يَفْتَأُ يَنْزُو فِي قَيْدِهِ ، وَيَمُورُ
فَإِذَا أَقْبَلَ الظُّلَامُ تَوَلَّى هُ قَطُوبٌ ، لِشَجْوِهِ - وَفَتُورُ

* * *

هَلْ يَطِيقُ التُّهُوَصَ ؟ هَلْ يَمْلِكُ السَّعْيَ جَنَاحَ وَاهٍ ، وَرُوحَ أُسِيرٍ ؟
الْقَوَانِينُ لِلْعَاصِرِ ، يَا بَحْرَ رُ ! نِظَامٌ عَنْ قَصِيدِهِ مَا يَجُورُ
وَالْأَمَانِيُّ ، لِلْكُسَالِيِّ ، تَعْلَا ثُ عَزَائِي ، وَالْعَيْشُ وَهَمٌّ وَزُورُ
وَحُدُودُ الْحَيَاةِ تَفْسَحُ لِلْأَقْصَى مَجَالاً ، لَكِنَّهَا لَا تُجِيرُ
إِنْ مَلِكْتَ الظُّلَامَ فَالْتَمِسِ النُّورَ رَ ، وَهَلْ يَهْتَدِي إِلَيْهِ ضَرِيرٌ ؟

* * *

حَدَّثَ اللَّيْلُ ، قَالَ : وَانْفَرَدَ الْبَحْرُ رُ ، يُوَاسِيهِ شَاطِئُهُ مَهْجُورُ
أَدْبَرَتْ عَنْهُمَا الْحَيَاةُ وَأَهْلُوهَا هَا ، فَذَا ضَاحِلٌ وَذَا مَنْزُورُ^(١)
قَنَعَا - صَاغِرَيْنِ - بِالْوَاقِعِ الْبُخْرَ سِي ، وَيَرْضَى بَعِيشَهُ الْمَكْثُورُ^(٢)
وَمَضَى الدَّهْرُ ، لَا يُثْقِلُ رِجْلًا تَسْتَوِي عَنْدهُ صَبَاً وَدُبُورُ^(٣)
هَازِئاً بِالْغُرُورِ وَالضَّعْفِ وَالْبَا طِلْ ، وَالْدَّهْرُ بِالْحَيَاةِ بَصِيرُ

(١) الضاحل : القليل الماء . المنزور : القليل التافه .

(٢) المكثور : المملوء بالكثرة .

(٣) الصبا : الريح التي تهب من المشرق ، والدبور : الريح التي تهب من المغرب .

إلى السّاحر العظيم

رَدِّدِي يا رياحُ ! سخرِيَةَ الها.....زل ، يَلْهُو بها الوجودُ نشيداً
واركبي البحرَ بالمُجُون ، وبالسُّخ.....ر ، صُدُوراً - إذا وَئى - وُوروداً
وأديري عليه من جامِكِ المر.....كووساً ، تَشوي المرائرَ ، سُوداً
فإذا ضاقَ بالجرّاكِ ، وقد ضا.....ق ، فلا تَنفِسي عليه الرُّكوداً ^(١)
يقنّع الخائرُ العزيمةَ بالهُو.....ن ، ويأبى الطُموحُ إلّا مزيّداً

* * *

واعبِثِي ، يا رياحُ ! بالبحرِ ، إن ثا.....ر ، وما ثورةُ الكسيحِ الحنيقِ ؟
واذهبي فوقَ موجه ، مذهبَ الظّا.....فر ، يَلْهُو بضدِّهِ المَعسُروقِ
واسخري ، يا قيودُ ! منه ، إذا همَّ.....جراناً على الإِسارِ ، وضيقِي ^(٢)
فَهُوَ ما ثارَ ، أو تُطامَنَ ، نِكْصُيتلظى بحسرةِ المَسبُوقِ ^(٣)
وسبيلُ المغلوبِ في زحمةِ الدُّن.....يا ، على يأسِهِ ، سبيلُ الغريقِ

* * *

فإذا صاحَ أو تخبَّطَ ، لم يَذ.....عُ غلاباً ، صرِيخُهُ واضطرابُهُ

(١) نَفْسُهُ : أصابه بعين حاسدة .

(٢) الجِران : وقوف الدابة حين يطلب منها الجري مع رجوعها القهقري .

(٣) النكس : الرذل المقصر عن غاية النجدة والكرم .

فاحتراَّبُ الأمواج ، حرَّكها العاصفُ ، فِعْلٌ لِلفاعليهِ انتسابُهُ
 وَهُوَ - إِنَّ خَيْلَ مَظْهَرِ الْبَاسِ لِلبحر - كِذَابٌ ، إِنَّ ادَّعَاهُ عُبَابُهُ
 فَمَتَى عُدَّ سَابِحاً رَاكِبٌ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ أَسْلَمَ الْحَيَاةَ إِهَابُهُ ؟
 وَلَقَدْ تَدْفَعُ الرِّيحُ جَمَاداً أَفِيدْنِيهِ مِنْ حَيَاةٍ وَثَابُهُ ؟

* * *

إِنَّمَا تُنْسَبُ الْفِعَالُ إِلَى الْفَاعِلِ ، وَالْبَحْرُ لِلرِّيحِ مَقْنُودٌ
 تَتَوَلَّاهُ ، كُلَّمَا شَاقَهَا السُّخْرُ بَعْصِفٌ ، تَذُوبٌ فِيهِ الرُّعُودُ
 وَلَسُخْرُ الرِّيحِ ، وَيَلُّ عَلَى الْبَحْرِ ، ثَقِيلٌ ، قَدِيمُهُ وَالْجَدِيدُ
 كَمْ يُعَانِي مِنْهُ ، وَيَا بَيْسَ مَا عَايَنِي مِنَ الْهَوْلِ ، مُسْتَضَامٌ مَسُودٌ
 شَدَّ مَا آدُهُ وَطَامَنَ مِنْهُ أَنْ تُجِيدَ الرِّيحُ مَا لَا يُجِيدُ

* * *

آدُهُ أَنْ يُعَانِقَ الْأَرْضَ . وَالرِّيحُ عَلَيْهِ رُواقُهَا مَمْدُودٌ
 مَلَكَتْ دُونَهُ الْمَسَالِكَ وَالْجُودَ لَهَا ، لَا لَهُ - الْعُلَا وَالْبُنُودُ
 سَاحِبَاتٍ أَذْيَالُهَا فَوْقَ هَامَاتٍ أَوَاذِيهِ ، وَهِنَّ هُمُودُ
 وَحَقِيقٌ بِالذُّلِّ فِي مَوْقِفِ الْجِدِّ وَغَايَاتِهِ ، الضَّعِيفُ الْحَسُودُ
 وَالْأَعَاصِيرُ لِلطَّلَاقَةِ وَالْفُوزِ ، وَلِلْبَحْرِ ذُلُّهُ وَالْحُدُودُ

* * *

إِنْ قَسَتْ طَبَقَتْ - ثَقَالاً - مَدَى الْأَفْقِ ، وَفَاضَتْ عَلَى الزَّمَانِ ثُبُوراً^(١)
 أَوْ حَنْتَ ، رَدَّتْ الْحَيَاةَ نَعِيماً وَالْجَدِيدِينَ شَعْرَهَا الْمَشُورَا

(١) الثُّبُورُ : الْهَلَاكُ .

كائنات فيها قُوى هَدَّتِ الْعِلْمَ.....م ، وأَلَقَتْ على المساتيرِ نورا
زاخرات بالمعجزات ، فما يَف.....تَأْ قَانُونُهَا الرَّوِّيَّ الغزيرا
كم نضاً العلمُ من سَـوَرٍ عليها فَأَجَدَّتْ أَعْقَابُهُنَّ سُـوَرَا

* * *

الْعَيْرِ الهَوَاءِ هذا الثَّرَاءُ الْجَ.....م ، في ذلك الجلالِ الكبيرِ ؟
ولما قد طَوَى الأثيرُ ، وناهي.....ك بما في مُغَيَّياتِ الأثيرِ ؟
أَلِما كان ، يا حُضَارَةٌ من جَه.....لِكَ تَرْمِي أَسْرَارُهُ بِالثَّـزُورِ؟ (١)
أَمْ لِمَا فيه من أعاجيبَ للخَ.....لق ، تُرْزِي بِالْعِلْمِ المسحورِ ؟
قد تَمَشَّتْ بِهِنَّ آيَاتُهُ السُّ.....نُ ، على مارِنِ الْجَهُولِ الكفورِ (٢)

* * *

الرِّيَّاحُ ! الرِّيَّاحُ ! مُذْ كُنَّ - لِلْعَي.....ثِ ، وللبحرِ ، والنباتِ لواقح
وَهِيَ فيما رَأَيْتَ من قَبْلُ ، يا بَح.....رُ ! غَوَادٍ على حَشَاكَ ، رَوَائِحُ
سَانِحَاتٍ طَوْرًا ، تُطَارِحُكَ اللَّي.....نَ ، وَطَوْرًا - وإن كرهتَ - بوارخِ (٣)
وَلَدَيَا من الألاعيبِ شَتَّى ، أَن.....تَ منها عَيْرٌ ، يُقَاسُ بِسَابِخِ (٤)
يَبْدُ أَنْ الْعَظِيمَ يُوَلِّعُ بِالسُّخ.....رِ ، وَكَمْ رَاضَتِ الْهَنَاتُ الْقَرَائِحِ (٥)

* * *

حُجَّةُ الْعَاصِفِ الْمُدَوِّمِ يا بَح.....رُ ! فِعَالٌ ، تَخَافُهَا - وَمَلَا حِمِّ (٦)

(١) حُضَارَةٌ : (بدون أَل) اسم من أسماء البحر ، سَمِي بِذَلِكَ لِحَضْرَةِ مَائِهِ .

(٢) المَارِنُ : الجزء اللَّيِّن من الأنفِ .

(٣) السَانِحُ : الطائرُ المارِ من اليمينِ (وهو المتفائل به) . البارحُ : الطائرُ المارِ من اليسارِ (وهو المتشاءم به) .

(٤) الْعَيْرُ : الحمارُ .

(٥) الْهَنَاتُ : جمع هَنَةٍ وهي الشرور والقبائح .

(٦) الْمُدَوِّمُ : المخلِّقُ عَالِيًا .

كلما زدتها لجاجاً أذاقتُ.....ك نكالا ، يَشْفِي السَّخِيمَةَ ، جاجِم
سيرة ما تزال تلقاك بالوي.....ل ، غَضوباً ، وبالهوان ، مُسالم
صيرتَ ظهرك العصي ذلوا.....لاً ، وتولنتك بالبرى والشكائم ^(١)
انتصف إن أطق ، أو فاحفض الرأس.....س على ذلّة ، وأنفك راغم

* * *

ما أرى جُهدك الجهيد على ه.....ذا التَّسامي إلا فضولَ جهالة
وبماذا تروم مطلبك الصّع.....ب ، وقد زادك الطَّماح ضآلة ؟
قد عداك النَّجاحُ في المُمكِن الدَّا.....ني ، فمَسعاكَ للمُحال ضلالة
وإذا ضاق دونك المَسلكُ الرَّح.....ب ، فهل يَفسَحُ المَضيقُ مَجالة ؟
ما غناء الأحلام ، وَهي أمانِي ،.....إذا كانتِ النَّفوسُ كلاله ^(٢)

* * *

لستَ يا بحرُ ! في الحقيقةِ إلا قَطْرَةً في محيطِ هذا الهوائِ
أنتَ للنقصِ بين جزرٍ ومَدِّ وهو - رغمَ الأنوف - للإرباءِ
ولكم سامك الهوان ، فأغضيتَ.....ت ، مريضَ الحشا ، على الأقداءِ
تأسى ذلاً بشطآنك السَّو.....ء ، تأسَّى الضَّعيفُ بالضعفاءِ
تشتري العيشَ بالضَّراعةِ يا بحرُ ! وبئستَ من خُلّةِ نكراءِ

* * *

(١) الشكائم : جمع شكيمة ، حديدة لجام الحيوان . البرى : جمع بُرة ، حلقة تجعل في لحم أنف الحيوان .

(٢) الكلالة : من كان عبأً على سواه ، أو الميت الذي لا والد ولا ولد له يرثه ، بل يرثه ذو قرابته .

إِنَّ نَفْسَ الْحَقِيرِ تَأْنَسُ بِالْعَوْنِ ، وَشَأْنُ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَفَرَّدَ
وإِبَاءُ الْأَبِيِّ يُرَكِّبُهُ الْوَعْدَ ، فَيُلْقَى الْأَخْطَارَ غَيْرَ مُزَوَّدَ
وَالْجَبَانَ الْمَلُوعُ يَحْتَمِلُ الضَّيِّمَ ، وَيَرْضَاهُ لِلْسَّلَامَةِ مَقْعِدُ
وَسَبِيلُ الْقَوِيِّ أَنْ يَفْرَعَ الصَّعْبَ ، وَلَوْ كَانَتْ لِلْهَازِمِ مَصْعَدُ^(١)
رُبَّ مَوْجٍ يُرِيكَ ظَاهِرُهُ الْبَاسَ ، إِذَا هَبَّ عَاصِفٌ يَتَبَدَّدُ

* * *

وَالْأَبَاطِيلُ ، يَا خُضَارَةُ ! لَا تَبْقَى طَوِيلًا ، إِنْ أَصْبَحَ الْهَزْلُ جَدًّا
أَتَرَى مُرْسِلَ الْحَقَائِقِ بِيضًا مَثَلُ مَنْ يَقَحَمُ الْأَكَاذِبَ رُبْدًا ؟
وَالْأَبَاطِيلُ شَأْنٌ مِثْلِكَ ، يَا بَحْرًا ! وَمَا أَوْخَمَ الْأَبَاطِيلَ وَرْدًا
وَالَّذِي يَأْلَفُ السَّرَادِيبَ لَا يَرْضَى ، وَلَوْ سُمِّتَهُ ، الطَّرِيقَ الْأَسَدَا
مَنْ عَذِيرِي مِنْ كَاذِبٍ ، يَدْعِي الصِّدْقَ ، وَوَعْدِي يَرَى الْمَسْبَةَ حَمْدًا؟^(٢)

* * *

وَضَعِيفٌ يَنْزُو ، إِذَا آنَسَ الرَّحْمَةَ ، لَكِنْ إِذَا تَخَيَّفَ ، أَكْدَى^(٣)
وَطَبَاعُ اللَّئِيمِ تُصْلِحُهَا الْقَسْوَةُ ، وَالْعَنْفُ بِالنَّدَالَةِ أَجْدَى
وَمَتَى ضِيقَتْ بِالْجَهَالَةِ ذُرْعًا فَسَبِيلُ الرَّشَادِ أَنْ تَسْتَبْدَا
رُبَّ ذِي عُنْجِيَّةٍ إِنْ رَأَى اللَّيْمَ تَعَالَى ، وَإِنْ أَهْيَنَ تَرَدَّى
وَإِذَا اعْتَلَّتِ النَّفُوسُ غُرُورًا خَالَتِ الْأَعْيُنُ الْغَوَايَةَ رَشْدًا

* * *

(١) فرع : طال واستعلى ، غلب . الهازم : جمع لهزمة ، عظم ناقة في اللَّحْيِ تحت الحنك .

(٢) مَنْ عَذِيرِي : مَنْ يَنْصُرُنِي وَيَعْذُرُنِي .

(٣) نزا : ينزو : وثب ، تحرك . تخيَّف : خُوفٌ ، وأرعب . أكدى : تصاغر وذلل .

إِنَّ الظَّنَّكَ بِالْمُواجِعِ دَنِيا.....كَ ، فَعَوْتُ بِأَنِّيَ المحرومِ
 ما حَمَتِكَ الأمواجُ ، والصَّحْبُ الوا.....هِنُ ، لَكِنْ مَرُوءَةٌ مِنْ كَرِيمِ
 وَقَدِيمًا ، حَمَاكَ مَهْلَكَةُ الجُوع.....ع ، فَلَا قِيَّتَهُ بِفَعْلٍ لئِيمِ
 لَيْتَهُ إِذْ أَسَا جَرَا حَكَ لَمْ يُثْم.....نَ بَشَرٌ ، مِنْ طَبْعِكَ المَسْمُومِ
 أَجِنْتُ نَفْسُكَ الخَبِيثَةَ ، يَا بَح.....رُ ! فَبَا حَتِ بَتْنِكَ المَكْتُومِ ؟

* * *

الهَوَاءُ الجَبَّارُ ، أَرْجُو حَــةَ المَو.....تِ ، فَجَرَّبُ ، يَا بَحْرُ ، فِيهَا كِفَاءُكَ ^(١)
 وَهِيَ أَخْرَاكَ ، إِنْ تَعَجَّلْتَ ، أَوْ كَن.....تَ بَطِيئًا ، فَمَا تَزُودُ فِنَاءَكَ
 سِئَمَتْ هَذِهِ التَّفُوسُ أَضَالِي.....لَكَ مَذْ آثِرَ الزَّمَانِ انْطَوَاءَكَ
 وَغَدًا ، يَشْهَدُ الزَّمَانُ تَرْدِي.....كَ ، وَتَطْوِي ذُؤَابَتَاهُ جِوَاءَكَ
 وَتَدِيرُ الشُّطَّانُ بَعْدَكَ ذَكَرًا.....كَ ، وَتَجْتَرُّ فِي لُغُوبٍ رِثَاءَكَ

* * *

شِخْتُ ، يَا بَحْرُ ، وَالْجَهَالَةُ تُحَدِّدُ.....كَ ، فَهَلْ أَنْتَ لِلْجَهَالَةِ نَذْرُ
 رَبِّ شَادٍ يَزْهَوُ بِمَخْبِرِهِ الْعَقْ.....لُ ، وَشَيْخٌ لَمْ يَلْبِغِ الرِّشْدَ بَعْدُ
 وَالْحِجَى ، وَالْحَفُولُ ، وَالْعَمَقُ ، وَالْقَو.....ةُ ، وَالصَّدَقُ ، وَالْمَدَى الْمَمْتَدُّ
 تَائِهَاتٍ بَيْنَ أَذْلكَ ، يَا بَح.....رُ ، كَمَا تَاهَ بِالصِّقَالِ الْفَرِيدُ
 وَلَكَ الْجَهْلُ ، وَالضُّحُولَةُ ، وَالْإِس.....فَافُ ، وَالْكَذِبُ ، وَالضَّنَى ، وَالْوَهْدُ ^(٢)

* * *

(١) الكِفَاءُ : المَثَلُ ، النَظِيرُ .

(٢) الوَهْدُ : المُنْخَفَضُ مِنَ الْأَرْضِ .

الجديد ، الصحيح ، لا كُلُّ ما أُرْجَاهُ قَرْضٌ ، أو جال فيه خيالٌ
ولسِرُ الحياةِ أخفى على العقولِ ، وللعقلِ دون ذاك مجالٌ
وراءَ العيان ، ما أعجزَ العلمُ ، فآلَوِ بالزَّاعمِ الكلالُ
إنَّ في كُلِّ ذَرَّةٍ عالِماً حَيّاً ، خَفِيراً بِسِرِّهِ يَخْتَالُ
وسَمَضيَ العقولِ طولاً وعرضاً وتُكْرُ الأَيَّامُ والأجيالُ

* * *

ومَدَى هذه الحياةِ ، ومعنا.....ها ، خَفِيَّانِ ، والمزاعمُ وهُمُ
والذي أودَعَ العناصرَ ما شاء..... ، له وحده ، الهدى والعلمُ
هي مبنى الوجود ، والروحُ معنا.....ه ، ولا ريبَ ، والمقاديرُ نظمُ
فإذا أضحت العناصرُ آلا.....فاً ، فما يَدْفَعُ الأهمَّ المُهمُّ
إنَّ كَوْناً يَعِجُّ بالنَّاسِ ، قد كَان.....نَ له والِدٌ وحيدٌ وأُمُّ

* * *

وَأَراءِ الهوائِ تعرفُهِ النَّاسُ.....رُ ، وَيَعْنُو له الثَّرى والماءُ
وهما دَوْنَهُ جمادانِ ، هذي عُنْصُرُ هامِدٌ ، وذاك خَوَاءُ
وهو في الماءِ نبضُهِ الدَّائِمُ السَّيِّ.....رِ ، فإن غاب فالبحارُ لَغَاءُ^(١)
وهو مُزَجِّي عُبَابِهَا حيثما شاء.....ت تصاريفُ ، وشاء القضاءُ
خاضعاتٍ له - على كُرْهِهَا الأي.....سَنَ ، وهل تَأْنِفُ الخضوعَ للإماءِ ؟

* * *

(١) لَغَاءٌ : ما لا يعتدُّ به .

إِنَّ بَدْءَ الوجود ، والخالقُ اللّهُ ، هواءٌ مُدَوِّمٌ ، وظلامٌ مُدْلِجٌ فيهما المَدَى ، حائرَ الخطِّ و ، ومن حوله السَّديمُ ركامٌ (١) حين لا بحر ، والأديمُ هباءٌ لا ، ولا ضوء ، والجِواءُ جهامٌ فسَلِ البحر ، أين كان ؟ وما كان ن ؟ تُجِبُّكَ الفروضُ والأوهامُ من غريرٍ يَرى الجَسامةَ فخرًا وهي - إن تُخْطِي الرِّجاجةَ - ذامٌ

* * *

صَعَرَ البحرُ ، ما الذي كانهُ البحرُ ر ، إذ الكونُ جمرَةٌ تتلهبُ ؟ أطفأتها المياهُ ، وهي بخارٌ حوَّلته عواصفُ الرِّيحِ هَيْدَبٌ (٢) وتجاويفُهُ ؟ وهل هي ، لولا الـ ماءً ، إلّا حفائرٌ في سَبَسَبِ أفكانت تكونُ لو تُمسِكُ الرِّيحُ حُ شآيِبَها الغَيَّةَ مركَّبٌ ؟ وبماذا يَعتَدُّ من عافَتِ الأنـ فس غِشِيانهُ ، اصطحاباً ومُشرَبٌ ؟

* * *

ذاك ، يا بحرُ ! مبدأُ البحرِ في الكَوْنِ ن ، جماداً ، وغَيباً ، وأثيراً كان جزءاً صلباً من الأرض ، يُصْلِي ه سَيعِرُ النِّيرانِ فيها التَّكْيرا فإذا ذابَ أبردَ الماءُ جَنِييَ ه ، أهَلَّتْ به الرِّياحُ غزيراً فأصابته بالرَّخاوة ، والرَّخوُ ضَعِيفٌ ف ، وإن تعاظَمَ زُورا فَهُوَ - مادام - مركَّبٌ لِيْنُ الظَّهِ ر ، وإن ظَنَّنهُ الضَّعِيفُ عسيراً

* * *

(١) المدلج : السائر من أول الليل ، السديم : الضباب .

(٢) الهيدب : خمل الثوب .

إن حَسِبْتَ التَّيَّارَ من صَنَعَةِ المَوْجِ.....ج ، تَحْدَاكَ صَمْتُهُ وَالرَّكُودُ
هو لِلرَّيْحِ خَادِراً وَمُضِيْراًوَلَأَمْوَاجِكَ الْوَيْى وَالْجَمُودُ
أَوْ زَعَمْتَ الشَّطَّانَ مِثْلَكَ الْعَا.....صَم ، أَقْدَاكَ رَكْنُهَا الْمَهْدُودُ
ذَاكِراً مَا لَقِيتَ فِيهَا وَقَدْ أَسْ.....خَنَ عَيْنِكَ ، يَوْمُهَا الْمَشْهُودُ
وَلَأَحْيَاثِكَ الْهَزِيلَةَ ، يَا بَحْ.....رُ ، بَرُوقُ ، زَعَمَتَهَا ، وَرَعُودُ

* * *

فَتَحَدَّثَ عَمَّا وَرَاءَكَ مِنْهَا فَهِيَ دِيدَانُكَ الْكِبَارُ الصُّغَارُ
أَلْصَقَتْهَا بِالْقَاعِ مَلْحَمَةُ الْأَمْ.....سِ ، وَالْوَيْ بِلُونِهَا الْإِعْصَارُ
فَإِذَا رَأَيْتَ فَذَاكَ أَنْيَسُنْيَتَعَالَى عَنْ خَنْقِهِ الْجَبَّارُ
كَمْ ضَعِيفٌ أَقَالَهُ ضَعْفُهُ الْمَوْ.....تَ ، وَدُونِ تَعَاْفُهُ الْأَوْطَارُ ؟
كُنْ لَهَا مَحَبّاً وَقَبِراً ، فَمَا تَقْ.....وِي عَلَى الْعَيْشِ ، هَذِهِ الْأَعْثَارُ

* * *

ضَاقَ ذَرْعاً بِكَ التَّشَكُّلُ يَا بَحْ.....رُ ! وَهَذَا دَلِيلُ ضَعْفِ ثَبَاتِكَ
كَنتَ شَمْساً لَوْ لَا الظَّلَامُ ، فَبَدْ.....رَأً ، يَتَمَشَّى الْحَنُوءُ بَيْنَ سِمَاتِكَ
ثُمَّ بَحْراً ، وَالْبَحْرُ مَلْعَبَةُ الْعَا.....صِفِ ، أَوْهَى بِهِوْلِهِ عَزَمَاتِكَ
ثُمَّ مَاذَا ؟ يَا سَا حَرَ الْحَبْلِ وَالْعُقْ.....دَةِ ! خَبِخَبَ بِمَعْجَزَاتِ عَصَاتِكَ ^(١)
أَخْوَاءَ بَعْدِ الثَّقَافَةِ ، يَا قَزْ.....مَلُ ، تُرْجِي بِهِ خَتَامَ حَيَاتِكَ ؟

* * *

(١) خَبِخَبَ : اسْتَرْخَى ، اضْطَرَبَ .

نحنُ في دولةِ الحقائقِ والفكرِ..... ، فما تُخطئُ العيونُ الجبالا
 ألْقَها ناشراً ضعيفَ ألعيب..... بك ، تُضحِكُ بسخفها الأطفالا
 كلما صِحتَ يا ثعابينُ ! أو دَم..... دَمَتَ زيفاً خَفَوا إليك عَجالا
 وأجالوا في قُفَّةِ السَّاحِرِ القَز..... م عيوناً ترى المَحال مُحالا ^(١)
 قد تولَّى الزَّمانُ ، يا سِلْخُ بالسَّحَر..... ر ، وألوى به الجديدُ فزالا

* * *

وطوت صرخةُ الشَّبابِ أمانيب..... ك ، وما يُعجزُ القويَّ الضعيفُ
 دَعِ مجالَ الجيادِ للتَّنَفُّرِ السُّبُ..... ق ، وازحَفْ فقد عداك الوحيفُ ^(٢)
 فوق ما تستطيعُ من سحرِكَ الأع..... رَج ، سُخَّرْ تغزوك منه صنوفُ
 أنتَ منها ، كما يكونُ من الطُّو..... د المُنيفُ الذُّرى ، الهزيلُ الخفيفُ
 بهلوانيةُ الحِجَى غَرَضُ الحَم..... قَى ، ويروي ظما المَقِلُّ الطَّفيفُ

* * *

ليس إلا الحبالُ ، يا ساحرَ العُم..... ي ! فأعِدْ مُغارَها للبرازِ ^(٣)
 وتخيَّرْ طوالَها ، تدفَعِ التُّه..... مة ، عنها وعنكَ ، بالإعوازِ
 فَعساها تُعَدِّ ، إن أفلَسَ السُّح..... رُ ، دليلَ الحُفُولِ والإعجازِ
 لن ينالَ الثَّرثارُ ، بالطُّولِ والإط..... نابِ ، شأوَ البليغِ بالإيجازِ
 إنَّ بعضَ الإسرافِ يُشعرُ بالعُد..... م ، وبعضَ الكلامِ مثلُ النُّحازِ ^(٤)

* * *

(١) المَحال : (يفتح الميم) ، جمع المحالة : الحيلة ، لا بدُّ منه . والمِحال (بكسر الميم) الكيد . والمُحال : (بضم الميم) ، المستحيل .

(٢) الوحيف : مكان بمكة كانت ترمى به الجيف .

(٣) المُغار : الحبل المقتول فتلاً شديداً .

(٤) النُّحاز : داء يصيب الدابة بالسعال الشديد .

والقليلُ الفَيَاضُ بالحُسنِ والرَّو.....عة ، يَعْنُو له الكثيرُ الحَقِيرُ
 إِنَّمَا تَوَزَنَ الجَواهِرُ بِالْمِثْ.....قال ، والمَعْدِنُ الحَسِيسُ وَفِيرُ
 وَتَزِينُ الكَلَامِ مَقْدَرَةُ القَا.....ئل ، يَزْهُو به الحِجْيُ والشَّعُورُ
 ولَقَدْ يُوْثِرُ الصَّمُوتُ على القَو.....ل ، ولا يَبْلُغُ القَلِيلُ الكَثِيرُ
 وَيَكُونُ الكَثِيرُ دَحْضاً إِذَا أُر.....سَلَّ آيَاتِهِ المِفَنُّ البَصِيرُ ^(١)

* * *

أَثَرُ الفَنِّ فِي التَّفَوسِ نَدَاءٌ لِمَعَانِيهِ لَا تَدَقُّ الطَّبَـوُ
 والأَجَاجُ المَرِيرُ ، وَهُوَ غَزِيرٌ ، دُونَ مَاءِ العَمَامِ ، وَهُوَ قَلِيلُ
 وَصَنِيْعُ الفَنَّانِ فِي الصُّورَةِ الصُّغ.....رَى كَبِيرٌ ، رَغَمَ الحُدُودِ ، مَهُولُ
 وَعَسَى نَبْرَةٌ يَنْـ.....بُهَا الصُّو.....ثُ ، وَقَدْ دَقَّ دَوْنَهَا التَّهْلِيلُ
 وَعَسَى جَمَلَةٌ مِنَ اللَّفْظِ مَا يَنْـ.....لُغَ تَأْثِيرُهَا ، الكَلَامُ الطَّوِيلُ

* * *

أَيُّهَا السَّاحِرُ المَدْمِمْ بِالشَّعْ.....رٍ ، هَزِيلًا ، وَهُوَ القَمِيءُ الهَزِيلُ
 مُدَّعُو السُّحْرِ والقَرِيضُ كَثِيرٌ غَيْرَ أَنَّ المَصْدَقِينَ قَلِيلُ
 وَلِبَعْضِ الكَلَامِ وَالسُّحْرِ ، يَا بَح.....رُ حَوَاءَ ، وَبَعْضُهُ تَضْلِيلُ
 وَالْمَعَانِي عَلَى الْجَمِيلِ شُهُودٌ وَعَلَى قُدْرَةِ الْقَدِيرِ دَلِيلُ
 رَبِّ سَيْفٍ يَرْتَدُّ فِي كَفِّ ذِي الجُبْ.....نِ كَهَامًا ، وَهُوَ الجُرَازُ الصَّقِيلُ ^(٢)

* * *

(١) المِفَنُّ : كثير التفنن .

(٢) الجراز : السيف القاطع . الكهام : السيف الكليل غير القاطع .

أَنْتَ مِنْ سَحَرِكَ الْمَلْفَقِ فِي دُنْ.....بَا خَدَايَ ، وَهَلْ يَرَى الْمَخْدُوعُ ؟
 وَعَلَى عَرْشِكَ الْخَيَالِيَّ ، مَذْ أَدُّ.....نَ دَاعِيكَ ، هُزَاةُ مَخْلُوعُ (١)
 وَحَوَالِيكَ ، مِنْ خَشَاشِ الْأُنَاسِ.....يَّ ، أَصُولُ كَرَهَتَهَا ، وَفِرْعُ
 ذَاكَ سُورٍ مَهْدَمٌ ، أَنْتَ فِي.....هَ ، كُلُّ يَوْمٍ ، مُرْزَأٌ مَفْجُوعُ
 كَلَّمَا قَلَتْ : قَامَ جَانِبُهُ ، مَا.....لَ ، وَخَرَّتْ عَلَى قَفَاكَ الصُّدُوعُ

* * *

كُلُّ دَعْوَى سَبَقِي يَكْذِبُهَا الْوَا.....قُعُ ، يَوْمَ الرَّهَانِ ، دَعْوَى الْكَسِيحِ
 وَكَذَا تَسْخَرُ الْحَيَاةُ ، وَتَلْقَا.....كَ ، إِذَا رُمَتْهَا ، بَوَجْهِ الْمُشِيحِ
 قَدْ كَفَّتْهُ الْكَفَاحُ خِيَّةٌ آمَا.....لَكَ ، فِيهَا ، وَآهَةٌ الْمَقْرُوجِ
 أَيُّ غَايَاتِكَ الْمُقْتِيَّةِ لَمْ تَبِ.....كَ عَلَيْهَا بَعِيرَةُ الْمَكْبُوجِ ؟
 قَسَمًا مَا تُصِيبُ مِنْ عَيْشِكَ الْمُ.....رُّ سَوَى مَا تُصِيبُ كُفُّ الطَّلِيحِ !

* * *

تُرْهَاتُ الْأَوْهَامِ ، يَا سَا حَرَ الْقُفَّةِ.....ةِ ! تَغْدُو فَضِيحَةً لِذَوِيهَا
 وَفَنُونَ الْجَنُونَ كَثُرَ فَهَلَّا اغ.....تَمَّتْ مِنْهَا أَدَقُّهَا تَمُويَا (٢)
 قَدَمَتْ هَذِهِ الْأَلَاعِيبُ ، مَذْ شِخ.....تَ ، فَجَدُّ طِلَاءَهَا لِتَقِيهَا
 وَتَفْتَقُ عَنْ لَعِبَةٍ ، تَخْدَعُ النَّا.....سَ ، تَكُنْ بَعْدَهَا السَّرِيَّ - النَّبِيَا
 وَتَنْكَبُ مَصَارِعَ الْجِدِّ ، فَالْجِ.....دُ زَبُونٌ ، يَطِيشُ رَأْسُكَ فِيهَا (٣)

* * *

(١) الهُزَاةُ : الرَّجُلُ يُهْزَأُ مِنْهُ .

(٢) اعْتَمَتْ : مِنَ الْعَتَمَةِ وَهِيَ الظَّلَامُ .

(٣) الزَّبُونُ : الشَّدِيدَةُ الصَّدَامُ .

إِنَّ دُونَ الَّذِي تَحَاوُلُ ، يَا لَقَا.....قُ ، بِالزَّرِيفِ وَالْعِزَائِمِ ، صِلَاً^(١)
يَلْقَفُ الزَّرِيفَ ، وَالرَّعُونَةَ ، وَالْبَا.....طَلَ ، وَالسَّحَرَ ، مَكْثِرًا ، وَمَقِلًا
بَيْنَ فَكِّيهِ مَصْرَعٌ فَاغَرٌّ فَا.....هُ ، تَلَاقي فِيهِ الرِّغَائِبُ تُكَلَا
يَنْتَهِي السَّحَرُ عِنْدَهُ ظَاهِرَ الضَّعْفِ.....فِ ، وَتَجْثَوُ بِهِ الْخَوَارِقُ عُزْلًا
يَنْفُضُ السَّاحِرُونَ بَاطِلَهُمْ فِي.....هِ ، وَلَوْ تُحِيرُوا لَصَانُوهُ بُخْلًا

* * *

لَمْ يَضِقْ بِالتَّضَالِ مَاضِيهِ وَالْحَا.....ضُرُ ، أَوْ أَفْقَهُ الْبَعِيدُ الرَّحِيبُ
شَعَلَ النَّاسَ صَيْتُهُ الْبَارِزُ النَّا.....صُعُ ، حَبًّا ، وَسَطَوُهُ الْمَرْهُوبُ
وَأَفَاعِيلُهُ بِمَثَلِكَ ، لَا السَّحَرُ.....رُ اتَّقَاهَا ، وَلَا ثَنَاهَا اللَّهُيبُ
يَرْجُفُ الْمَوْجُ دُونَهَا مُرَعَدَ الْعَم.....قِ ، وَيَقْدِى بِهَا الْفَضَاءُ الرَّغِيبُ
تِلْكَ آثَارُهُ تَحْدِى بِهَا الْعُصْم.....مَ ، وَإِنْ كَابَرَ الْخِصْمُ الْكَذُوبُ^(٢)

* * *

صَاغَهَا مَعِجَزًا ، وَرَتَّلَهَا شِعْرًا.....رَأُ ، تَغَنَّتْ بِسَحَرِهِ الْأَيَّامُ
وَأَصَابَ الْجَمَالَ فِيهَا أَمَانِي.....هِ ، رُوءَاءُ ، وَالْفَنُّ ، وَالْإِلَهَامُ
مِنْ يَنَابِيعِهَا تَدَفَّقَتِ الْفَتَا.....نَةُ ، سُكْرًا ، مَا تَدَّعِيهِ الْمُدَامُ
تَتَغَدَّى بِهِ النَّفُوسُ ، وَتَسْتَه.....دِي سَنَاهُ ، الْقُلُوبُ وَالْأَقْلَامُ
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْخُلْدِ ، وَالْخَلْدُ.....دُ لِأَشْبَاهِهَا - وَقُلْتُ - ثَوَامُ

* * *

(١) الصَّلَّ : أَخْبَثَ الْحَيَاتِ .

(٢) الْعُصْم : جَمْعُ عَصْمٍ وَهُوَ التَّمَكُّنُ ، الْمَعْتَصِمُ بِالْمَكَانِ أَوْ بغيرِهِ .

✻ ✻ ✻

(٢) النّيب : صياح التّيس .

فَإِذَا قُلْتُ : إِنْ فِي زَارَةِ اللَّيْلِ..... ثِ لِهِيَا ، يَذُوبُ فِيهِ النَّبِيُّ
وَدَيْبِيَا يَمْشِي لَهُ الشَّيْبُ فِي الْأُنْفُسِ ، لَوْ كَانَتِ النَّفُوسُ تَشْيِبُ
وَمَعَانٍ مِنَ الصَّلَافَةِ ، وَالْقَوَّةِ ، وَالْهَوْلِ ، دُونَهُنَّ الْخُطُوبُ
أَنْكَرْتُ قَوْلَكَ الْوَعُولُ ، وَأَذَلَّتْ بِهِرَاءَ يَحَارُ فِيهِ اللَّبِيْبُ
وَاسْتَجَاشَتْ صَغَارَهَا ، وَمَضَتْ ثُمَّ..... عِنْ فِي تِيهِ جَهْلَهَا ، وَتَلُوبُ

وتعاونت ، يصيحُ هذا فيتلو.....هُ مُسِفٌ ، أو أرعنٌ مستخفٌ
وأجالت أذنانها في مجال ال.....أمنٍ ، والأمنُ للمهازِيلِ سِجْفُ
أُتراها تجولُ في مَرَبَضِ الآ.....سادٍ ، حيثُ النفوسُ تهوي ، وتطفو؟
لا ! ولكنَّ في النَّبيِّ عِزٌّ فليكنْ نَبْعُها الذي لا يَجْفُ
هي في حُرْمَةٍ من الضَّعْفِ والعَجْزِ.....ز ، وليثُ الشَّرِّ قوًى يَعْفُ

وهي في مَجْبَأٍ ، تُجَانِبُهُ الْأَسْـ.....دُ ، حَيَاءٌ ، أَوْ سَمُّهُ : إِبْقَاءٌ
أَفَمَا تَفَرَّقُ الْوَعُولُ إِذَا لَا.....ح خِيَالُ الشَّرَى ، فَمَا تَتَرَاءَى ؟
فَلَهَا أَنْ تَصُولَ بِالْقَرْنِ وَالظِّلِّ.....فِ ، وَأَنْ تَمَلَأَ الْحَيَاةَ هُرَاءَ
وَلِكُلِّ مَدَى ، وَقَدْ عَرَفَ النَّا.....سُ مَدَاهَا ، حَقِيقَةً وَادْعَاءَ
وَلَمَنْ أَتَخَنَتُ صُرُوفُ اللَّيَالِي فِيهِ أَنْ يُشْبِعَ الصُّرُوفَ عِدَاءَ

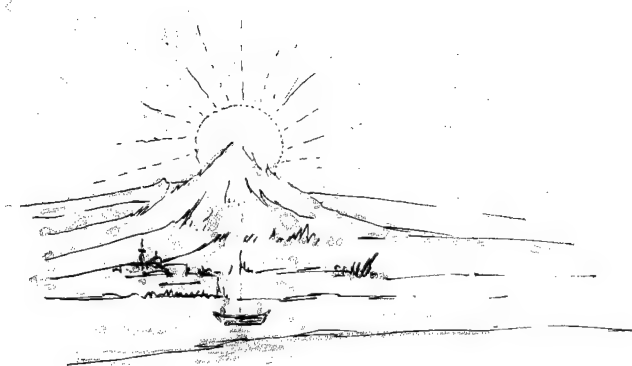
⚙ ⚙ ⚙

ولقد تَصُمْتُ السَّبَاعُ ، وفي الصَّمِّ..... أدَاءٌ من بأسها وقواها

ولقد تصرَّخُ الوعولُ ، وفي ذا.....ك معانٍ من خوفها وجَواها
 فإذا ما تكشَّفتُ ساعــةُ الهو.....ل حَمَت وثبةُ السَّبَّاعِ شَراها
 وطَوَتِ مسرحَ الوعولِ ، ودكَّت.....هُ ، فأَمسى بقاؤها كَفَناها

* * *

وانزَوَتِ تُشْبِيعُ الظَّلَامِ عِواءُ أو أنيناً ، فما تُطِيقُ العِواءُ
 ولقد يَعَصِفُ الهواءُ بمأوا.....ها ، فيغْدو به الهواءُ هَبَاءً
 فإذا أَقبلَ النَّهارُ اطمأنتُ وأقامتِ عواصِفاً هَوَجا
 زاعماتٍ قرونها أَسَلِ الطَّعْم.....نِ ، وآياتِ نصرِها العُلَواءُ





خير ما يُتَقَرَّب به إلى الله ، هدمُ الضَّلالات . وشرُّ الضَّلالات ما اتَّصل ببواطن
النفوس المطمئنة ، فمسُّ موضع الإيمان منها ، أو اصطاد العقائد الثابتة ، فوخز قُدس الثقة
فيها ، متلبساً بلباس السِّلَاح والتَّقوى .

وبعد ، فهذه كلمة نذود بها عن الحقِّ والدِّين ، وما نطبق أن نسكتَ على أن يزعم
زاعم أن القرآن نشيدٌ يضاهي أناشيدَ المخاليق ، وتُتلَمَس الصِّلة بينه وبين موسيقى
(بتهوفن) وغناء (مَعْبَد) .

ونستمدَّ العونَ من الله ، وحده ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .
(الناظم)

قلْ لِضَاوٍ ، خافَ الصِّبَال ، فَعَرَّذَ لِمَ ؟ والعهدُ بالسَّبِيل مَهْذٌ؟^(١)
تتوارى خلفَ الكُنَايَاتِ والرُّمُوزِ ، كما يَرُسُفُ السَّجِينُ المَصْفَدُ ؟
ما مديحُ النَّبِيِّ ثَقِيَّةٌ مِّنْ مُسٍّ.....فَحَامَى ، أو استشاط ، فَعَرَبَدَ
هو قدسٌ ، لا يَنْتَحِيهِ الصَّعَالِي.....ك ، وطودٌ لا يَسْتَجِيبُ لِمُقْعَدِ
والجَهَادُ الصَّرِيحُ شَأْنُ القَدِيرِ.....نَ ، فهَلَا ! وموقفُ الجِدِّ يَشْهَدُ !

* * *

(١) الضَّاوى : الشديدُ الهزال . الصِّبَال : المبارزة . عَرَّذَ : هرب .

يا مُسْمِي آيَ الْكِتَابِ نَشِيداً وَمُضَاهِيهِ بِالنَّظْمِ الْمُقَصِّدِ
 أَيُّ أَعْمَى بِصِيرَةٍ قَالَ مَا قَلْبُ.....تَ ، وَأَجْرَى (بَتَهَوْنِ) فِيهِ وَ (مَعْبِدٌ)؟^(١)
 أَفَكَانَ الْقِرْآنُ تَطْرِيبَ شَادٍ يَتَغَنَّى بِهِ لِسَانُ (مُحَمَّد) ؟
 إِنَّهَا عَثْرَةُ الضَّلَالَةِ ، وَالْحَقُّ.....لَأَمْثَالِهَا ، وَشُهْبٌ ، بِمَرْصَدٍ
 لَا لَعَأٌ ، وَالِدَفَاعُ عَنْ شِرْعَةِ الدِّي.....نَ جِهَادٌ ، إِنْ حَقَّ لَا نَتَرَدَّدُ^(٢)
 وَاخْتَرَطْنَا لَهُ بَرَاعَةً جَبَّارِينَ ، حُمْسٍ ، مِنْ حَاسِرٍ وَمُسَرَّدٍ^(٣)
 وَهَدَى الدِّينَ قَائِدُ الْفِطْرِ السَّم.....حُ ، وَمَنْ يُخْطِئُ الْهَدَايَةَ - يَجْجِدُ

* * *

أَنْكَرْتَكَ الْأَفْهَامُ ، يَا مَرْسِلَ الشَّع.....رٍ ، مَتَاعاً ، لَا كَانَ مُزْجِيهِ ، مُكْسَدٌ
 وَرَأَى النَّاسُ كَيْفَ يَرْكَبُ بِالنَّك.....تَةِ طَبْعٌ ، ظَنَّ اللَّوَاءَ (تَمَدَّد) !
 وَ (الْكُوى !) مَا تَكُونُ مِنْ جُهِدٍ أَبْطَالٍ.....لٍ ، أَهَابَتْ بِهِ قِيَادَةَ أَحْمَدَ
 لَمْ يَكُنْ فِي صِيْحَابِ أَحْمَدَ رِعْدِي.....دٌ ، دَعَاهُ دَاعِي الْجِهَادِ فَعَرَّدَ

(١) بتهوفن : (١٧٧٠ - ١٨٢٧ م) مؤلف موسيقى ألماني ، من أبرز عباقرة الموسيقى في جميع العصور ، وضع تسع سيمفونيات ، أصيب في أواخر عمره بالصمم شبه الكامل ، ولكن ذلك لم يعقه عن مواصلة الانتاج ، بل أبدع بعد عاهته أروع آثاره وبخاصة « السمفونية التاسعة » المعروفة بـ « الكورال » .

معبد : (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) مغن عربي ، كان مولى لبني غزوم ، نشأ بالمدينة يرعى الغنم ، ثم ارتحل إلى الشام . لمع نجمه في عهد بني أمية . وضع ألحاناً عرفت بـ « مدائن معبد » ، لما أفرغ فيها من الصنعة والتجديد ، فكان كلاً منها مدينة من المدن .

(٢) لعأ : صوت فيه معنى الدعاء لمن تعثر قدمه و (لالعا) دعاء عليه .

(٣) اخترط : (السيف) استلّه . الحاسر : من لا درع له ، أو لا شيء على رأسه ، وعكسه : المسرد : وهو لابس السرد أي درع الحديد .

(يا كوى!) - والكوى خيال الصَّعاليك.....ك ، أهذا وَشْيُ البَيانِ الْمُجَوَّد ؟
 (الكوى!) هيه (واتمَّدد!) والرَّأْيَةُ ، يا صاحِبَ القَريضِ المَجْدَّد !
 لَيْتَ مَنْ أَوْهَمَتْهُمْ ، فَيْكَ ، دَعُوا.....كَ ، يَرُونَ المَكْسُوَّ كَيْفَ تَجَرَّد !
 وبدا عاريَّ القَريحَةِ والسَّوْءَةِ يَلْقَى شَمْساً بِمَقْلَةٍ أَرَمَد !
 غَصَّ بالسَّابِقِينَ ، قَصَّرَ عَنِ شَأْنِ.....و ، وَأَرَاغُوهُ ، فَالْتَطَى وتَلَدَّد ^(١)
 وَمَشَى فِي غِبَارِهِمْ ، سَاقَطَ النَّفْسُ.....س ، لُغُوباً ، بِأَخْبَثِيهِ مُزَوَّد ^(٢)

* * *

وَيْكَ! مازِلْتَ أَحْرَقَ الرَّأْيِ وَالْخُطْبَةَ ، ذَا شَيْبَةٍ ، وَكُهْلًا ، وَأَمَرَد !
 أَنَا مَنْ لَا تَعْبُهُ إِنْ دَعَا الجَسَدَ ، قَوَافِيهِ فِي مَغِيبٍ وَمَشْهَد ^(٣)
 مَصْغِيَّاتٍ لَهَا المَخَافِلُ ، مَا تَ.....ة ، بِعَمْرُويِّهَا ، الحَدِيثُ المَرْدَّد
 وَأَنَا المَرْسِلُ الكَلَامَ شَأْيِ.....بَ لَهَيْبٍ ، تَشَقَّى لَهْنٌ وَتَسْهَد !
 وَالَّذِي عَوَّدْتُهُ هَمُّهُ الطَّعْمَ.....نَ ، بِدَارًا ، وَنِعَمَ شَأْنُ المَعْوَد ^(٤)
 وَأَنَا السَّاحِرُ المَعِيدُ العَمَالِيَةَ.....قَى ، قِمَاءً ، وَالزَّيْفَ وَهَمًّا مَبْدَّد !
 أَنَا هَذَا ، فَدَعَ نَشِيدًا تَلَقَّتْ.....هِ قُلُوبٌ ظُمَأَى ، فَغَارَ وَأَنْجَد !
 وَالْخَ لِي بِصَفْحَةٍ ، ضَرَبَ الذَّنْوَ.....لَ عَلَيْهَا شِعَارَهُ وَتَأَبَّد !!
 وَإِذَا شَاقَكَ الخِطَارُ ، فَلَا كَ.....نَ يَرَاغُ دَعَا الخِطَارُ ، فَبَلَّد !

* * *

(١) تَلَدَّدَ : تَلَفَتْ تَحِيْرًا ، تَبَلَّدَ .

(٢) الْأَخْبَثَانِ : الْبُولُ وَالْغَائِطُ ، اللَّغُوبُ : التَّعَبُ ، الْإِعْيَاءُ ، الْكَذِبُ لِلْإِفْسَادِ .

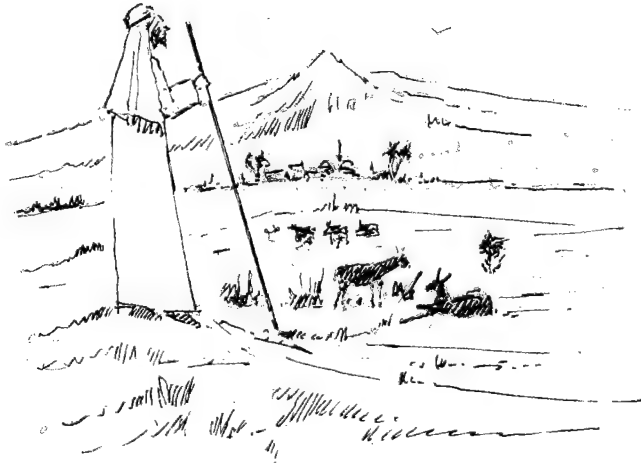
(٣) تَعْبُهُ : تَسْتَطِيعُ وَصَمَهُ بِالْعَيْبِ أَوْ التَّقْصِيرِ .

(٤) بِدَارًا : مَسْرَعًا ، مَبَادِرًا .

أيها التَّائِم الذي يَشْرُقُ القو.....لُ بفيه ، من الكلال ، فيخمد !
 البيانُ المضيءُ ما أشرقت في.....ه معانيه بالفِرْنْدِ المنضد
 والتنظيمُ الأخاذُ ما أطلق الفِتْ.....نة فيه ، عفوَ السَّجِيَّة ، مفرد
 كلُّ لفظٍ منه هَزَارٌ ، إذا نا.....غاه حُسْنُ المعنى ، أجاب ففرد
 وثرأء الأفكارِ بالمُشرقِ النَّبا.....صع ، تسمو به الغيوم وتَصعد
 والخيالُ الممتدُّ ، في أفقِ الفك.....ر ، خِضْمٌ أمدأوه ما تُحدِّد
 تتسامى به رُؤى العبقريِّ.....ن ، جَمالاً طَلَقاً ، وسِحراً مجرَّد
 لا لَهائاً ، تردَّدت فيه أنفا.....سُ ضعیفٌ ، تَغيب فيه وترتدُّ
 وذرى الفن ، للبصيرين بالفن.....، مقامٌ على الزَّمانِ مخلَّد
 تتلقَى سفوحها نَهْلَةً الخِص.....ب ، فتربو ، قَوَاحَةً ، وتورَّد
 والجديد الكائى جديبٌ ، وإن فا.....ض به العَيْثُ ، ساكباً ، وتردَّد
 رَبٌّ نامَ زَكا على بسمَةِ الغي.....ث ، وذابوا إن يبلغ الرِّيَّ يَكمد
 وسبيلُ الحياة ، في الخِصبِ والجَد.....ب ، يراه الجهولُ لُغزاً معقَّد
 إن سراً يخبو به الهَرَمُ الشا.....ئه سِرٌّ في ناشئٍ يتوقَّد
 وحياةُ الزَّمنى فناءً ، وإن ظنَّ.....وجوداً ، أو ادَّعى ، وتكبَّد^(١)
 وصراعُ الحياة قانونُهُ القو.....ة ، لا الضَّعْفُ ، إن وهى أو تجلَّد
 وسلاحُ النفوس ، في زحمة الكو.....ن ، سجايا ، تُشقى بهنَّ وتَسعد
 وطريقُ القويِّ ، في هذه الدَّن.....يا ، سواءً عسيرُهُ والمعْبَد
 وطِمَاحُ القلوبِ يَخترُقُ الوع.....ر ، وُثوباً ، بعزْمَةٍ منه أصلد

(١) الزَّمنى : جمع زَمَن ، الضَّعيفُ المتراخي من توالي مرضه المزمن .

والضَّعِيفُ الْكَلِيلُ يَنْفُثُ شَكْوَاهُ.....ه ، دموعاً حَرَّى ، وَيَأْساً مُصْعَدَ
 كُلَّمَا هَبَّ خَانَهُ هَرَمُ النَّفْسِ.....س ، فَأَقَمَى وَاهِي الْعَزِيمَةَ ، مُجْهَدَ
 واشتكى « شَجْوَهُ » إِلَى « أَنْجَمِ الْأَفْسَاقِ » ، وَأَرْغَى عَلَى « الْفُرُوقِ » ، وَأَزِيدَ^(١)
 دَاعِياً « حَظَّهُ » دَعَاءَ الْمَهَازِيلِ.....ل ، فَلَا اعْتَدَّ النَّبَالَ ، وَسَدَّدَ
 حَافِزاً « قَلْبَهُ » الرَّثِيثَ ، وَهَلْ لَبَسَ.....ي فَوَادُ الْمَشْفِي نِدَاً فَأَسْعَدَ
 الْكَفَافَ ! الْكَفَافَ ! يَا « مُشْبِيَةَ الزُّهْرِ.....ر » « بَرُوزاً ! » وَالْعَيْشَ مَرّاً مِنْكَدَ
 وَالْحُجُولَ الْمَجْفُوءَ ! وَالسَّخْرَ ! وَالْقَدَ.....ةُ ! فَاطْمَعْ ، إِذَا رَجَوْتَ ، أَوْ ازْهَدَ
 فَالْعَمَالِيْقُ - أَيُّهَا الْقَزْمُ لِلْسَّبِّ.....ق ، إِذَا ذُلُّ سَاخِطَ ، أَوْ تَمَرَّدَ
 وَأَبْرُ الْجِهَادِ هَدْمُ الضَّلَالَةِ.....تِ ، فَهَلْ يَسْنَحُ الْجِهَادُ ، وَتَزْهَدُ ؟



(١) الْفُرُوقُ : الشَّدِيدُ الْفَرَعِ .



مبدأ النزاع بين الخير والشرّ قديم دائم ، ما تهدأ ناره ، والنفس الإنسانية ميدانه
المزدحم بالضحايا .

وهذه خواطر ونظرات شتّى في الليل ، تمثل صورة من صور الصراع بين حقائق
النفس ، وحقائق الدنيا - كما هي - أو بين الواقع والواجب ، فإذا أوشك العقل أن يزلّ ،
قادته بصيرة الدين الثابتة إلى الطمأنينة والاستقرار .
(الناظم)

يا شاعرَ الكونِ ، وفئانه	وعبقرياً ، صاغ ألحانه !
وعاشقاً ، أوطأه قلبه	مخاطرَ الحبِّ ونيرائه !
جافى الهوى ، لا خائباً عنده	وإنما أنكرَ ميزائه
لم يسأمَ الحُسنَ ، ولا وحيه	ولا اجتوى الحبِّ وأشجائه
لكنه ، والطهرُ مأمولُهُ	عافَ دنياه وأدراؤه

* * *

يا صامتاً ، يشكو إلى نفسه	آلامَ بلواه ، وأحزائه !
يرى ويصغي مطرقاً واعياً	لا تخطيءُ الهمسةُ أرغائه ^(١)
سهران - والعالمُ في حضنه	غاف - يعقُّ النومُ أجفائه ^(٢)

(١) أرغانه : محوَّرة عن « أرغن » الآلة الموسيقية الوترية المعروفة .

(٢) يعق : يعصي .

هل غابَ آسيه ؟ وما حَظُّه ؟ وهل أضلَّ الأينُ نُدمائَه ؟

* * *

يا ليلُ ، يا رمزَ الغنى والجوى يا ظامئاً ، جانبَ غُدرائِه !
مَورِدُك الحافلُ يُطْفِئُ الظَّما يَغْرِطُ وُرَادُك جِيرائِه
وأنتَ تَأباه ؟ فيا لِلْغنى يَخْتَارُ من دُنياه قِنعائِه !

* * *

يا فيلسوفاً ، أَصغَرَتْ نَفْسُه مناعِمَ العيشِ وألوائِه !
قد سَايَرَ الماضيَ وأحداثِه فَكَّرَ الآتيَ وبُهتائِه
ورافقَ النَّاسَ وأهواءَهم فعادَ وارِى القلبِ غَصائِه
أنكَرَ ، ما أنكَرَ من شأنِه ؟ حتَّى جفا الدُّنيا وخُلائِه ؟
هل حَبِثُوا ؟ فالطَّيْنُ أصلُ لهم نعرِفُ في الأفعالِ بُرهائِه

* * *

يا آسيأ ، ضاقَ بأوجاعِه ومُسعداً آثرَ جِرمائِه !
كم ساخَطَ زائِلُه رَشْدُه مُستَيِّساً أسَكَنْتَ بُحرائِه ^(١)
وموجَعَ مُتَقِدِ قَلْبُه مَضاضَةً ، أطفأتَ بركائِه
وبائس ، ناداك ، لَبَّيْتِه والصَّبْرُ - وَنَحَ الصَّبْرُ - قد خائِه ^(٢)
لا يَنْعِمُ العيشُ ، بل بالرُّضى .. بل بالرُّضى حَقَّقَ غُنيائِه ^(٣)

(١) البحران : التغير في وضع المحموم فجأة ، فيعرق ، وتهبط حرارته ، وهو من اضطراب الحمى .

(٢) ويغ : كلمة ترحم وتوجع . وقيل هي بمعنى : ويل .

(٣) الغُنيان : الحاجة ، يقال : ماله عنه غنيان ، أي : ماله عنه بُد .

وعاشقٍ يَخْفِقُ في صدره قلبٌ يَهْدُ الْوَجْدُ أركانَه
 بادرته بالهاجر المرتجى .. في أمل آسن وجدانه
 وأمّ طفل - أن في حجرها تُحسُّ كالأسهُم إرنائه^(١)
 ترأّمه .. تَلَحْظُ أنفاسه .. مذعورة .. تَرْهَبُ فِقدائه^(٢)
 أهديته النّومَ رقيقاً به فقرَّ ساجي الطّرفِ وسنائه

* * *

يا ليلُ ، يا ليلَ الهوى والرؤى يا مُلتقى الفنّ وديوانه !
 ويا شعاعَ السّحرِ ، يا نبعه ومِشعلَ الفكرِ وربّائه !
 يا نافثَ الفِتنةِ رفاقاً وعَبَقَرَ الشّعْرِ وِدْهقائه !^(٣)
 ثَلَقْنُ الْمُطَرِّبَ الحائِه وتُلهِمُ الشّاعِرَ أوزائِه
 وشاحكَ الأسودِ مُلقٍ على الدُّ..... نيا روى الحُسنِ وأفنائِه

* * *

سامرتَ (أوتيرب) على عُودِها تَسْكُبُ في أَذْنِكَ ثَحنائِه^(٤)
 ألقتَ (أراتوس) على وَقْعِه من شِعْرِها البارِعِ فَنائِه^(٥)
 يَنسى (كيوبيد) له قوسَه ويزدري (فويوس) شيطانِه^(٦)
 كائنه بين يديها ، إذا تَدَاوَلَ (المِضْرَابُ) (دُوزائِه)^(٧)

(١) الإرنان : الصوت .

(٢) ترأّمه : تحبه وتعطف عليه وتلزمه .

(٣) الدّهقان : السيد الرئيس والخير .

(٤) أوتيرب : رمز الموسيقى في الأساطير اليونانية .

(٥) أراتوس : رمز الشعر في الأساطير اليونانية .

(٦) كيوبيد : رمز الحب في الأساطير اليونانية . فويوس : رمز العبقرية في الأساطير ..

(٧) المضرب : آلة الضرب مثل العود وما أشبه . الدوزان : ضبط النغم .

فَانْطَلَقَتْ أَوْتَارُهُ ، نَافِثاً مِنْ شَجْوِهِ مَا مَلَّ كِتْمَانُهُ
مَزْمَارُ دَاوُدَ ، وَقَدْ رَجَّعَتْ مُوَاطِنُ الْإِحْسَاسِ إِحْسَانُهُ

* * *

يَا لَيْلُ ، يَا قَائِدَ جَيْشِ الدُّجَى يَا بَطْلًا ، خَلَدَ فُرْسَانُهُ !
وَمَعِيزًا ، يَنْهَضُ ، مَا حَاوَلَتْ أَفْهَامُ حَسَادِكَ تُكْرَانُهُ !
وَأَيُّ لَهْفٍ لِلَّهِ ، فِيهَا يَدٌ بِيضَاءُ ، جَلَّ اللَّهُ سُبْحَانُهُ !
وَيَا حَلِيمًا جَاعِلًا سَيْفَهُ أَخْلَاقَهُ الْغُرَّ وَإِيمَانُهُ !
يَا فَاتِكًا مَلَّ ، عَلَى قُوَّةٍ ، ضَرَاوَةَ الْفِتَنِ وَنَشْدَانُهُ !
وَرَاعِيًا أَضْنَكُهُ جَهْدُهُ فَنَاءً مَا يَحْفِلُ قُطْعَانُهُ !
فِي صَمْتِكَ الْمَوْهُوبِ ، فِي سَطْوِهِ مَا أَحْجَلَ الْبَحْرَ ! .. وَشُطْآنُهُ !
خَالَكَ مَعْنَى الشَّرِّ أَوْ رَمَزَهُ (مَانِي) ، فَاسْتَنْفَرَ أَعْوَانُهُ ^(١)
وَنَارٌ يُزْجِي حِقْدَهُ ضَعْفَهُ وَتُعْلِنُ الْغَيْرَةَ عِصْيَانُهُ
وَأَنْتَ لَمْ تَعْبَأْ لَهُ مُقْبِلًا أَوْ مُدْبِرًا ، مُحْتَقِرًا شَانَهُ
حَتَّى إِذَا مَدَّ لَهُ جَهْلُهُ مَطَامِعَ الْوَهْمِ وَأَرْسَانَهُ
أَعْلَنْتَ مِنْ سِرِّكَ مَا هَالَهُ فَارْتَدَّ مَا كَابَرَ إِمْكَانَهُ
تَسَحَّرُ مِمَّا نَالَهُ نَفْسُهُ بِهِ ، فَتَسْتَضْحِكُ أَقْرَانُهُ
قَسَوْتُ ، يَا لَيْلُ ، عَلَى مُثَخِّنٍ أَدْبَرَ ، خَابِي الْعَزَمِ ، وَهْنَانُهُ ^(٢)

(١) ماني : صاحب عقيدة مزعومة ، تقوم على مبدأ الثنوية ، قوامها الصراع بين الخير والشر ، أو النور والظلام ، موطنها بلاد فارس - قديمًا -

(٢) الأدبر : المارب لفساد . خابي العزم : خائر القوى . الوهنان : الشديد الضعف .

يَقْبَعُ فِي عُزْلَتِهِ مُعْوِلاً أَوْ لَاغِباً ، يَجْتَرُّ أَضْغَانَهُ ^(١)
 رَدَّدَ فِي أُذُنَيْهِ هَمْسَ الدُّجَى وَالْخَوْفُ قَدْ زَعَزَعَ جُثَاثَهُ
 اللَّيْلُ .. إِنَّ اللَّيْلَ مَرُّ السَّطَا يَحْمِي رَهِيْبُ الْهَوْلِ مَيْدَانَهُ ^(٢)

* * *

يَا لَيْلَ ، يَا نَاسِكَ هَذَا الدُّجَى وَزَاهِداً وَدَّعَ أَوْطَانَهُ !
 مَعْتَزِلاً دُنْيَاهُ فِي وَحْشَةٍ عُمْرُكَ ، مَا قَضَيْتَ رِيْعَانَهُ
 وَتَسَامُ الْعَيْشَ ؟ فَيَا لِلْأَسَى ! نَقْرَأُ فِي صَمْتِكَ عَنَوَانَهُ

* * *

يَا لَيْلَ ، هَذَا سَرْمَدٌ ، مَا بَيْنِي ، يُغِذُّ ، مَا يُمِهِّلُ رُكْبَانَهُ
 الْأَبْدُ الْمُمَعِنُ فِي سَيْرِهِ مَتَى تُرَى يَقْطَعُ أَشْطَانَهُ ؟
 وَالْفَلَكَ الدَّوَارُ مُسْتَقِظاً هَلْ سَمِعْتَ عَيْنَاهُ شُهْبَانَهُ ؟
 وَنَحْنُ أَسْرَى عَالِمٍ دَائِبٍ نَائِمُهُ أَشْبَهُ يَقْظَانَهُ
 فَمَنْ تُرَى يَمْطُلُهُ دَيْنُهُ ؟؟ أَوْ مَنْ تُرَى يَخْلَعُ سُلْطَانَهُ ؟
 فَانْهَضْ بِأَعْبَائِكَ ذَا قُوَّةٍ وَدَعْ لِنَجْوَى الضَّعْفِ رُهْبَانَهُ
 وَلِتَكُنِ الدُّنْيَا عَلَى قُبْحِهَا ، حُسْنًا يُوَارِي الْعَقْلَ نُقْصَانَهُ
 فَرُبَّ نَقْصٍ فِي جَمَالٍ غَدَا تَشِيدُهُ الْحَبَّ وَلُقْيَانَهُ
 فَاضْ بِهِ الْحُسْنَ ، وَطَابَ الْهَوَى وَأَيَّدَتْ نَجْوَاهُ إِعْلَانَهُ
 وَالنَّقْصُ فِي الْكَوْنِ كَمَالُ لَهُ يَحْدُو إِلَى الْغَايَةِ أَطْعَانَهُ

* * *

(١) يقبع الرجل : يدخل رأسه في ثوبه . الأضغان : جمع ضغن ، الحقد .

(٢) السَّطَا : لعله يقصد السَّطَو ، بمعنى القهر والبطش والغلبة ، على أن مصدر سطا : سطو ، وسطوة .

يا ليلُ ، هل يغفلُ عنك الورى
كَلَّا ! فهذا عالَمٌ جاجِدُ
يا ليلُ ، هذا عالَمٌ نائرُ
يا ليلُ ، هذا عالَمٌ أهْوَجُ
يا ليلُ ، هذا عالَمٌ سادرُ
ضعيفه مفترسُ جهرةُ
يا ليلُ ، ما غشياننا عالماً
عالمنا - يا ليلُ - ذو قسوةُ
يا ليلُ ، لن نأمنَ في عالِمِ
إن طلبَ الحقُّ به فاضلُ
أو طامنَ الحرُّ به نفسه
والأعزلُ المدليجُ نهبُ القنا
يا ليلُ ، دنياك سِمامُ الحجى
الفتكُ فيها سنةٌ تُقتفى
فاسبقُ إلى الفتكِ بمن خفته
واحملِ على الآمنِ في سربه
فالعيشُ حربُ ، سادَ فيها الهوى

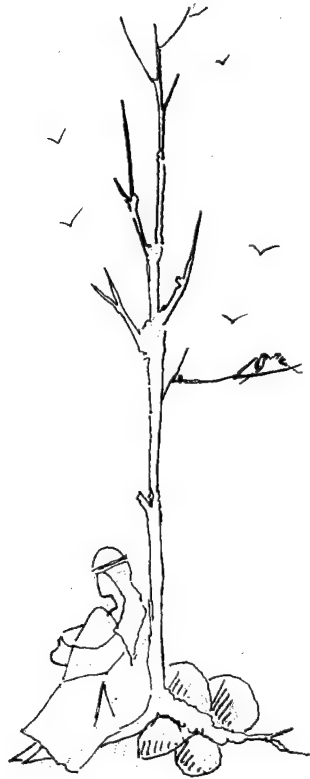
نكراتك العيشَ وهجرائه ؟
مديته يَملُ دَيانَه^(١)
واثبَ فيه إنسه جائه !
يبدقه طاوَلُ فرزائِه^(٢)
رشيده صاحبُ غيائِه !
حاكت يدُ الطغيانِ أكفائه
كاسيه لا يرحمُ غريائِه ؟
راويه ما يعبأ ظمائِه !
شبعائه سخر جوعائِه !
هدَّ غرامُ الظلمِ بُنيائِه
أباح للطاغين إهوائِه
فيه ، وإن سالمَ عُقبائِه
أضلَّ فيه الرّوحُ سلوائِه !
والفوزُ للمقحمِ غدوائِه
تردُّ على الظّالم طغيائِه
إن لم يكن لاقينك .. أوكائِه
وأسلمَ الناظرُ إنسائِه

* * *

(١) المدين : من كان عليه ذنن . وعكسه : الذيان .

(٢) البيدق والفرزان : من أدوات اللعب في الشطرنج .

ياليلُ .. لا ، فالَّذينُ فوقَ الحِجَى فليُعلِنِ النَّائِرُ إِذْعانَه !
 بَصِيرَةُ الدِّينِ ، وهلَ غَيْرُها رَدُّ عَلَى الحائِرِ إيقانَه ؟
 تقودُنَا للخيرِ في حِكْمَةٍ تروِي لَهيفَ القلبِ حِرَّانَه
 جَلَّ عِلاَ اللهِ ، وَقَرَّتْ بِهِ ضَمائِرُ ثَلَهيمِ عِرْفانَه
 فتُوثِرُ الخيَرَ على ضِدِّه وتَسْمِيحُ اللهُ غُفْرانَه

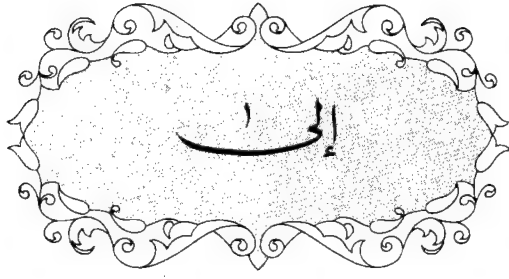




لَمْ يُعْنِي بِنَقْدِهِ وَهَجَائِهِ شَاعِرٌ ، لَا يَرَاهُ مِنْ نُظَرَائِهِ
قَالَ هَذَا الْمَقَالَ بَعْضُ مُرِيدِيهِ ، وَرَأْسُ الْمَاشِينَ تَحْتَ لَوَائِهِ
فَأَصَاحُوا إِلَيْهِ ، وَاعْتَدَّ عَوَاذُ ، فَخَوْرًا ، بِمَا رَأَى مِنْ ذَكَائِهِ
تِلْكَ أُمْنِيَّةٌ يُصَوِّرُهَا الْجَهْلُ ، رَأَاهَا خَلِيقَةً بِعِزَائِهِ
قَالَ : حَسْبِي ذُبُوعٌ صَيِّتِي ، وَقَدْ يَنْدُبُهُ صَيِّتُ الْأَدِيبِ بَعْدَ خَفَائِهِ
وَأَحَاطَتْ بِهِ الْخَفَافِيشُ ثَوْلِيهِ مَدِيحًا ، يَزِيدُ فِي خُيَلَائِهِ
مَنْطِقُ صَائِهِ التَّكْتُمُ حِينًا ثُمَّ لَجَّ الْعَبَاءُ فِي إِفْشَائِهِ
وَدَلِيلُ ، تُقِيمُهُ غَفْلَةُ الْجَهْلِ ، وَتَعْمَى عَنْ زَيْفِهِ وَالتَّوَائِهِ
إِيهِ ! يَا زُمَرَةَ التَّقَهُّرِ وَالْعَجْزِ ، وَيَا عُصْبَةَ (الْحَنَّا) وَاشْتِهَائِهِ !
مَا عَدَدْنَا زَعِيمَ أَمْرِكَ كُفْعًا لَا ، وَلَا رَاعِنَا بَغِيضُ عَوَائِهِ
غَيْرَ أَنَّا نَرَى التَّنَادُرَ فَرَضًا بِأَدِيبٍ ، مُسَخِّفِ الْعَقْلِ ، تَائِهِ
فَنَشْرُنَا تَارِيخَهُ بَيْنَ عَيْنِيهِ ، وَلَمَّا نَجِدْ فِي اسْتِقْصَائِهِ
هُوَ دَرَسٌ ، تَعَجَّلَتْهُ يَدُ الْفَنِّ أَلِيمٌ بِصَدَقِهِ وَجَلَائِهِ
فَاحْفَظِيهِ ، وَرَدِّدِيهِ ، فَقَدْ أَظْهَرَ عَوَاذَ بَعْدَ طَوْلِ انْزَوَائِهِ
وَحَبَاهُ فَضِيحَةً خَلَّدَتْهُ وَمَشَى خَزْيُهَا إِلَى خُلَطَائِهِ
دَفَعُوهُ ، وَشَجَّعُوهُ ، وَآلَوْا بِأَبَاطِيلِ وَدَّهِمْ وَإِخَائِهِ

أَنَّهُ الشَّاعِرُ الْمُبَرِّزُ ، واستش..... هَذَ فَدَمَ مِنْهُمْ بِيَعُضْ هُرَائِهِ
فَتَصَدَّى بِنَظْمِهِ الْفَجْ لِلدَّغْ..... كَةِ ، طَارَتْ بِرُشْدِهِ وَمَضَائِهِ
وَإِذَا بِالسَّلَاحِ يَنْبُو ، وبالشَّا..... عَرَّ يَكْبُو ، وَالسَّهْمُ فِي أَحْشَائِهِ
فَتَرَامِي بَعِينِهِ ، يَطْلُبُ النَّجْدَ..... دة ، وَالْيَأْسُ مَائِلٌ فِي رَجَائِهِ
فَرَأَاهُمْ قَدْ أَسْلَمُوهُ ، وولَّوا ، أَذْهَلَتْهُمْ نَجَائُهُمْ عَنْ نَدَائِهِ
أَفْهَذَا ، يَا زُمَرَةَ الْأَدَبِ الْمِي..... تِ ، مَا يَرْتَجِيهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ؟
زُمَرَةُ أَنْتُمُوهُ ، وَمُصْلِيكُمْو النَّا..... رَ وَحِيدٌ فِي هَدْمِهِ وَبِنَائِهِ
يَتَحَدَّكُمْ بِكُلِّ اَزْدَارٍ وَمَنْ الْعَارُ جُبْنُكُمْ عَنْ لِقَائِهِ
إِيهِ ! يَا عُصْبَةَ الْعَنَائَةِ وَالْمَسْ..... خِ ، وَيَا سَارِقِي نِتَاجِ الْبَدَائِهِ !
قَدْ رَأَيْتُمْ نَهَايَةَ الصَّنْغَمِ الْخَا..... وَي ، رَمَاهُ الْغُرُورُ مِنْ عَلَيَائِهِ
وَشَهِدْتُمْ آمَالَكُمْ يَعْصِفُ الْفَنُّ..... بِهَا مَاضِيًا عَلَى غُلُورَائِهِ
وَسَمِعْتُمْ مَقَالََةَ النَّاسِ فِي عَجْ..... زِ أَبِي قَاسِمٍ ، وَفِي أَصْفِيَائِهِ
وَرَأَيْتُمْ إِفْلَاسَهُ ، وَتَلَاشِيَهُ..... هِ ، وَمَا كَانَ مِنْ أَلِيمِ انْكِفَائِهِ
فَأَقِيلُوهُ غَمْرَةَ الْقَدَرِ الْعَا..... تِي ، اسْتَكَنَّ الْفَنَاءُ فِي أَطْوَائِهِ

★ ★ ★



إلى طَلَلٍ ، جَرَّ العَفَاءُ ذِيولَه
فَأَصْبَحَ مَجْفُوءًا ، يَجُولُ به الِيلَى
إلى الصَّنَمِ الهاوي ، وقد ثَلَّ عَرْشَه
يَطُوفُ به هَزَلَى رَزَاجٍ ، تَهَاوَتُوا
أَنَاطُوا بِهِ آمَالَهُمْ ، فَتَعَثَّرَتْ ،
إلى الباطِلِ المَهْزُومِ بعدَ افْتِضَاحِهِ
أَرَاخَ مَجَالًا لِلظُّهُورِ ، فَرَامَه ،
إلى العِيشِ جَشْبًا ، مَا يُيْلُ بِهِ ظَمًا
تُجَافِيهِ أَسْبَابُ الحَيَاةِ تُرْفَعَا
وَيَجْتَازُهُ خَطُؤُ الزَّمَانِ وَأَهْلُهُ
إلى كِبْرِيَاءٍ ، حَطَّمُ الحَقُّ رَكْنَهَا
تُكْشَفُ عَنْهَا بَاطِنٌ مُتَجَهِّمٌ
فَصَالَتْ ، وَهَلْ تَرْضَى الصَّبِيَالَ هَزِيلَةً
فَالزَّمَهَا غَارَ الجُمُودِ مَظْفَرٌ
عليه ، وَعَقَّتْهُ الرِّيحُ السَّوَاحِرُ
كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ فِيهِ حَيَاةً وَسَامِرُ
زَمَانٌ عَلَى هَدْمِ الضَّلَالِ قَادِرُ
عليه ، ثُمَّنِيهِمْ نَفُوسٌ فَوَاتِرُ^(١)
وَعَاجَلَهُمْ مِنْ مُتَّقَى الهَوْلِ فَاغِرُ
وَقَدْ سَمَّتهُ أَنْفُسٌ وَضُمَائِرُ
وَمَا هُوَ ، قَدْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
وَيَقْدَى يَبْلُوهَا التُّهَى وَالتَّوَاطُرُ^(٢)
وَيُسَلِّمُهُ لِلذَّلِّ مَاضٍ وَحَاضِرُ
كَمَا اجْتَازَ مَرْتَادَ النَّجَاسَةِ طَاهِرُ
وَعَاجَلَهَا بِالْمَوْتِ رَامٌ مُحَازِرُ
يُسَانِدُهُ مِنْ سَكْرَةِ الطَّيْشِ ظَاهِرُ
يَقُودُ خُطَاهَا أَخْرَقَ الرَّأْيِ سَادِرُ؟
وَنِعَمَ مَجَالُ المُدْبِرِينَ المَغَاوِرُ

(١) الرِّزَاح : الهزال الشديد حتى لا يقوى صاحبها على النهوض . فواتر : جمع فاتر ، الضعيف المتراخي .

(٢) العيش الجشب : الطعام الذي لا إدام فيه ولا غذاء .

إلى الزَّيف مَدْحوراً ، ومُزجيه عارياً
تَطُول أمانيه ، وَيَقْصُر سَعِيهِ
لَيْنَ كانَ وهماً ، شَيْدَ الجَهْلُ صرَحَه
إلى عِظَةِ الدُّنْيَا بمن قاده الهوى
يُرَدِّدُهَا التَّارِيخُ ذِكْرِي كَلِيلَةً
إلى العُمُرِ الممتدِّ ، لم يَجْنِ طَوْلُهُ
تولَّتْ غَوَايَاتِ الصَّغَارِ قِيَادَهُ
إلى المهجة الحَرَّى أَسَى وَغَضاضَةً
إلى النُّظْرَةِ الحَيْرَى تَلَمَّسُ مُنْقِذاً
إلى الأمل الذَّأْوَى ، إلى حُلْمِ عُصْبَةٍ
إلى جِفَةٍ ألقى بها اليَمُّ جانقاً
إلى بومَةٍ ملَّ الخرابُ نَعِيقَهَا
إلى شاعِرٍ رَخِوِ البَيَانِ أذَاقَهُ
وَعَرَّاهُ مِنْ أَسْمَالِهِ فتنَادَرَتْ
وسارت بِبِلَوَاهِ الأَحَادِيثُ ثَرَّةً
سَهَامٌ هَجَاءٍ راشَهَا كَفُّ مَاهِرٍ

أهاضَ جناحيه الكسِيرَيْنِ قاهرُ
فَهْمَتُهُ في مَأْزِقِ الجِدِّ عَاقِرُ
فقد كانَ وهماً بَدَّدَتْهُ الصَّرَاصِرُ
فأرداه ، ما تَنَدَّى عليه المحاجرُ
وتلَعْنُهَا أَشْبَاهُهَا والنَّظَائِرُ
وقاراً ، ولم يَكْبَحْ زِمَامِيهِ زاجرُ
وهل فازَ مَنْ قادتْ هَوَاهُ الصَّغَائِرُ؟
تَدَاوَلَهَا حَرُّ الظُّلْمَا والهَواجِرُ
يَهيمُ بها ليلٌ من اليأسِ حائرُ
تَزَايَلَ عَنْهُ المَدَّعِي والمكابرُ
فشاهَتْ بها شُطَّائُهُ والكِوَاسِرُ
يَضِيقُ بها مُغْفٍ ، وَيُيْلِسُ سَاهِرُ^(١)
من الويلِ أَلْوَانُ المَهَانَةِ شاعِرُ
بِسَوْءَتِهِ أَرِيافُنَا ، والحَواضِرُ
مَشَتْ بِصَدَاها المِستَفِيزِ النَّوَادِرُ
يُؤَيِّدُهُ مِنْ عِزْمِهِ الصِّلْدِ باتِرُ^(٢)

(١) مغف : اسم فاعل من أغفى ، إذا نام . أبلِس : سكت بعد انقطاع حجته .

(٢) راش السَّهْم : ركب فيه الرِّيش .

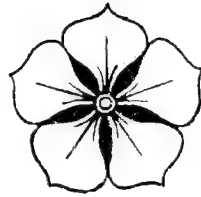


طُيُوفٌ مَعَانٍ مَا تَبَيَّنُ لِرَائِي وَتَجْوَى دَفِينٌ أَغْرِمَتْ بِيَقَاءِ
 حَداها الذي يَحْدُو الْجَنَادِبَ فِي الدُّجَى إِلَى الْجُهْدِ ، فِي دُنْيَا عَمَى وَخَفَاءِ
 فَإِنْ قِيلَ : كَانَتْ ثَوْرَةَ الْيَأْسِ آنَتْ صَدَاها بِها ، مَعْنَى بُكَاءِ وَرثَاءِ
 فَكَمْ مِنْ خَشَّاشٍ فِي الْحَيَاةِ نَصِيئِهِ مِنْ الْكَدْحِ أَدْنَى مَرَقِدِ وَغِذَاءِ
 وَمَا عَيْشُهُ فِيهَا بِمُعْطِيهِ مَنْزِلًا سِوَى مَنْزِلِ الْأَشْبَاهِ وَالنُّظَرَاءِ
 وَمَنْ ضَاقَتْ الدُّنْيَا بِهِ فَعَزَاؤُهُ مُتَّاحٌ ، وَإِنْ لَمْ يَتَّصِلْ بِرَجَاءِ
 وَمَا مَنَعَ الْعَانِي أَنْ يَأْتِيَ فَحَسْبُهُ بِهِ ، إِنْ أَطَافَ الدَّهْرُ بِالْبُرْحَاءِ
 فَرُبَّ شَكَاةٍ أَطْفَأَتْ وَقْدَةَ الْجَوَى وَأَرَحَتْ زَمَامَ الْعَيْشِ لِلْبُلْهَاءِ
 وَرُبَّ جَبَانٍ يَدَّعِي الْبَأْسَ مَدِيرًا وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْ شِيْمَةِ الْجَبْنَاءِ
 وَفِي النَّاسِ أَمْثَالُ الْجَنَادِبِ بِأَسْهُمِ صَرِيرُ هَوَانٍ أَوْ خُفْوُ غَنَاءِ
 فَإِنْ سَكَنُوا ، رَانَ الْخُمُولُ عَلَيْهِمْ وَإِنْ تَأَمَّوْا ، لَمْ يَرْجِعُوا بِجَزَاءِ

* * *

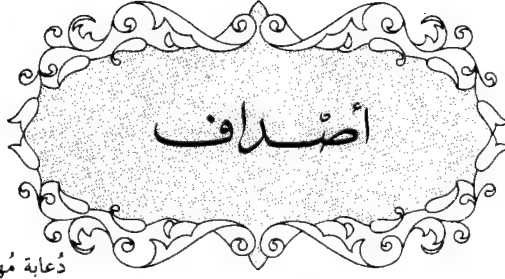
وَمُضْطَّعِنٍ ضَاقَتْ مَذَاهِبُ عَيْشِهِ فَعَرَّضَ بِالْعَوْرَاءِ لِلْكَرْمَاءِ
 وَمَا هُوَ عِنْدَ الْبَأْسِ إِلَّا ذُبَابَةٌ وَلَوْ جَهَّدَتْ - لَيْسَتْ بِذَاتِ غَنَاءِ
 تَذَرَعُ بِالزُّلْفَى لِنَيْلِ طِلَابِهِ غَرِيرٌ ، وَمَا الزُّلْفَى دَلِيلُ إِبَاءِ

ورامَ المُنَى من حَظِّه ، لا غِلاَبَه
 إذا الحَظُّ لم يُبْلِغَكَ صَرَحاً أَقامَه
 فما القَوْلَ مَسْمُوحٌ ، ولا الجُهدُ نافِذٌ
 ولي من ظُنُونِ السَّوِّ ما يَسْتَحِقُّه
 يَدَسُّ زُعافَ السُّمِّ في عَذَبِ حُبِّه
 ويرتَجِلُ الدَّعوى تَقَمُّصَها الهوى
 وإِنِّي لَدارِيا ، ولكن من التَّهَى
 رَجاءٌ ، ولا دَعوى ، وحقٌّ ، ولا هوى
 ورُبُّ مُنَى في الحقِّ أيقَظُها الهوى
 وما الحَظُّ إلا طَلَبَةُ الضَّعْفاءِ
 لك الحَسَبُ الوَضاحُ ، دون رِياهِ
 لكلِّ وَضِيعِ الخَلَّتَيْنِ مُرائِي
 سيوايَ ، من الأَوْشابِ والبَلَداءِ
 ويُخفي الجوى في شِيمَةِ الخُلَفاءِ
 من الزُّورِ ، لا عن خِيفَةٍ وحياءِ
 صراعُ الأَفاعي في دَدٍ وإناءِ^(١)
 ورُبُّ رَجاءٍ شَفَّ عن بُرْحاءِ
 إلى لَهْفٍ بالحقِّ ، لَهْفَ رَجاءِ



(١) الدَّد : اللهو ، اللعب . الأناء : التمهّل ، عدم التسرع .

المشروع



دُعابة مُهداة إلى الشَّاعر الصَّدِيق
حسين سرحان ٠٠ تحيةً له

أُبْعِدَ ماسنَحَ الخيالِ وواقى
وعَدَتْ سوابقُ ودَّهِنَّ ذواهباً
من كلِّ نافرةِ الهوى لم تقضِها
سمعتك تهضِبُ بالقريضِ فشاها
فمضتْ بما ظنته فيك مشوقةً
أفذاك همك بالحِسانِ زعمته
فإليكهنَّ نوافراً .. دَعَاءُ
وإليكهنَّ هوى تجسّد صورةً
ما دونهنَّ سوى السُّتورِ ، وقد وهت
فاعزم على ميسورِ أمرك واعتصِر
فالعيشُ عيشُ العازمينَ ، وما أرى
ودَّعَنْ سَرَحَكَ وانطلقنَ خفافاً ؟
بالبرءِ ، ليس وراءهنَّ مُعافى
حقاً ، فكيف تُميلُها استعطافاً ؟
الإبطاءُ ، حينَ تخيّلته زحافاً^(١)
ومضيتُ تُضمِرُ للمُرادِ خلافاً
جنفاً طلبتُ لدفعه الإنصافاً ؟
نظرائهنَّ .. تطرّحتُ إلحافاً^(٢)
فيما بدا منهنَّ .. لا أوصافاً
وتعلّقتُ بالعابرينَ هُتافاً
مما حبّتك كرومهنَّ سلافاً^(٣)
لك ، ما أمنتَ العجزَ ، أن تتجافى

(١) هَضَبَ بالشعر : سَحَ به سَحاً ، الإبطاء : عيب من عيوب القافية ، وهو إعادة ذكر كلمة الرّوي بلفظها ومعناها مرة ثانية في القصيدة ، من غير أن يفصل بين الكلمتين المذكورتين سبعاً أبيات . الزحاف : تغيير يعترى الحرف الثاني من السبب الخفيف أو الثقيل (وتفصيله في كتب العروض) . (والإبطاء والزحاف - هنا - على غير مرادهما اللغوي) .

(٢) الإلحاف : الإلحاح :

(٣) السلاف : أفضل الخمر وأخلصها .

رَوَى الْحَيَا عَهْدًا عَرَفْنَا أَهْلَهُ أَحْمَى عَلَى غَمَزِ الْهَوَى أَنَا
وَعْدًا بِرَحْمَةِ رَبِّهِ مُتَطَلِّبٌ وَصَلَ الْحِسَانِ ، رَأَى الْحِسَانَ فَخَافَا

* * *

يَا أَنْتِ ! إِنَّ فَتَاكِ أَهِيَةٌ حَالِمٌ هَابَ الْعِيَانِ ، فَصَاوَلَ الْأَطْيَافَا
فَتَقَبَّلِيهِ عَلَى الْجُنُوحِ كَرِيمَةٍ رَضِيَتْ بِمَا حَصَدَ الْقَرِيضُ كَفَافَا
فَلَقَدْ تَبَلَّغَتْ الْقَنَاعَةُ غَايَةً فَاضَ الْخِيَالُ بِمِثْلِهَا اسْتِخْفَافَا
وَالصَّبْرُ أَعَوَّنُ مِنْهَجِيكَ عَلَى السُّرَى وَأَرَقُّ فِي عَمِيَائِهِ أُسْدَا

* * *

يَا أَنْتِ ! لَا يَحْزُنُكَ أَنَّكَ زورِقٌ لَمْ يَلَقَ فِي غُرْضِ الْحَيْطِ مَطَافَا
مَلَّاحُهُ أَشْفَى لِدَفْتِهِ ، هَوَتْ فَطَوَى الشَّرَاعَ ، وَأَسْلَمَ الْمَجْدَا
هِيَ تِلْكَ أَسْبَابُ الْهَوَى وَشِبَاكُهُ شِعِرٌ أَطَافَ بِقَائِلِيهِ فَطَافَا
وَلَرُبَّمَا أَجْدَى الْكَلَامُ ، وَإِنْ تَكُنْ مِنْحُ الْحَيَاةِ مُطَالِبًا تَتَكَافَا
فَزِنِّي بِمِيزَانِ الْعَرُوضِ رَوَى الْهَوَى وَمَصِيرُهُ ، وَعُجَابُهُ الرَّجَافَا
وَهَبِي بِمَا تُعْطِينَ قَصْدًا يُرْتَضَى وَيُطَاقُ ، لَا بُخْلًا وَلَا إِسْرَافَا

* * *

يَا أَنْتِ ! مَا كُلُّ الْغَيُومِ تَحْمَلَتْ مَطَرًا ، فَشِيمِي الْعَارِضَ الْوَكَّافَا
فَعَسَيْتِ لَاقِيَةً سَوَاحٍ فَيَضِيهَا إِنْ لَمْ تُصْبِكِ أَدْرُهَا أَخْلَافَا
صِرْنَا إِلَى زَمَنِ يُنَازَعُ قَاعِدٌ فِيهِ الْفَخَارُ الرَّاحِلَ الطَّوَّافَا
لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ الْمَطَامِعَ كَالْهَآ لِلْحَالِمِينَ - كَمَا تُرَادُ - جُزَافَا

أَوْ لَيْتَ مُلْتَمِسَ السَّلَامَةِ نَالَهَا عَرَضاً ، كَمَا تُجْنَى الزَّهْوَرُ قِطَافَا

* * *

يَا لِلْعَقُولِ مِنَ السَّنِينَ ، تَسَاوَقَتْ سُوداً ، مَثْقَلَةَ الظُّهُورِ عِجَافَا
حُسْنُ الْحَسَانِ بَيْنَ وَعْدٍ يُرْتَجَى بِخَلَائِقٍ ، تَتَعَجَّلُ الْإِخْلَافَا
الدَّاعِيَاتِ إِلَى الْحِفَافِ ، وَلَيْتَهُ مِنْهُنَّ كَانَ وَفَاءً لَنَا وَعَفَافَا
الشَّائِبَاتِ وَصَالِهِنَّ لِمَنْ وَفَى وَحَمَى ، وَشَدَّ بِنَاءَهُنَّ زُعَافَا
الذَّارِفَاتِ الدَّمَاعِ حَيْثُ أَرَدْنَهُ سِحْراً يَرُدُّ الْأَقْوِيَاءَ ضِعَافَا
الْمَوْلَعَاتِ بِكُلِّ لَحْظٍ جَارِمٍ لَمْ يَنْتَفِضَنَّ لِوَقْعِهِ اسْتِنْكَافَا
التَّارِكَاتِ جِمَى الْكَرَامَةِ نُهْبَةً لِلشُّكِّ زَلْزَلَ صَرْحَهُ إِرْجَافَا
وَاهِماً لِأَفْعَدَةٍ هُنَاكَ خَضِييَّةٍ عَاشَتْ لَهْنَ عَلَى الْأَسَى أَهْدَافَا

* * *

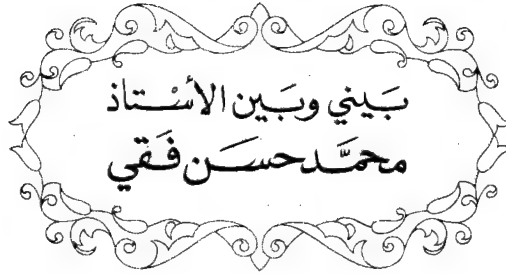
قُلْ لِلَّذِي امْتَلَأْتَ رُؤَاةً لَا كِثْأً أَلْقَتْ عَلَيْهِ شِعَاعُهَا الرِّفَافَا^(١)
صَارَعْتُ أَعْمَاقَ الْبَحَارِ فَلَمْ أَجِدْ - وَرُؤَاكَ - إِلَّا هَذِهِ الْأَصْدَافَا
وَذَهَبْتُ أَتَفَقَّدُ الْعَيُونََ فَلَا أَرَى فِيهِنَّ ذَاكَ الْعَالَمَ الشَّفَافَا

* * *

إِنِّي لِأَسْتَعِدِّي الزَّمَانَ عَلَى الْهَوَى فَأَرَاهُ أَضْيَقَ بِالْمُنَى أَكْنَافَا

★ ★ ★

(١) اللاكث : الضارب بيديه ، أو من التصق بالقذى والشوائب .



صَوْتُ المودَّةِ لا جَرَمَ والسَّبْقُ من دَابِ الكرمِ
أَهْلًا بِدَاعِيَةِ الإخاءِ.....ءِ ، جَلَا مِفَاتِهَا القَلَمُ
فَأَتَتْ بِمَائِثِ الوفا.....ءِ ، جَرَى بِمَرَوِيِّ النِّغَمِ
تَسْرِي بِهِ بِدَعُ العُرو.....ض ، عَلَى السَّجِيَّةِ من أُمَمِ
بَيْنَاهُ يَمْرُحُ فِي السُّفُو.....ح ، إِذَا بِهِ فَرَعَ الْقِمَمِ^(١)
فَوَضَى الطَّيْبَةَ ، لا نِظَامًا.....م ، فَلَاحِ ضِيَاءُ ، وَلا عَتَمِ
لَكِنَّهُ فَنُّ البلي.....غ ، عَلَى قَوَالِهَا انْجَمِ
وَسَجِيَّةُ الطَّبَعِ القَوِي.....إِذَا تَرَفَّقَ وَاحْتَدَمِ
وَلَكَّمْ يُوَلِّفُ قَادِرٌ بَيْنَ المَسْرَةِ والأَلَمِ
مَا الحُسْنُ أَعْضَاءُ ثَوَا.....ئُهَا القَرَابَةُ فِي القِسَمِ
فَلَقَدْ يَكُونُ عَلَى تَال.....فِ هَذِهِ رُوحًا يُذَمِّ
وَعَلَى تَنَافُرِهَا جَمَا.....لًا ، لا يُحَسُّ لَهُ سَأَمِ
وَلَمَثَلُ شَأْوِكَ لا يُنَا.....لُ ، إِذَا تَنَاضَّرَتِ القِيَمِ
مَاذَا تَرَكْتَ لِمُقْتَفِي.....كَ ، وَدُونَ هَمَّتِكَ الِهِمَمِ ؟
مَاذَا يُرِيدُ وَرَاءَ أَقْ.....رَنَ ، فِي ضَرَابِهِمَا أَجَمِ ؟

(١) فَرَعَ القِمةَ : بَلَغَهَا وَاعْتَلَاهَا .

أنا ذلك المهور ، دو.....نك ، إن تطاولت اللّم
لظلمتي ، والظلم أق.....تل ، إن أصابك من حكم

* * *

يا صاحبي ، وخلاك ذم.....لا كنت في المتهم
من أرسل العتبي توج.....كما فعلت ، فقد ظلم
أثراك تعبث ، أم تجد.....وقد تحيرت التهم ؟
أم تلك نازية الجما.....ل ، إذا تعسف فانتقم؟^(١)
أنحت قلبي بالجرا.....ح ، وجرح ذلك ما التأم
أواه ! من جنف الجما.....ل ، إذا تعبت واحتكم !
أفضاع عندك ما أذخر.....ت ، وما بنيت قد انهدم ؟
فلقيتني بعد الصدو.....ف بما قذفت من الحمم
لقضت علينا بالهوا.....ن قيود حُسنك والشيم
أنا من عفا حتى استرا.....ب ، ومن وفي حتى انحطم
أقذى المودة ما أرا.....ب ، وشر عتبك ما وصم

* * *

أثرى المودة كالحياء.....ة ، على غرائبها ، قسم ؟
هي تلك فلسفة الحيا.....ة على الطفولة والهرم
ما في الحياة إذا سعي.....ت ، بغير حظ ، مقتحم
الحظ يعلو بالقرو.....د على غضافرة الأجم^(٢)

(١) نازية الجمال : بإدركه وحدته .

(٢) الغضافر : جمع غضنفر ، الأسد . الأجم : جمع أجمة ، الغابة ، الشجر الكثيف الممتد .

وَيُطِيحُ بِالسَّادَاتِ مَعَ.....تَسِفًا ، وَيَصْطَنِعُ الْخَدَمَ
 أَتَرَى مَقَادِيرُ الرِّجَالِ.....لِ عَلَى يَدَيْهِ ، سَوَى زُلْمٍ؟^(١)
 وَيُقَالُ بَعْدُ - أَلَا يَقَا.....لُ ؟ : لِكُلِّ سَاعٍ مَا اعْتَرَمَ ؟
 يَمُ نَالَهَا الْوَعْدُ الْكَسِي.....حُ ، وَفَاتَتْ الْبَطْلَ الْخُطْمَ؟^(٢)
 مَا سَعِي مُرْهَوِبِ الْخُطَى مِنْ سَعِي مَكْفُوفِ الْقَدَمِ ؟
 مَا سَعِي مُرْتَقِبِ السَّنَا مِنْ سَعِي مُرْتَقِبِ الظَّلَامِ ؟
 لَوْ كَانَ بِالسَّعْيِ النَّجَا.....حُ ، لَمَا تَشَامَخَتْ الْأَكْمُ
 لَكُنْهََا دَنِيَا الشَّدْو.....ذُ ، فَلَا مَلَامَ ، وَلَا نَدَمَ
 رُحْنَا بَوَعَثَاءِ الطَّلَا.....بِ ، وَرَاحَ قَوْمٌ بِالنَّعَمِ



(١) الزُّلْمُ : السَّهَامُ .

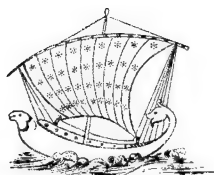
(٢) الْخُطْمُ : الْقَاسِي الشَّدِيدُ .



متى يعودُ الموعدُ الهاربُ فيستريحُ العاشقُ اللاغِبُ ؟
أم أنتَ عن أمرِي في غفلةٍ قد نام عنها رشدُك العازِبُ ؟
ما لِلَّذِي يَرَوِي به غيرُنا ماملُنَا في وَصلِهِ ناضِبُ ؟
أواه ! ما كانت سيوى حيلةٍ أجَرَّها للصَّاحِبِ ، الصَّاحِبُ
أين ليالٍ مدَّ فيها الهوى شباكَه ، فاقتنَص السَّارِبُ ؟
حذرْتُها حيناً ، ولكنَّما لا يتفادى حينَه الهاربُ
وأين قولٌ ، أكُذِّت صدقه عيناك ، والقَبْضَةُ ، والحاجِبُ
هيئات ! لا يعطفُ ذو نعمةٍ على شَقِيٍّ ، عيشُهُ شاحِبُ
هشمتُ آمالي ، فكن هاشمياً لليأس ، يَسَعِدُ قلبي الواجبُ
مَنْ لك مثلي ، إن بدا عارضٌ وُقِيتَ شراً .. أو دعا واجبُ ؟
أنا الذي تعرفُ خطواته في الجِدِّ ، وهواللاعب الصاخِبُ
لو كنتَ فيما قلته صادقاً لم يَتَجَنَّبَ بيننا الغائبُ ^(١)
ولا مضى يُمعِن في بُعده يتبعُه ماملُنَا الخائبُ
ولا مشى عصراً ، يَحُثُّ الخطأ كأنه المستعجل الرَّاكِبُ
لم يتسم ، لم يَرُنْ ، لم يَتَّمِدْ كما يكون المحنقُ النَّاضِبُ

(١) في البيت إشارة إلى أحداث تاريخية ، فرقت الأسرة ، وجعلت فريقاً منها يقيم بعيداً .

أُكَان كِيرَأ مِنْهُ ، أَمْ جَفْوَةٌ ؟ أَمْ ارْتَوَى مِنْ وَرْدِهِ الرَّاغِبُ ؟
أَمْ كَانَ ثَأْرَأً غُصِبَتْ مَهْجَتِي فِيهِ ، كَمَا شَاءَ لَهَا الْغَاصِبُ ؟
أَمْ انْتِقَاماً ، سُلِبَتْ رَاحَتِي فِيهِ ، لِيَرْضَى حَقْدَهُ السَّالِبُ ؟
لَيْلِي ، أَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ ؟ جَوَى شَأْنِي فِيهِ الْوَصَبُ الْوَاصِبُ
تَشْغَلُهُ الذِّكْرَى ، فَيُلَوِي بِهِ فَرَطُ الْجَوَى ، وَالْأَمَلُ الذَّائِبُ
مَا لُمْتُ ، وَاللُّومُ عَلَى لَذَعِهِ ضَرُورَةٌ - لَكُنْتُ عَاتِبُ





من ذاكِرِ العهدِ ، إلى ذاكِرِ
فيها الهوى الماضي بآثاره
والودُ ، والصدُّقُ ، وذِكْرى المُنَى
والفجرُ قَيْدَ اثْنَيْنِ ضاقا به
والعقلُ مغلوباً على أمره
والقلبُ مسلوباً غللاته
والعيشُ حرباً شَنَّها دارِعُ
نَحْيَةِ المُدْلِجِ مَلِ السُّرَى
ظمآنَ ، والرَّيُّ مُباحٌ له
طاوٍ على وَفرةٍ مَطْعومِهِ

نَحْيَةِ الشَّاعِرِ ، للشَّاعِرِ
مكتومِها ! المطوِّي ، والظَّاهِرِ
في يومنا ، أو أمسينا الغابرِ
صبراً بنفسِ العاجزِ القادرِ
مرتطماً بالواقعِ القاهرِ
من سالبِ قاسٍ ، ومن زاجرِ
مستكملٍ ، تَحْتَلَأُ ، على حاسِرِ
وناءٍ تحتَ الفَلَكِ الدَّائِرِ
يُجِيلُ فيه نِظْرَةَ النَّاكِرِ
تَحْفِزُهُ إِعْرَاضَةُ السَّاخِرِ

* * *

نَحْيَةِ الباكِي على ما مضى
تَوَدُّهُ أَعْبَاءُ إحساسه
من صُورِ العيشِ وأسراره
مكرورةً في أَبَدٍ أَبَدٍ
من أين ؟ لا تدري ، وحتى متى ؟
والهازِي الكافرِ بالحاضرِ
بِمَا يَرى في كونه السَّادِرِ
أَعْيَتْ على القائفِ ، والزَّاجِرِ
مَطْوِيَةً في لُجَّةِ الزَّاحِرِ
وأين مُرْسَى فُلِكِها الحائرِ ؟

ما هي ؟ ما الغاية من قذفها
 في ظلمة مفزعة أطبقت
 معركة العقل تساوى بها
 على متون التبج النائر ؟
 موصولة الأول بالآخر
 الظافر المحسود بالخاسر

* * *

تحية الحي جنى حظّه
 جنى عجول الغيط عاشت على
 وأثقلت بالنير أعناقها
 تحرث لا تملك من شأنها
 فإن وثت عاجلها بالعصا
 من عيشك الكالح والتأضر
 ماء وعشب ، في المدى العابر
 جامدة في قبضة الأسر
 غير عناء الكادح الصابر
 حنأ ، هوى مطعّمها الجائر

* * *

تحية المفجوع في قلبه
 عاف الهوى والحسن ، مذ جافيا
 وجانب الناس لما هاله
 وطلب الحق هياماً به
 وحجة الكاذب ، والمعتدي
 وفكره ، وحظه العائر
 إيمانه بالخلق الطاهر
 من شبه الفاضل بالفاجر
 فقد رآه لعبة السّاحر
 والعف ، والصّادق ، والدّاعر

* * *

تحية الخابط في ظلمة
 أثخنه الأين وألقى به
 من يأسه أو عزمه الخائر
 في لهوات المنتهى الفاغر

* * *

تَحِيَّةُ الشَّاكِي إِلَى مِثْلِهِ وَالسَّاهِرِ الْمَكْدُودِ لِلسَّاهِرِ
عَاشَا عَلَى ضَنْكِ سَوَاءٍ فَمَا هَانَا لِمُسْتَقِيلٍ وَلَا هَاجِرِ
حَالَاهُمَا حَالٌ عَلَى سُوءِهَا تَحْلِيقَةٌ بِالْفَخْرِ مِنْ فَاخِرِ
وَحَلَقَا فِي الْجَوِّ لَمْ يَعْبَا بِجَارِحٍ يَنْقَضُ أَوْ كَاسِرِ

* * *

تَحِيَّةُ الْمُشْتَاكِ تَدْنُو بِهِ عَلَى النَّوَى نَوَازِغُ الْخَاطِرِ



رسالة المشاعر

ماذا وقوفك بالأطلال والذّمن
 يرمي بك الوجد في صحراء مجدية
 تهيم فيها شريداً لا قرار له
 مزقت عُمرَكَ لا الأحباب منك دَنُوا
 الكاسيين ملايناً ، وما كدحوا
 تَمَرَجَلُوا واستغلّوا كلّ ساعة
 وقُذت أنت رَعيل الفن متكئاً
 ورحت فيها مقاييساً وأخيلةً
 وكان درسك فيها لو فطنت له
 إذ قام يصرخ والملقاط في يده
 وجاء من « كركون » الرّيع ضابطه

مؤزّع النَّفس بين الشّعْر والشّجن
 طَوّت حياتك طَيّ البحر للسُّفن
 وُثِرسل الدمع مدراراً بلا ثمن
 ولا بلغت مكاناً في ذوي الفطن
 وأنت في قفص من عقلك الزّمن ^(١)
 من المصالح في سِرِّ وفي علن ^(٢)
 على مبادئ سقراط وأهرمن ^(٣)
 لم تحمِ قدرك في مسلاتة الإخن ^(٤)
 درساً تُفِيّقُ به من سكرة الوسن
 كالسيف يهتز في كف ابن ذي يزّن
 على الزعيق وحشد من ذوي حسن ^(٥)

-
- (١) الزّمن : الضعيف الواهي المريض .
 (٢) تمرجلوا : ادعوا الرّجولة .
 (٣) سقراط : فيلسوف يوناني كان زعيم مدرسة المشائين (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م) . أهرمن : الشيطان ، أو روح الشر في الديانة الزرادشتية ، ويقال له « أهورا مزدا » وهو روح الخير .
 (٤) مسلاتة الإخن : موقد الضغائن .
 (٥) كركون : كلمة تركية معناها « مخفر الشرطة » . ذوي حسن : أي بني حسن ، وهي أسرة كبيرة مشهورة بمكة المكرمة .

- وكان يوماً تشاطرناه بهذلة
 كيوم وقعنا بعد العدا على
 خرجت فيه بلوج الكثيف منخلعاً
 تجارب وخشة خضنا معاركها
 أما لنا غير قرض الشعر مشغلة
 ألا وظيفة نرجوها ولو صغرت
 ونسترد بها في التأس سمعنا
 وحسبنا ما لقينا من بهاديلها
 تقضي العدا ولا تقضى لها عدا
 وهبك أصدرت ديواني «مهى ورؤى»
 فهل ترى بهما ما نال من منج
 فلك في لمحات الغيب خاطفة
 مضت بمأثور جدواها فما صدحت
 فالشعر شمس ، هداك الله ، قد أفلت
 واهرب بجلدك من أهليه مبتهلاً
 فما وراءك إلا التحس ملتطم الس..... أمواج ، دهمل أرتالاً ودهملني^(٦)
- وكنث وحدي فيه دافع الثمن
 قرشين لم يدفعا في « مطعم البين »^(١)
 ورحت خلفك فيه وارم الأذن
 وكان شعرك فيه مصدر المحن
 نقضي بها فضل عمرنا على سنن
 نقضي بها دين راعي العيش واللبن^(٢)
 بعد الضياع - بلا شعر - ولا سفن^(٣)
 وأنها مهنة من أخسر المهن
 بلقمة العيش ، في ثوب من الستن
 فطار صيئك من نجد إلى عدن
 ذوو السوابق في إغفاءة الزمن^(٤)
 من البروق تحدث ظلمة الزمن
 إلا بذكراه ورقاء على فنن
 فعش إذا شئت منه سالم البدن
 كيلا تُلز مع الشيطان في قرن^(٥)
 دهمل أرتالاً ودهملني^(٦)

(١) مطعم البين : مطعم جاوي في منطقة « أجياد » بمكة المكرمة .

(٢) راعي العيش : أي مالك الخبز وصاحبه ، وكلمة « راعي » تعني « مالك » .

(٣) سفن : لعله يقصد المعنى البعيد العامي لكلمة (السفينة) وقد تكون بمعنى (الورقة) .

(٤) ذوو السوابق : أصحاب الجرائم السابقة من قتلة ومجرمين وحكم عليهم بالسجن والعقوبات .

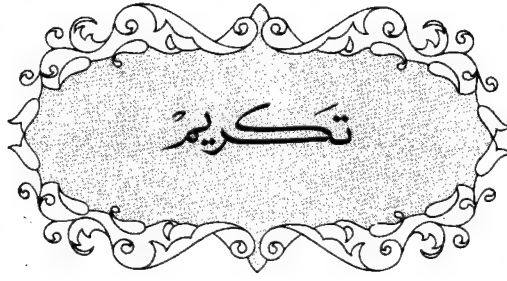
(٥) القرن : الحبل الذي يربط به البعيران .

(٦) دهمل : أضّر ، وترادف بالعامية « بهذل » .

- (واية لزوم كلامي منت عارفه)
 وداب ظهرك بين الآخدين به
 قد شيدتها من صميم الفن أبينة
 بل نمت في دكة الزيدان منطرحاً
 لا أنت ضيف فيرجى يوم رحلته
 وزغت من « فندق التيسير » لا هرباً
 باظت حياتك ، ماضيها وحاضرها
 ونحضت من غمرات الصبر أحلكها
- مذ ضاع عمرُك بين الشَّام واليمن؟^(١)
 رَفْعاً تَمَثَّلَتْ فِيهِ لَعِبَةُ الْإِنْسِ^(٢)
 فَهَلْ بَنَيْتَ بِهَا حَوْشاً مِنَ اللَّبَنِ؟^(٣)
 عَلَى الْبِلَاطِ طَوَالَ الصَّيْفِ كَالْوَرَنِ^(٤)
 وَلَأَنْتَ فِي نَفَقَاتِ الْبَيْتِ ذَا شَطَنِ^(٥)
 مِنْ نَامِسِ اللَّيْلِ بَلْ مِنْ أَجْرَةِ السَّكَنِ^(٦)
 مَا دَامَ شِعْرُكَ فِيهَا عُقْدَةُ الْكَفَنِ^(٧)
 فِي « قَهْوَةِ السُّدِّ » أَوْ فِي « مَقْعَدِ اللَّبْنِيِّ »^(٨)



- (١) واية لزوم كلامي منت عارفه : لغة عامية مصرية ، وكلمة « ايه » تعني الاستفهام ، و « منت » : أأنت .
 (٢) لعبة الانن : لعبة شعبية يغمض فيها أحد اللاعبين عينيه ، ويضربه أحد اللاعبين حوله ، وعليه أن يمسك اليد التي صفعته ، أو على الأقل يميزها ، فإن اهتدى إليه حل الضارب محله ، وإذا فتح المضروب عينيه هذ الجميع أياديهم وصاحوا : إنن .. (أعلام الحجاز للمغربي ١٥٨/٢) .
 (٣) اللبني : المضروب بالطين يبنى به ، دون أن يطبخ . الحوش : أرض الدار .
 (٤) دكة الزيدان : مجلس كان يقام في منزل الأديب محمد حسين زيدان بالطائف . الورن : الممتلئ شحمًا .
 (٥) الشطن : الحبل الطويل .
 (٦) فندق التيسير : أحد فنادق مكة المكرمة .
 (٧) باظت حياتك : خربت ، وذهبت هدرًا .
 (٨) قهوة السد : مقهى في منطقة أحياء بمكة المكرمة . مقعد اللبني : مجلس لأسرة اللبني في « الفلق » من منطقة الشامية بمكة المكرمة .



أَنْتَ نَاغِمَتَهُ التَّشِيدَ فَغَنَّا.....كَ وَأَلْهَمَتَهُ الْبَيَانَ فَقَالَا
فَإِذَا فَاضَ بِالثَّنَاءِ فَمِنْ قِيَمِ.....ضِكَ إِحْسَانُهُ : رُؤْيَى وَظِلَالَا
كُنْتَ فِي نَفْسِهِ ، وَمَا زِلْتَ ، شِعْرًا.....وَشِعُورًا .. وَفَنَّةً .. وَجَمَالَا
فَمَعَانِيكَ فِي مَعَانِيهِ سَحَرٌ يَتَجَلَّى .. وَنِعْمَةً تَتَعَالَى
وَيَجُولُ الْجَوَادُ فِي الْمَلْعَبِ الرَّخِ.....بِ طَلِيقًا .. وَكُنْتَ هَذَا الْجَمَالَا
أَنْتَ مَلَأَ الْعَيُونَ خَلْقًا وَخُلُقًا وَسَجَايَا كَرِيمَةً .. وَفِعَالَا
أَنْتَ مَلَأَ الْأَسْمَاعَ ذِكْرًا سَرِيًّا وَمَدَى صَارَ لِلخِيَالِ خِيَالَا
أَنْتَ مَلَأَ التَّفُوسَ وَدَا وَحِبًّا شَمَلَا مِنْكَ هَيْئَةً وَجَلَالَا
فَتَفَرَّدَ بِالسَّبْقِ فِي حَلْبَةِ الْمَجْدِ.....دَ بِمَجْدٍ قَدْ أَعْجَزَ الْأَبْطَالَا
وَارَقَ مَا شَعَتْ مِنْ مَعَارِجِكَ الشَّمَمِ.....وَفَاخِرَ يَوْمِكَ الْأَجْيَالَا
أَنْتَ رَمَزُ النَّضَالِ فِي الْوَطَنِ الْغَالِمِ.....لِي فَعِشْ لِلنَّضَالِ مِثَالَا
وَتَقْدِمُ صَفُوفَهُ ظَاغِرَ الْخَطِّ.....و تَحْقُقْ لِقَوْمِكَ الْأَمَالَا
فَالَّذِي قَادَ مِنْ أَمَانِيهِ مَا قُدِّسَتْ جَدِيرٌ بِأَنْ يَقُودَ الرُّجَالَا
وَالرَّعِيْلُ الَّذِي وَرَاءَكَ مَا زَالَ.....لِ عَلَى عَهْدِهِ ، فَمَا صُلَّتْ صَالَا

رِسَالَةٌ إِلَىٰ أَبودُلش

قِفْ بِالطُّلُولِ ، وَأَرْسِلْ دُمْعَةَ الْأَسِفِ
وَأَشْكُ الزَّمَانَ وَأَهْلِيهِ وَمَا جَلَبَا
فَرُبَّمَا خَفَّ حَمْلٌ فَوْقَ صَاحِبِهِ
وَالْبَوْحُ بِالْهَمِّ إِنْ لَمْ يَشِفْ ، خَفَّفَهُ
وَأَقَرَّ السَّلَامَ عَلَىٰ مَاضِيكَ فَهُوَ هُنَا
وَالذِّكْرِيَّاتُ حِسَابٌ لَا يَرَاغِبُهُ
وَأِنْ تَكُنْ لِلَّذِي رَاحَتْ عَلَيْهِ رُؤْيُ
فَإِنَّهَا فِي ظِلَامِ الْعَيْشِ مَسْرَجَةٌ
وَالآنَ ، لَا بُدَّ مِنْ حَلِّ نُذْبُورِهِ
فَأَنْزِلْ عَلَىٰ وَاقِعِ الدُّنْيَا وَمَنْطِقِهَا
وَإِخْشَ الصَّلَابَةِ فِي حَقِّ وَكُنْ مَرْنًا
وَلَا تَقِفْ فِي ثَنَائِهَا الصَّفِّ مُنْتَظِرًا
فَادْفَعْ وَزَاحِمَ ، وَعَنْقِلْ كُلَّ مَنْ سَبَقَتْ
وَلَا تُرْدِّكَ عَنْ أَمْرِ هَمَمْتَ بِهِ

وَاطْرَحْ هُمُومَكَ مِنْ يَأْيٍ إِلَىٰ أَلْفِ
مِنْ وَقْفَةِ الْحَالِ ، بَعْدَ الْعَزِّ وَالْتَرَفِ
إِذَا تَرَحَّزَ عَنْ ظَهْرِ إِلَىٰ كَيْفِ
كَالْعَطَسِ فِي زَكَمَةٍ ، وَالْهَرْشِ مِنْ قَشْفِ ^(١)
ذِكْرِي تَعِيشَ بِهَا وَهَمًّا عَلَى النَّشْفِ
إِلَّا فَتَى عَزَّزَ الْأَوْهَامَ بِالْحَرْفِ
مِنْ الْعَزَاءِ ، تُشِيعُ الدَّفْءَ فِي اللَّحْفِ
ضَيْلَةُ الضَّوِّءِ ، لَا تُغْنِيكَ فِي السَّدْفِ
وَلَوْ سَكَنْتَ بِهِ فِي أَضْيَاقِ الْغُرْفِ
وَأَقْبَلَهُ مُنْتَصِفًا أَوْ غَيْرَ مُنْتَصِفِ
إِنْ فَاتَكَ الثَّمَرُ ، لَا تُضْرِبْ عَنِ الْحَشْفِ
حَسَنَاءَ ، لَنْ تَتَخَطَّى أَلْفَ مَخْطِيفِ
رَجُلَاهُ رَجْلَيْكَ ، مِنْ شِقْوٍ وَمِنْ طَرَفِ ^(٢)
مَقَالَةِ النَّاسِ : بَاغِ الْحَقَّ بِالْعَلْفِ

(١) الهرش : - هنا - الحكة الشديدة . القشْف : وسخ وخشونة تصيب الجلد ، ولاسيما شتاء .

(٢) عَنْقِلْ : ضع رجلك بين رجله ليسقط .

- أُنْزِلَتْ بِكَ لَا أَمَانَ لَهَا
فَرُبَّ ذِي نِعْمَةٍ مَالِ الزَّمَانِ بِهِ
وَكُلُّهُمْ أَنْتَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ
وَأَمَّا الْحَقُّ فِي دِيكَ مَهْزَلَةٌ
فَأَسْمَعْ كَلَامِي ، وَنَفْذْ مَا أَشْرْتُ بِهِ
إِنْ الْحَيَاءُ رَصِيدٌ لَا اعْتِبَارَ لَهُ
وَأِنْ وَقَعْنَا الْمُنْكَوَدَ : أَنْ غِنَى الْـ
فَإِنْ أَطَقْتَ فَخُضْ فِي الْوَحْلِ تَلَقَّ بِهِ
وَلَا تَقُلْ : كَيْفَ أَرْضَى الْوَحْلَ عَاقِبَةً
« مَتَا اللَّي » ضِيَعَتْ أَيَّامُ الشَّبَابِ سُدَى
وَحَابَ ظَنُّكَ بِالْأَصْحَابِ حِينَ أَتَوْا
وَرُحْتَ تُنْفِقُ مَا حَوَّشْتَ فَتَجَرَّةً
وَأَشْبَعْتَكَ قَضَايَاهُمْ نَّ يَهْدَلَةَ
حِزْراً ، وَنَقْضاً ، وَإِبْرَاماً ، وَطَفَحَ دَمٌ
وَعَادَ مَاضِيكَ أَشْبَاحاً تَسَامِرُهَا
- (١) أَدْرَتْ ظَهَرَكَ كَالْقَرْفَانِ لِلنَّصْفِ؟
(٢) وَضَامَهُ ، هَجَرَ السَّيْجَانَ لِلْكُنْفِ
(٣) وَالْفُوزُ بِالْقَصْدِ يُنْسِي لَعْنَةَ الْجَدْفِ
ضَاعَتْ بِعُمُرِكَ بَيْنَ الْقَصْدِ وَالسَّرَفِ
يَابْنَ الْحَلَالِ ، وَشَلَّخَ غَيْرَ مَنْكَسِفِ
وَعَزَّةَ النَّفْسِ « شَيْك » غَيْرُ مَنْصَرِفِ
أَنْذَالَ سَوْدَ مِنْهُمْ كُلِّ مَنْحَرِفِ
(٤) أَرْطَالَ قَوْمُكَ مِنْ جَانٍ وَمَقْتَرِفِ
فَالْجَوْعُ يَرْضِي أَسْوَدَ الْغَابِ بِالْجَيْفِ
فِي الْفَنِّ وَالْحَبِّ بَيْنَ الْعَمَى وَالشَّعْفِ؟
(٥) عَلَى قَرُوشِكَ فِي دَوَامَةِ السُّلْفِ
(٦) عَلَى النِّسَاءِ ، وَمَا أُعْقِبْنَ مِنْ خَلْفِ
بَيْنَ الْحَاكِمِ مِنْ مِصْرٍ إِلَى النَّجَفِ
(٧) بَلَّغْتَ بِالْعَمْرِ فِيهَا غَايَةَ الْقَرَفِ
(٨) عَلَى هُمُوكَ فِي رِفْقٍ وَفِي عُثْفِ

- (١) النَّصْفُ : المرأة التي تجاوزت مرحلة الشباب الزاهي . القرفان : الكاره .
(٢) السَّيْجَانُ : نوع فاخر من أسماك البحر الأحمر . الكنف : الجانب .
(٣) الْجَدْفُ : ما رمي به عن الشراب من زبد أو قذى .
(٤) أَرْطَالَ الْقَوْمِ : حمقاهم . مفردها : رطل .
(٥) مَتَا اللَّي : أُلْسْتُ الَّذِي (في لهجة عامة مصر) .
(٦) السُّلْفُ : القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه .
(٧) حَوَّشَ : جمع وادَّخِر . « الفنجرة » : التباهي ، السَّفَه .
(٨) الْحِزْرُ ، النَقْضُ ، الإِبْرَامُ : من ألفاظ المحاكم في دعاوي الناس ، ولكل منها معنى محدد .

- وَأَنْتَ فِي بَحْرِهَا أَوْ فَوْقَ سَاحِلِهَا
فَالْيَوْمَ لَوْ رُمْتَ قِرْشاً مَا ظَفَرْتَ بِهِ
وَلَوْ تَصَرَّمَحْتَ سَاعَاتٍ بِلَا كَلِيلٍ
لَقَدْ نَصَحْتُكَ ، فَانْهَضْ غَيْرَ مُتَّيِدٍ
وَذَاكَ آخِرُ مَا عِنْدِي ، فَإِنْ صَعَبَتْ
وَاهَرْتَ إِلَى الشَّعْرِ مِثْلِي ، كُلَّمَا غَثَّيْتُ
فَالشَّعْرَ أَصْلَ الْبِلَاوِيِّ ، وَهُوَ كَاشِفُهَا
وَالشَّعْرَ كَالْفَقْرِ فِي إِرْضَاءِ صَاحِبِهِ
وَلِنَّمَا هُوَ مَحْرَابٌ يَلُودُ بِهِ
وَالْكَذِبُ فِي الشَّعْرِ لَا يُزِرِّي بِقَائِلِهِ
وَلَيْسَ يَخْلُو مَجَالَ الشَّعْرِ مِنْ قُرْصٍ
فَقَدْ تَصِيبُ عِصَامِيّاً تَوَرَّقَهُ
وَأَمْدَحَهُ ، وَاصْنَعْ لَهُ تَارِيخَ أَسْرَتِهِ
وَصْنَعْ لَهُ مِنْ فَنُونِ الْمَدْحِ مُفْتَرِياً
- (١) عُريَانُ ، تُشَبِّهُ صَيَاداً بِلَا لَعْفٍ
مَنْ نَاكَرَ دَيْنَكَ الْمَاضِي وَمَعْتَرَفٍ
مِنْ الرُّغَامَةِ حَتَّى مَسْجِدِ الْحَنْفِيِّ
فَطُولَةُ الْبَالِ قَدْ تُقْضِي إِلَى التَّلْفِ
عَلَيْكَ نَفْسُكَ ، فَالزَّمْ عَيْشَةَ الشَّظْفِ
بِالْحَزَنِ نَفْسُكَ ، وَامْلَأْ أَنْهَرَ الصُّحُفِ
مَتَى تَخَيَّرْتَ أَنْ تَحْيَا بِلَا هَدَفٍ
بِقِطْعَةِ الْخَبِزِ ، فِي كَوخٍ ، عَلَى خَصْفٍ
مَنْ فَاتَهُ حَظُّهُ مِنْ سُنَّةِ السَّلَفِ
وَسَارِقُ الشَّعْرِ لَمْ يُقْذَفْ إِلَى جُرْفٍ
عُلْيَا تَذُرُّ عَلَيْكَ الْمَالَ بِالْقَفْفِ
أَحْلَامُهُ فِي ادِّعَاءِ الْمَجْدِ ، فَازْدَلِفِ
بِمَا تَيْسَّرُ مِنْ دُرٍّ وَمِنْ صَدْفٍ
مَا صَاغَهُ الْمُتَنَبِّي فِي أَبِي ذَلْفٍ

(١) اللَّعْفُ : الزَّاد .

(٢) الرُّغَامَةُ : محطة في جدة ، على طريق مكة المكرمة . مسجد الحنفي : مسجد كبير في جدة قريب من سوق الذهب

تَصَرَّمَحْتَ : سَرَتْ عَلَى غَيْرِ هَدَى .

(٣) غَثَّيْتُ نَفْسَهُ : جَاشَتْ ، وَتَهَيَّأَتْ لِلْقِيَاءِ .

(٤) الْخَصْفُ : الثَّوبُ الْغَلِيظُ الْخَشَنُ .

(٥) الْجُرْفُ : شَيْقُ الْوَادِي إِذَا حَفَرَ الْمَاءُ فِي أَسْفَلِهِ .

(٦) اَزْدَلَفَ : تَقَدَّمَ ، تَقَرَّبَ .

(٧) أَبُو ذَلْفٍ : اسْمُهُ أَبُو ذَلْفِ بْنِ كِنْدَاجٍ ، كَانَ سَجَّانَ وَالِي حِمَصَ ، فِي عَهْدِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ، وَقَدْ مَدَحَهُ الْمُتَنَبِّي

وَهُوَ فِي السَّجَنِ بَعْدَ أَيْتَاتٍ تَرْفَعُ وَقَالَ فِي جَمَلَتِهَا : « وَالْجُوعُ يَرْضِي الْأَسْوَدَ بِالْجَيْفِ » .

فُرُبَّ مجِدْ بنَاه المَالُ من ذهب
ولا يُهَمُّكَ عِلْمُ العَارِفِينَ به
فَمَا يَعِيبُ غَنِيّاً سَوْءُ سِرِّتِهِ
وَأَنَّهُمْ قَلَّةٌ لَا يُسْتَسَاغُ لَهَا
وَالرَّكُّ عَ الحِظِّ إِنْ أَعْطَاكَ تَذَكُّرَةً
وَرُبَّ مجِدْ بَنَاه الشَّعْرُ من شَقَفِ
هَمْساً عَلَى الأَرْضِ ، أَوْ جَهراً عَلَى الطَّنْفِ ^(١)
كَمَا تَعِيبُ المَغْنَى غُنَّةَ الحَنْفِ ^(٢)
قَوْلٌ ، وَهَلْ عِيبَ حَسَنِ البَدْرِ بِالكَلْفِ ؟
فَقَدْ وَصَلَتْ إِلَى النِّبُوعِ ، فَاعْتَرَفَ

* * *

يَا رَائِدَ الجِيلِ فِي فِرٍّ وفلسفة
فَإِنَّ زَهْرَكَ لَمْ يَفْرَحْ بِمَقْتَطِفِ
قَدْ كُنْتَ لِلجِيلِ مِيزَاناً يُحَكِّمُهُ
فَارْكَبْ إِلَى العِيشِ ، وَاشْدُدْ كُلَّ رَاحِلَةٍ
فَمَا تَدِينُ المُنَى إِلَّا لِمَقْتَحِمِ
وَشَرُّ عَهْدَيْكَ ، عَبْرَ العِيشِ ، خَيْرُهُمَا
عَهْدُ الهَوَايَةِ وَلَى يَا أَبَا دَلَّشْ
سَلَّ عَنْ مَصِيرِهِمَا فِي أَسْوَأِ الحَلْفِ
وَإِنَّ كَأْسَكَ لَمْ تَهْتَفِ لِمُرْتَشِفِ
فَرَدَّكَ الْفَقْرُ مِيزَاناً بَلَا كَيْفِ ^(٣)
وَأَصْبَبَ عَلَى جَانِبَيْهَا سَوْطَ مَعْتَسِفِ
مَاضِي العَزِيمَةِ فِي عَدَلٍ ، وَفِي جَنْفِ
مَتَى حَلَلْتَ بِهِ فِي دَارَةِ الشَّرَفِ
فَاخْلَعْ وَمَرِّقْ رَدَاءَ الفَنِّ ، وَاحْتَرِفْ

★ ★ ★

(١) الطَّنْفُ : البارز من البناء كالإفريز وسواه .
(٢) الحَنْفُ : التواء الأنف مما يحدث صوتاً غير واضح .
(٣) الكَيْفُ : جمع كفة وهي طرف الميزان .



أَقْصَرْتُ مِنْ هَمِّي وَمِنْ تَشْمِيرِي وَرَضِيْتُ مِنْ دُنْيَايَ بِالْمَيْسُورِ
 وَمَضَيْتُ أَمْتَدَحَ الْقَنَاعَةَ بَعْدَمَا سَبَقْتُ جِيَادَ الرَّاكِبِينَ حَمِيرِي
 وَأَقُولُ : آثَرْتُ السَّلَامَةَ مِنْ هَوَى الدَّ..... نِيَا الدَّنْيَةِ ، أَوْ أَرَحْتُ ضَمِيرِي
 وَغَرَامُهَا مِلْءُ الْفُؤَادِ ، وَإِنَّمَا دَعَوَى الزَّهَادَةِ حُجَّةَ التَّقْصِيرِ
 وَلَوْ أَنَّ لِي بَيْنَ الْعِمَائِمِ عِمَّةً رَسْمِيَّةً لَمْ أَرْضَ « بِالطَّرْطُورِ » ^(١)
 لَكِنَّ مَنْ جَعَلُوا الْوُظَائِفَ قِيَمَةً ال..... إِخْلَاصَ لَمْ يُطْرِبْنَهُمْ وَطُنْبُورِي
 فَحَمَلْتُ بَيْنَ الْبَارِزِينَ ، وَكُلُّهُمْ دُونِي ، وَقَلَّ مِنَ الرِّجَالِ نَظِيرِي
 وَالتَّجَحُّ مَعْيَارُ الْمَزَايَا ، وَالْغِنَى مِيزَانُهَا الْمُغْنِي عَنِ التَّقْدِيرِ
 لَيْسَ اللَّصُوصُ بِهِ ثِيَابَ ذَوِي الثَّقَى وَحَمَى جَرَائِمَهُمْ مِنَ التَّعْزِيرِ ^(٢)
 وَتَنَاهَبُوا الْأَمْجَادَ بَاهِرَةَ السَّنَى مَوْصُولَةَ الْمَشْهُودِ بِالْمَأْثُورِ

* * *

قَالُوا : حَذَقْتُ الشَّعَرَ وَهُوَ رِسَالَةُ ال..... أَحْرَارِ . كَلَّا ، يَا شُهُودَ الزُّورِ
 لَوْ صَحَّ مَا قُلْتُمْ لَمَا خَاضَ الدُّجَى شَعْرَاؤُكُمْ ، وَنَعِمْتُمْ بِالنُّورِ
 الْمَالُ مَعْيَارُ الْحَيَاةِ ، وَمُشْتَرِي رِقُّ الرِّجَالِ بِهَا ، وَزَنْدُ الْمُورِي

(١) الطرطور : لباس قميء يوضع على الرأس .

(٢) التعزير : العقاب .

وَذَوُّهُ أَصْنَامٌ تُؤَلِّهُ جَهْرَةً زَكَّى عِبَادَتَهَا تَرَابُ « الْمِيرِي » ^(١)
 هِيَ قِصَّةٌ قَامَ الْخِدَاعُ بِدَوْرِهِ فِيهَا ، وَمَسَرَّحُهَا قَفَا الْجُهِمُورِ
 وَإِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ عَنِّي لَمْ تَجِدْ لِأُحْيِكَ غَيْرَ سَفَاسِيفٍ وَقُشُورِ
 مَا شَتَّ مِنْ شَعِيرٍ وَنَثَرٍ مَوْزِقٍ وَمَشَارَكَاتٍ حِجَى وَفِيضٍ شُعُورِ
 وَالْعِلْمُ آفَتْهُ الْغُرُورُ ، وَرَبَّمَا عَصَفَ الْعَمَى بِالْعَالِمِ التَّحْرِيرِ
 فَرَأَى الثَّرَاءَ مَعَ الْهُوَانِ حَقَارَةً فَاخْتَارَ أَنْ يَحْيَا بِلَا « تَزْفِيرِ » ^(٢)
 وَأَنَا الْمَلُومُ ، فَلَوْ سَلَكَتُ سُلُوكَهُمْ لَمَلَأْتُ مِنْ ذَهَبٍ حُمُولَةَ « لُورِي » ^(٣)
 وَصِرَاعِ صُوفِي تَجُوهٍ لَقَدْرُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ ، فَعَاشَ « كَالْخُنْشُورِ » ^(٤)
 يَمْشِي وَقَدْ رَكِبَ « الْكَدَالِكَ » غَيْرُهُ فِي الْحَرِّ ، يَرْشَحُ لَاهُثًا كَالزَّيْرِ ^(٥)
 لَا يَسْتَطِيعُ ، وَقَدْ تَضَاعَلَ دَخْلُهُ أَنْ يَهْجَرَ الْأُوتُوبِيسَ « لِلْحَنْطُورِ » ^(٦)
 فَتَرَاهُ فِي سَوْقِ الْخَضَارِ مُقَسِّمَ الْ..... قَرَشَيْنِ بَيْنَ الْعَيْشِ وَالْجَرْجِيرِ
 عَرَضُوا عَلَيْهِ وَظَائِفًا مَشْبُوهَةً فَأُنِيَ ، وَرَدَّدَ : يَا دَوَائِرُ ، دُورِي
 وَأَطَالَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ لِسَانَهُ فَأُصِيبَ بَعْدَ الْحَبْسِ بِالتَّسْفِيرِ
 وَإِذَا اشْتَهَتْ « سَيْخَ الْكَبَابِ » « مَرَاتُهُ » فِي كُلِّ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ وَكُسُورِ ^(٧)
 وَمَضَتْ تَطَالِبٌ بِالطَّلَاقِ لِقُلُوبِهَا مِنْ رَاجِلٍ مُتَنَطِّعٍ دَبَّورِ ^(٨)

(١) الميري : ما يتبع الدولة الرسمية .

(٢) بلا تزفير : كناية عن عدم التعب .

(٣) اللوري : الحافلة الصغيرة المعدة للحمولة .

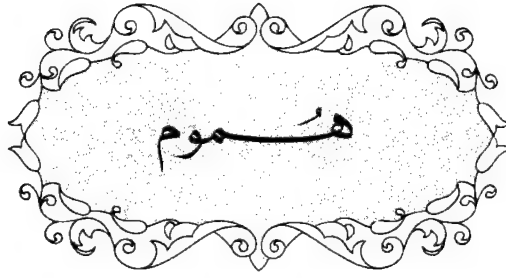
(٤) الخُنْشُور : النافع من الرجال .

(٥) الكدالك : جمع كاديلاك ، نوع فاخر من السيارات الأمريكية .

(٦) الأوتوبيس : الحافلة التي تنقل الناس . الحنطور : العربة التي تجرها الخيل أو الحمير .

(٧) سيخ الكباب : العود الذي يُوضع عليه اللحم المقروم ويشوى على النار . مراته : زوجته .

(٨) دَبَّور : ألعبان ، مفلس .



(أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذَلْ وَالْعِتَابَا
فَحَسْبِي مِنْكَ مَغِيرَةٌ وَذُمَّ
وَكُونِي لَسْتُ أَوَّلَ مُسْتَقِيلٍ
دَلِيلٌ أَنَّ لِلْأَرْزَاقِ عُمْرًا
وَأَنَّ لِبَطَاعَةِ الرُّؤَسَاءِ سِحْرًا
وَمَا أَخْطَأْتُ إِذْ أَلْزَمْتُ نَفْسِي
فَإِنَّ الْحَقَّ أَجْدَرُ بِاتِّبَاعِ
وَمَا حُمِدْتُ لِصَاحِبِهَا الْخَازِي
وَأَنَّ الْفَقْرَ خَيْرٌ مِنْ ثَرَاءٍ
وَلَكِنَّ الْعَوَايَةَ قَدْ تَفَشَّتْ
وَجَاهَرَ بِالْمُفَاسِدِ كُلِّ نَذْلٍ
وَأَصْبَحَتِ الْوُظَائِفُ كِيَمِيَاءَ
وَقُولِي إِنَّ أَصَبْتُ : لَقَدْ أَصَابَا)
فَإِنَّ لِكُلِّ ذِي أَجَلٍ كِتَابَا
تَنْطَعُ فِي وَظِيفَتِهِ فَخَابَا
وَأَنَّ لِكُلِّ مَرْتَجِلٍ مَآبَا
يُتْلَعُ مَنْ يُطِيفُ بِهِ السَّحَابَا
كَرَامَتُهَا ، وَآثَرْتُ الصَّوَابَا
وَلَوْ كَانَتْ عَوَاقِبُهُ هُبَابَا
فَأَسْلُكُهَا إِلَى الْغَايَاتِ بَابَا
يَكُونُ مُصِيرُ صَاحِبِهِ عَذَابَا
فَقَامَرَ كُلُّ مُقْتَرِفٍ وَرَائِي
وَخَاضَ إِلَى مُنَابِعِهَا الْعُبَابَا
تُبَدِّلُ عَدَسَ عَارِفِهَا « كَبَابَا »



أمير الشعراء شوقي بك يخاطب صديقه غاندي ،
ويتشوق إليه ، ويشكو عن الدهر .

سَلَامُ النَّيْلِ « يَا غَنْدِي »	وهذا الزَّهْرُ من عِنْدِي
ولو سَاعَفَنِي الدَّهْرُ	لَقَابَلْتُكَ فِي الْهِنْدِ
ولَكِنِّي كما تَدْرِي	فَقِيرٌ عَارِي الْجِلْدِ
أَضَعْتُ الْبَيْتَ وَالْقَرْشِيَّةَ.....	ن فِي التَّهْلِيسِ وَالْجِدِّ (١)
وبَعْتُ الْعِزَّةَ الْكُبْرَى	عَلَى صَاحِبِنَا السُّنْدِي (٢)
وَأَمَّا سَائِرُ الْعَفْشِ	فَقَدْ صَادَرَهُ وَجْدِي (٣)
فَمَنْ لِي الْيَوْمَ بِالتَّوَلِّ	وَمَا فِي قَبْضَتِي أُرْدِي (٤)
لِالْتِّقَاكَ عَلَى الْكَنْجِ	زَمِيلاً صَادِقَ الْعَهْدِ (٥)
فَقَدْ أَوْحَشْتَنِي جِذَاً	وَمَا لَكَ سَلْوَةٌ بَعْدِي
كِلَانَا مَخْفِقُ الْمَسْعَى	وَبَرَبْنُكَ بَرَبْنُدِي (٦)
فَارْتِيكَ وَتَرْتِنِي	لَعَلَّ رِثَاءَنَا يُجِدِي

-
- (١) التهليس : الحديث الذي لا تحقق فيه ، العبث .
 (٢) السندي : لقب لرجل ، قد تكون القافية اضطرت إليه .
 (٣) العفش : المتاع .
 (٤) أردي : وحدة عملة هندية .
 (٥) الكنج : نهر الغانج في الهند .
 (٦) بريندي : مدينة هندية .

- وقد ضيَّعني قومي وقدماً أنكروا جهدي
وما بددت من وقت وما فرقت من نقد
وهل في أمة يشقى بها الأحرار من رشد ؟
ولما طقني الفقر وأضحت أمتي ضدي^(١)
توكلت على المولى وعولت على زندي
أبيع الفول والحلبة والفصص والمندي^(٢)
فطوراً ألتقي أكلى وطوراً أطفح الدزدي^(٣)
وكان الحال مستوراً وأشغالي على قدي
ولي جارٌ رفيقُ الحالل يُدعى الحاج خوجندي^(٤)
ركنتُ إليه من غلبي فجازاني على ودي
بأن رشّحي يوماً لدى التعدّين في المهدي^(٥)
فرحتُ ، وكنت مرطاناً أسمي التور ، نورمندي^(٦)
فرقاني المديرُ إلى وظيفة كاتب الجردي
وزودَ راتبي عشرينن مريالاً بلا كد^(٧)
وحصصَ لي من البسكوت كيلوين بالزبد
وكان إذا رأيَ قايل (قود مورنق أو فرندي)^(٨)

(١) طقني : أصابني .
(٢) الحلبة : نبات يطبخ ويؤكل . الفصص : نوى البطيخ . المندي : رأس الخروف المشوي في المنداة .
(٣) الدردي : الطعام السيئ .
(٤) خوجندي : اسم اضطرت القافية إليه .
(٥) المهدي : منجم الذهب في المملكة العربية السعودية .
(٦) نورمندي : مقاطعة في فرنسا (والشاعر يريد بها كلمتين) .
(٧) مريال : تصريف (ريال) في معجم الشاعر حمزة شحاته .
(٨) قود مورنق أو فرندي : صباح الخير يا صديقي (بالإنكليزية) .

فَلَمَّا ثَارَتْ الْحَرْبُ وَجَرَ الْوَيْلَ هَتْلَرْدِي
 أَقَالُونِي ، وَرُدُّونِي وَصَحَّ الْجَمْعُ فِي جُغْدِي ^(١)
 وَنَاهِيكَ بِحُرِّ نَا.....م فِي الْبَرْدِ بَلَا دُقْدِي ^(٢)
 تَمْنَى سِتْرَةَ الْحَالِ فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَى صَلْدِي ^(٣)
 وَلَوْ أَنْصَفَتِ الْأَيَّا.....م لَحَابَّتْهُ بِأَوْكَلْنْدِي ^(٤)
 وَخَلَّتْهُ كُفُورِدٍ أَوْ كُرُوكْفَلَرُ وَرُوتَشْلِدِ ^(٥)
 وَلَوْ أَنَّ شُرُورَ الْحَرْبِ.....بِ قَدْ كَانَتْ عَلَى حَدِّي
 لَمَّا أَنْشَدْتُهَا حَزْناً مِنْ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ

* * *

فَمَا رَأَيْكَ فِي أَمْرِي إِذَا جِئْتُكَ وَالْقَنْدِي؟ ^(٦)
 وَهَلْ عِنْدَكَ مَا يَكْفِي مِنَ الشَّائِلِ وَالْهَرْدِ؟ ^(٧)
 وَهَلْ نَلْقَاكَ مَرْتاحاً إِلَيْنَا أَوْ شَلُّو جِلْدِي؟ ^(٨)
 فَقَدْ أَغْرَى بِنَا الْفَقْرُ لثَامَا مِنْ بَنِي سَعْدِ
 وَقَدْ يَعْدُو كِلَابُ الْحَيِّ مِنْ جَهْلٍ عَلَى الْأُسْدِ
 وَإِنْ أَدْبَرَتِ الدَّنِيَا تَسَاوَى الشُّهُمُ بِالْوَعْدِ

-
- (١) جغدي : الفك ، الحنك .
 (٢) دقدي : اختصار كلمة (دقديق) : البطانية .
 (٣) صلد : أصغر عملة هندية .
 (٤) أوكلندي : معدن من معادن الهند .
 (٥) فورد : صاحب معمل السيارات الأمريكية المعروفة . روكفلر : من أغنياء العالم . روتشلد : من أغنياء العالم .
 (: يهودي) .
 (٦) القندي : سكر أحمر هندي شديد الحلاوة .
 (٧) الشاويل : نوع من التوابل ، يأتي من الهند . الهرد : نوع من التوابل ، يأتي من الهند .
 (٨) شلوجلدي : كلمة هندية تعني : انصرف عنا .



(سلامٌ من صبا بردى أُرُقُ
وأشواقٌ تُضيقُ بها صدورُ
وأسئلةٌ عن الأحوال طالت
وليس سوى سُكَّاتِكَ من جواب
فماذا عنك بعد فراق عامٍ
وأين رسائلُ الأشواقِ تُرجى
فنحن هنا بلا وطنٍ وأهلٍ
فلا شغلٌ يَجِيبُ لنا فلو سا
وقد مُبِعَتْ حوالةُ كلِّ شهرٍ
وقالوا : المنعُ أيامٌ قصارُ
يُظَنُّ بنا الغنى والحالُ زِفَتْ
ألا يا بنتَ يَعْرُبَ خَيْرِنا

ودمعٌ لا يُكفِّفُ يا دمشقُ (١)
يُحْشِشُ في مسالكها البَهَنُقُ (٢)
تَحْمَلُها إلى مغناك خَلَقُ
تكاد عليه من زَعَلٍ تَطُقُ (٣)
وأين به صريحُك والمِشَقُّ (٤)
وبعضُ الشوقِ للأحبابِ حَقُّ
نعيشُ سُدَى على حالٍ تَشَقُّ
ولا دَخَلَ يَطُولُ عليه عُنُقُ
وكان المنعُ مشكلَةً تَدُقُّ
فطالت ، والمَطالِبُ لا تَرُقُّ
وخيرُ طعامنا عيشٌ ودَقْوُ (٥)
متى تصفو المواردُ وهي رَنُقُ؟ (٥)

(١) يحشش : يصوت بالحشاخيش . البهق : محرفة عن (الهنك) وهو الأحق ، أو التمام .

(٢) السُّكَّات : لعله أراد السكوت .

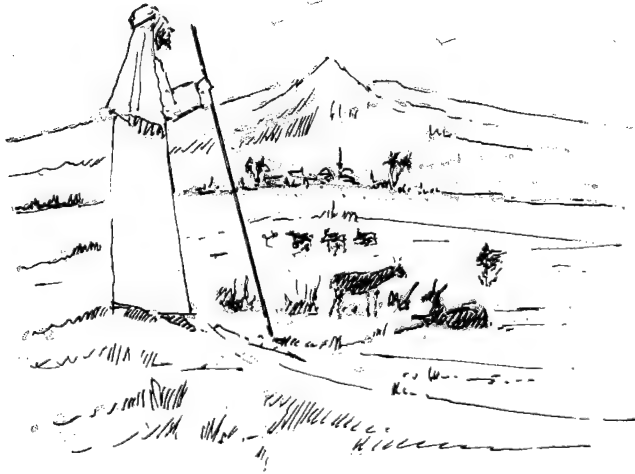
(٣) المشق : المعنى الذي يرفع صوته بالغناء .

(٤) دقو : لعله يعني (الدقة) وهي ملح وفلفل وتوابل .

(٥) الرنق : الماء الذي فيه تراب ، الكدر .

وماذا تبتغي الأسواق منا
 كأننا والتجار خصوم حرب
 ولولا سُرّة المولى شحّتنا
 ولكنّ الإقامة ليس تُعطى
 فما نفع الغريب بغير مال
 وتلك سياسة للحقّ فيها
 فليت رجالنا فطنوا إليها (٣)

ونحنُ بها عبيدٌ تُسَرَّقُ ؟
 على الأقواتِ أو غَرَبٌ وشرُّ
 وطال بنا على الأبواب دَقُّ (١)
 لشحاتٍ له في مصرَ زَنَقُ (٢)
 وليس وراءه للقطرِ رزقُ
 مزاميرٌ وطيرانٌ تدقُ



-
- (١) شحّتنا - شحّنا .
 (٢) الزنق : المكان الضيق (الزنقة) .
 (٣) القصيدة هكذا وردت غير كاملة .



لي صديقٌ دَعْتُهُ داعِيَةً الْعَيْنِ.....ش ، على ضَعْفِهِ الْمُبِين ، فَجَدَا
ضاق بِالْإِنْزِوَاءِ دَزَعًا ، وفي الْوَثْبِ عِزَاءٌ لِلْمُقْعِدِينَ ، فَشَدَا
وَاقْتَفَى السَّائِرِينَ فِي سُبُلِ الْفِكَ.....ر وَثُوبًا ، فارتدَّ بُهْرًا وَأَكْدَى^(١)
وَائْتَنَى لَاهُتًا ، يَعِيبُ عَلَى النَّاسِ.....جَع دَعْوَى نَجَاحِهِ ، فَتَرَدَّى
لم يزل ذاك شَانَ مُفْتَقِدِ النَّجْحِ.....ح ، ورمزَ الْإِخْفَاقِ ، عَكْسًا وَطَرْدًا
فإذا ضَاعَ مَطْلَبٌ ، عَزَّتِ الْنَفْسُ.....س فتأها بِحِكْمَةٍ ، فَتَهَدَّى^(٢)

* * *

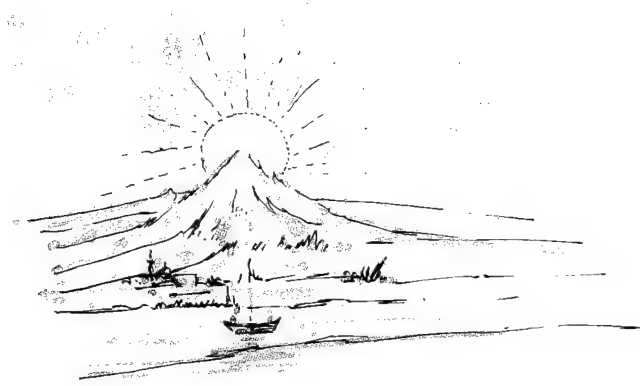
وصديقي الْحَكِيمُ ، كان أَدِييًّا أَوْ كَذَا كان يَرْتَجِي ، فَاسْتَعَدَّا
ورأى النَّاسَ يَكْتَبُونَ ، فَظَنَّ الْا.....أَمْرَ سَهْلًا ، فَحَاوَلَ الْأَمْرَ جِدًّا
وَرَأَاهُمْ يُصَوِّرُونَ رُؤْيَ الْفِكَ.....ر جَمَالًا طَلْقًا ، وَلَحْنًا ، وَوَرْدًا
فَانْتَنَى قَائِلًا : وَمَا خَطَرُ التَّصْ.....وِير ؟ إِنَّ الْإِبْدَاعَ بِالْفَحْلِ أَجْدَى
فَلَاكُنْ مِيدِعًا ، تُقِيمُ تَصَاوِي.....رُ يَرَاعِي لِفِتْنَةِ الْفَنِّ مَجْدًا
قَالَهَا ، وَاحْتَبَى عَلَى قِمَّةِ التَّ.....لُّ يُوَارَى زَنْدًا ، لِيَقْدَحَ زَنْدًا

* * *

(١) بُهْرًا : مُجْهَدًا . أَكْدَى : افْتَقَرَ بَعْدَ غِنَى .

(٢) عَزَّتِ الْنَفْسُ فَتَأَهَا : قَدِمَتْ إِلَيْهِ الْعِزَاءُ وَالسَّلْوَى .

قال : شأنُ الأديبِ أن يُبدعَ الصُّورةَ ، ما للأديبِ عن ذاك مَعْدَى
أو فهذا شأنِي إذا عَجَزَ النَّاسُ ، وَلِمَ لا أَكُونُ في النَّاسِ فَرْدًا ؟
أَتَلَقَّاهُمُ بِبَدْعٍ جَدِيدٍ من صَنيعِي وما أُحَاوِلُ إِذَا
وتراءت أَمَامَهُ صُورُ الْكَوْثَرِ تَباعاً ، بِيضاً وَسُوداً ، ورُبَّدا
فانتَقَى خَيْرَهَا ، كما ارتَجَلَ الْإِمَامُ كَانَ ، لا خَيْرَها اختِياراً ونَقدا





الخفافيش

أُطْلُنَا .. وأَوْجَزْنَا سُدًى فِي عِتَابِهَا
صَمْتَنَا .. فَأَعْطَيْنَا الْمَرْوَةَ حَقَّهَا
فَإِنْ رَكِبْتُ بِالْأَمْنِ تِيَةَ غُرُورِهَا
خَفَافِيشُ عَاشَتْ فِي الظَّلَامِ ، وَرَفَرَتْ
وَفَاقَتْ نُسُورَ الْجَوِّ كِبَرًا وَسُرْعَةً
أَلَيْسَتْ تَرَى فِي اللَّيْلِ دَرْبَ ذَهَابِهَا ؟
أَلَيْسَ عَلَى أَوْكَارِهَا النَّدُّ وَالنَّدَى
أَلَيْسَتْ إِلَى أَعْلَى الْمَرَامِي تَطَلَّعَتْ ؟
بَلَى .. وَخَيَوطُ الثُّورِ تَشْهَدُ أَنَّهَا
كَذَا هِيَ فِي عُرْفِ الْخَفَافِيشِ رُتَبَةً
بَلَى ، يَا بُغَاثَ الطَّيْرِ .. بَلْ يَا خِشَاشَةً
رَأَيْتُ بِكَ الدُّنْيَا تُمُوجُ كَأَنَّهَا
أَمَا رُزِئْتَ فِي الْفِكْرِ أَدْهَى رَزِيَّةٍ ؟
تَهِيمٌ وَلَا تَدْرِي إِلَى أَيْنَ تَنْتَهِي
خَفَافِيشُ عُمِّيْ إِنْ تَرَى الْفَجْرَ أَنْكَرْتَ
هَلَمَّيْ إِلَيْنَا يَا خَفَافِيشُ كَيْ تَرَى

فَهَلْ تَنَرَّأِي بَعْدَ ذَا عَنْ عِقَابِهَا
حِفَاضًا عَلَى آدَابِهَا وَارْتِقَاءً بِهَا
فَقَدْ سَقَطَتْ فِي هَوَاةٍ مِنْ مُصَابِهَا
بِأَجْنَحَةٍ لَمْ تَنْطَلِقْ مِنْ حِجَابِهَا
وَقَادَتْ زِمَامَ الضُّوءِ مِنْ خَلْفِ بَابِهَا
أَلَيْسَتْ تَرَى فِيهِ سَبِيلَ مَآبِهَا ؟
سَحَابٌ فِي تَهْوِيمِهَا وَانْسِكَابِهَا ؟
فَكُلُّ مَرَامِي الْكَوْنِ مِلْكُ رِكَابِهَا
غَزَتْ ظِلْمَاتِ الْكَوْنِ بَعْدَ ضَبَابِهَا
تَحَارُّ اعْتِزَامَاتُ الْوَرَى فِي طِلَابِهَا
تَمَشَّى عَلَى سَطْحِ الدُّنَا كَذُبابِهَا
تُقْصُّ عَلَى الْمَفْجُوعِ سِرَّ انْقِلَابِهَا
بِزَحْفِ بُغَاثِ الطَّيْرِ فَوْقَ تَرَابِهَا
سِوَى أَنَّهَا مُوَكَّلَةٌ لَانْصِيَابِهَا
سَنَاهُ ، كَمَا لَوْ كَانَ مَوْتًا مُجَابِهَا
وَنَسَمَعَ عَنْ دُنْيَاكَ فَضَّلَ خَطَابِهَا

وَنَأْخُذْ مِنْكَ الْفِكْرَ وَالشُّعْرَ وَالْغِنَا
مَرَاقٍ حُرْمَانَهَا شُيُوخًا وَفَتِيَّةً
لَقَدْ فَاتَنَا سَعْيُ الْخَفَافِيشِ فِي الدُّجَى
فَهَا نَحْنُ بَعْدَ الْجَهْلِ تَحْتَ لَوَائِهَا
وَنَهْلُ مِنْ عِلْمِ الْخَفَافِيشِ كُلِّ مَا
وَعِشْنَا تَرَوْضُ الشُّعْرَ بَعْدَ جِمَاحِهِ
وَتَغْدُو خَفَافِيشًا تَهِيمُ بِظُلْمَةٍ
أَحِينَ اكْتَهَلْنَا يَا خَفَافِيشُ مَسْنَا
فَمَا رَمَدَتْ فِي مَوْقِدِ الْعَزَمِ جَمْرَةٌ
وَيَا رَبِّ .. خَفَّاشٍ أَطَالَتْ بَقَاءَهُ
تَبَارَكَتْ يَا عِلْمُ الْخَفَافِيشِ لَمْ تَدْعِ
أَحْطَتْ بِأَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ وَالْوَرَى
وَلَمَلَمَتْ أَرْسَانَ الْفُنُونِ وَرُضَّتْهَا
فَهَا أَنْتَ تَحْتَ التَّاجِ أُسْطُورَةٌ دَوَى
رَكِبَتْ بِهَا لِلشَّمْسِ ، وَاللَّيْلِ نَائِمٌ
فَمَا نَوَّرَتْ مِنْ بَعْدٍ وَكَرَأً وَلَا بَدَتْ
وَكَمْ مَعْجَزَاتٍ لِلْخَفَافِيشِ غَيْرُهَا
لَأَنَّ خَيَالَاتِ الْخَفَافِيشِ وَحْدَهَا
أَلَيْسَتْ بِنَايِعِ الْفُنُونِ عَلَى الْمَدَى
إِذَا ، فَهِيَ قَانُونُ الْخَفَافِيشِ ، لَا الْحِجَى ،

قَشُورًا سَتُغْنِينَا بِقَيْضِ لِبَابِهَا
وَعِشْنَا حَيَارَى فِي فْسِيحِ رِحَابِهَا
وَحِكْمَتُهَا فِي دَرَسِهَا وَانْكِابِهَا
نُشِيدُ أَوْكَارَ الْمُنَى فِي جَنَابِهَا
جَهْلَنَاهُ عَنْ دِيَوَانِهَا .. وَكُتَابِهَا
فَتَطْلُعُ شَمْسُ الشُّعْرِ بَعْدَ احْتِجَابِهَا
سَرَى بِرِوَاها شَاعِرٌ وَحَدَا بِهَا
بِفَضْلِ الْأَذَى وَالشَّرِّ ذَرَقُ شِبَابِهَا
وَلَكِنَّ غُورًا أَخْطَأَتْ فِي حِسَابِهَا
حَقَارَتُهُ ، لَمْ يَلْقَ فِي النَّاسِ آيَهَا
لَأَسَدِ الشَّرَى حَتَّى مَسَاتِيرَ غَابِهَا
وَأَصْبَحَتْ قَاضِي سَهْلِهَا وَشِعَابِهَا
كَمَا شِئْتُ لَمْ يُعْجِزْكَ طَوْلُ غَلَابِهَا
بِهَا الْكُونُ أَوْ أُحْدِثُهُ قَدْ سَمَا بِهَا
بُرَاقًا تَغْطِي وَجْهَهَا بِنِقَابِهَا
وَمَاتَ أَدِيمُ الْأَرْضِ بَعْدَ غِيَابِهَا
يَضِلُّ الْحِجَى فِي صِدْقِهَا وَكِذَابِهَا
دَعَائِمٌ ، تَكْفِي لِلْهُدَى بَانْتِصَابِهَا
وَفِي غَايَةِ اسْتِقْرَارِهَا وَاضْطِرَابِهَا
وَمَا حَزَمْتَ أَوْكَارَهَا فِي احْتِطَابِهَا

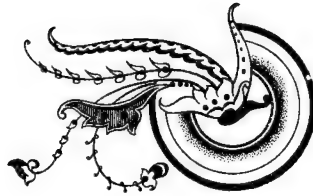
وليس إذن للناس شعراً وشاعراً
وما ذاع من أنبيائهم فهو باطل
سوى شاعرٍ أرضى الخفافيش قدرةً
أصابته عدوى الذرق فاخلَّ صلبه
وسارت له بين الخفافيش شهرةً
وياخسر من تُعلي الخفافيش قدره
وكان غنيّ الآدميّة قبلها
عواقب ما تنفك ساخرة بنا
وثرّكنا أقدارنا شرّ وجهه
رأيت لأوكار الخفافيش حرمةً
ولكنّ رأياً للخفافيش قائلاً :
متى أطلق الخفاش في الليل فريّةً
وكنتم خفاش فظاعة ننته
كذلك أوكار الخفافيش لم تنزل
ترى العيش ذرقاً لا يكف وظلمةً
ورُبّ نفوسٍ أعربت عن يقينها
وبارُبّ لاهٍ غاب بالقول وادّعى
فعاد يؤلّي وجهه حجر أمه
فقد فجعته فيه صيباً ويافعاً
وأغرق في ذرق الخفافيش بيتها

وغاصت بحوراً قصّروا عن عباها
وأرديةً قد أجرموا باستلابها
وفلسفة طارت بكل صوابها
فشاطرها الميدان بعد اصطحابها
تحيّر بالسّاعين أمر اجتلابها
فعاش على ما آده من ثوابها
فها هو يجلو وجهه بخضابها
تفرّق ألّباب الورى في عجابها
وليست لنا من حيلة في اجتلابها
من الضّعف لم تنهض بجهد اكتسابها
قضى سادراً في غيّه بخرابها
سيفضح ضوء الصبح سرّ انتسابها
فكرت عليه لعنة في انصابها
تغالب تيّار الحياة بعابها
يغول السنّا فيها نباخ كلابها
فأفشت بما أبدت خفيّ آرتيابها
فأشقى معانيه به واكتوى بها
ولم يذر ما غصّت به من عذابها
وكهلاً تجلّى فيه رمز اكتسابها
فهاج اطراد الذرق داء عصابها

وسرّ بغاث الطير ماساء أمه
يهزّ إذا ما ضمّه الوكر ذبله
أما نجس الدنيا فما آحتج ناكراً
أما قاد أرتال الخفافيش خلفه ؟
أما قال ما شاءت سمادير حلمه
إذا ، فهو سلطان الخفافيش ، ما جرث
وما الناس إلا كالخفافيش ملّة
وما الشعر إلا من عطاياه وحده
فيعطى ، ولا يُعطى ، مُشبحاً ومُقبلاً
ويرتجل التاريخ كالشعر محدثاً
ويُلغي مساعيها تليداً وطارفاً
وما اقتات إلا من بقايا طعامها
ولكنّه ذرق الخفافيش لم يزل
وما هو إلا الذرق ، والذرق وحده
وما هو إلا لوثّة ضاع بابها
فإن أخطأت في سيرها وتعثّرت
ألا ليت أوكار الخفافيش علّمت
فتلك يقيناً للهيائم غايّة
تعالوا إلى دنيا الخفافيش ، وانظروا
وروضاً بلا ورد ، وورداً بلا شداً

فراح به في معرض الذكر نابها
ومنقاره في ذرقه قد رمى بها
لِفعلته في رملها وهضابها ؟
وشيد للأوكار أسمى قباها ؟
أما شقّ للدنيا مجاري سراها ؟
على شرطه ، في سعيها ورقابها
متى عُقلت في بعدها واقتربها ؟
تأبطها مخبوءة في جراها
على ظهر عشواء جرّت وجرى بها
فيصنعُ للدنيا جديداً إهابها
وما أثرت في أمنها واحترابها
ولا عاش إلا من فضول شراها
ينازعها ميراثها والمشاها
تراكم في أوكارها وعياها
ومفتاحه إذ أحدثت في ثيابها
فقد كان هذا السّم من صنع نابها
نُسر الحمى ما فاتها في انتهابها
من السبق لم تنهض لإدراك قابها
كؤوساً خلّت من خمرها وحبابها
ومسرح زهر عُيبت في سحابها

لَغَاضَ الْحِجَى وَالْفَنُّ وَالذَّوْقُ وَالْهُوَى
وَهَانَتْ مِرَاقِي الصَّاعِدِينَ إِلَى الْعُلَى
مَهَازِلُ هَذَا الدَّهْرِ كُثُرٌ وَشَرُّهَا
وَقَدْ بَدَأَ الْخَفَاشُ بِالذَّرَقِ قِصَّةً
وَجَلَّ الَّذِي أَوْلَى الْخَفَافِيشَ كُلَّ مَا
إِلَى حَيْثُ لَا تُنْجِي السَّلَامَةُ رَاضِحاً
إِذَا سَادَ فِي الدُّنْيَا نَعِيبُ غِرَابِهَا
إِذَا أَنْكَرَ اللَّاهُونَ ضَوْءَ شِهَابِهَا
صَغَائِرُ لَا يُسْلِيكَ خَوْضُ صَعَابِهَا
تَعْجَلْهُ مَقْدُورُهُ فَاَنْتَهَى بِهَا
أَقَامَ لِدُنْيَاهَا مَضَاءَ حِرَابِهَا
لَمَّا أَعْقَبْتُهُ مِنْ تَجَرُّعِ صَابِهَا



نقيق الضفادع

لولا بقايا « مزامير » و « ألواح » لم تبقَ « ريمة » يوماً بعد « مشكاح »^(١)
 فلتهنَّ بالإرث يستيقى يذكرهما
 وبوركك حلقاؤ الذكر بينهما
 من أين يا شطحات السكر جئت بها
 نقت ضفادع غيل فاستطار لها
 سبحان واهب هذا الضعيف سطورته
 جهاد كفتين ضراط وسلاح
 نقشاً على الماء يستعصي على الماحي
 شعراً ، تحير منه منطق الصاحي ؟
 فيما رأت بعمائها ، ألف تمساح
 في غائصي من فضول الماء ضحضاح



(١) ريمة ومشكاح : ثنائي هزلي .. زوج وزوجة .



جوزيفُ ، هل خابَ الفتى أم أصابَ
وخاضَهَا معركةً ، أخصِبتَ
غابت رُؤى الحُسنِ وأحلامُه
سَيَّانٍ مَن يَفِرُّ في رملها
هَمْنَا بأسرارِ الهوى ، والهوى
والحبِّ وَهَمٌ لا يراه الذي
وقد عَلَتْ سِنُّكَ ، يا صاحبي
فالدَّرسُ عِبءٌ ، والحِجى عَثرةٌ
وفائه ، أم نال شرطَ النُّصابِ ؟
أم أجَدَبَتْ ، لم يَكُ منها مآبُ ؟
منذ رأى السَّباحُ تلكَ الشُّعابِ
مستأنياً ، أو يَسْتَقِلُّ السَّحابِ
ضلالةً من دونها أَلْفُ بابِ
يَنشُدُه من بعدِ خَلعِ الثَّيابِ
وإنْ تَقُلْ : ما زلتُ غَضَّ الإهابِ
والدَّربُ وعَرٌّ ، والأمانى كِذابِ

* * *

جوزيفُ ، عِشْ وأنهضْ بأثقالِها
واحْمِلْ على رِجْلَيْكَ كلتِهما
فقد قضينا العَمَرَ في غفلةٍ
البيتُ ، والأولادُ ، والمنتَهى
والسُّهْدُ ، والجَهدُ ، وضنُّكَ السُّرى
لكنَّها يَغْنُو لهاصاحبي ، كما يَغنو صرِيحُ الشُّرابِ (١)

(١) التفعيلات ناقصة .

قد أذعنَ النَّاسَ لها قَبْلَنَا
فَرِحَتْ في يَوْمِكَ ، لَكُنْتَنِي
عَسَاكَ إِذْ هِمَّتْ بِهَا غَايَةٌ
خطيئةٌ ، قد ضاع فيها العِتَابُ
شَعَرْتُ بالعقل كبيرَ المصَابِ
راعى فيها سُنَّةَ الإِنْتِخَابِ

* * *

جوزيفُ ، قد أصبحتَ ذا أسرةٍ
واحِرِصْ على صُلْبِكَ لا يَتَشَنِي ،
واحذرْ من الهمِّ « وأسبابه »
ودعْ دراسَاتِكَ ، واقذِفْ بها
وأحرقِ الكُتُبَ ، فإنْ بعَثَهَا
فاجعل (لِرَئِيْلِكَ) فَصْلَ الْخِطَابِ
وادعِمْه ، وآرِفْهُ بِمَضْنُجِ السَّدَابِ^(١)
فإنَّهَا تنمو نموَّ الذَّبَابِ
من جالِقٍ ، فَهِيَ نَذِيرُ الْخِرَابِ
فلا تَدْعُ في البيتِ منها كِتَابَ

* * *

جوزيفُ ، ماذا يَتَغَيَّ طامِعٌ
ها أَنْتَ من بيتِكَ في جَنَّةٍ
تُنْسِيكَ عَهْدًا مُجْدِبًا عِشَّتَهُ
تَجُولُ في الأسواقِ تَجْتَاحُهَا
خلفَ الصَّبَايَا يَتِدَرَّنُ الْخُطَى
وأنتَ تنسُلُ جريءَ الْخُطَى
من سعيهِ بعد الهوى والشَّبَابِ ؟
تَزِينُهَا جَنِيَّةَ ذَاتِ (كَابِ)^(٢)
في وَقْدَةِ الْحِرْمَانِ بَيْنَ الصُّحَابِ
في نظَرَةٍ تَنْقُضُ مِثْلَ الْعُقَابِ
مِثْلَ ظَبَايٍ نَفَرَتْ من ذُئَابِ
وقد بدا في شَفَتَيْكَ اللَّعَابِ

* * *

جُوزِيْفُ ، هل أَمْضِي إلى غَايَتِي
أَمْ أَكْتَفِي منها بما سَقَّتْهُ
من قِصَّةِ الْمَاضِي مَدَى لا يُجَابُ ؟
مَبَاذِلًا زَحَرَخْتُ عَنْهَا النِّقَابُ ؟

(١) السَّدَابُ : نَبْتُ طَبِيبِ الرَّاحَةِ .

(٢) كَابُ : مِعْطَفٌ طَوِيلٌ تَلْبِسُهُ الْمَرْأَةُ فَوْقَ ثِيَابِهَا .

جوزيفُ ، ما أحلى المُنَى لو وَفَتْ صدقاً ، وما أسمى الهوى لو أثابَ
كنتُ ، ومازلتُ صديقاً له بين أحاسيسِ صدى مُستجابِ
فادفع إلى اليمين مطايا الهدى وعُدْ بما ترجو مليءَ الوطاب^(١)

* * *

جوزيفُ ، ما غايةُ هذا السرى طاحت به أحلامنا في ياب ؟
إلى متى نسعى ولا نتهدي وفيَمَ نَسْتَرْضِي الرِيَّاحَ الغِضَاب ؟
وظلمةُ اللَّيْلِ متى تنتهي والفجرُ لا يُدنيه مّا ارتقاب ؟
أبْتُ مساري الأيمن أنْ تنقضي ونحنُ فيها هدَفٌ للعِقَاب
لَعْنَةُ (سيزيف) أطافت بنا وصوته الواني بنا قد أهاب^(٢)
وقصةُ الصخرة لا تَبْلُغُ القَمَّةَ إلا انحدَرَت للثَّـرابِ
قَصَّتْنا ، في عَيْشِنَا ، ذائِها بين مرامي جُهدنا والطُّلابِ
تحدو بنا الآمالُ نحو الذُّرى حتى إذا ما آذَتْ باقترابِ
هَوَتْ بنا الأقدارُ غَلابَةً إلى سفوح تستعيد الغلابِ

* * *

جوزيفُ ، إنَّ العيشَ دُؤَامَةٌ تَخْبِطُ السَّبَّاحَ فيها ، فغابِ
ما الحيُّ فيها غيرُ فُقَاعَةٍ تَذُوبُ في لحظتها كالحَبَابِ
هل هي مَلْهَاءٌ نَعْمَنا بها ؟ أم هي مأساةُ تَفِيضُ اكْتِسابِ ؟

(١) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن ، ويصنع من جلد ، والمراد به هنا الجعبة .

(٢) سيزيف : اسم لرجل حَلَّتْ عليه اللعنة في الأساطير الإغريقية ، وحكم عليه بنقل صخرة من أسفل الوادي إلى

أعلى الجبل ، فهو يحملها على ظهره بصعوبة . يصعد بها ، حتى إذا كاد يبلغ القمة هوت الصخرة

إلى الوادي ، وعاد من جديد يحملها ويصعد بها ، إلى يوم الدين .

صِرَاعُنَا بَيْنَهُمَا دَائِبٌ ضَاقَتْ بِهِ أَقْدَامُنَا .. وَالرَّقَابُ

* * *

جوزيفُ ، ما أسهبتُ لكنّها
أو إنها قصّةُ (لا مُتَتِمِّم)
وَعَادَ مِنْ رَحْلَتِهِ خَاسِراً
فَرَاخَ فِي إِثْرِ صَدِيقٍ لَهُ
فَانْهَالَ بِالْقَوْلِ عَلَى رَأْسِهِ
كَأَنَّهُ عَاصِفَةٌ فَوْقَ غَابِ

* * *

جوزيفُ ، إِنْ ضَيَّعَتْ بِهَا فَاحْتَمِلْ
فَطَالَمَا أَتَخَنَنْتُ فِينَا ضُحَى
كُنَّا ضَحَايَاكَ سَيْنِيّاً مَضَتْ
وَقَدْ تَصَيَّدْتِكَ ، فِي لَيْلَةٍ
لَا انْفَكَ عَنْكَ الْقَيْدُ حَتَّى تَرَى أَوْلَادَ مِنْ حَوْلِكَ مَلَأَ الْعِيَابُ
مَشْتَعِلاً عَنَّا بِهِمْ ، رَاسِباً
أَوْ طَافِياً فَوْقَ مَتُونِ الْعُبَابِ

* * *

جوزيفُ ، قَدْ صِرْتَ إِلَى غَايَةِ
تَأْبَى انْطِلَاقاً ، فَإِذَا رُمْتَهُ
فَعُدْتَ رَهْنَ الْقَيْدِ ، لَا تَرْتَجِي
تُشْبِهُ فِيهَا جُرْذاً ، فِي جِرَابِ
جَرَّتْكَ مِنْ ذَيْلِكَ كُفُّ الرِّبَابِ
مِنْهُ خِلَاصاً قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ

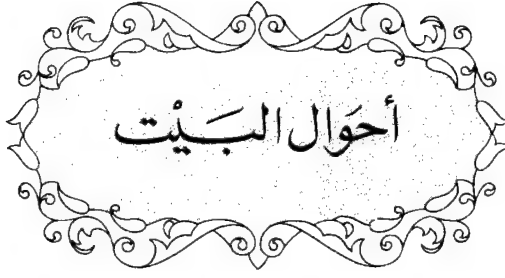
(١) اللاتمني : رواية كتبها كولن ولسون ، ونالت شهرة عالمية ، وترجمت إلى كثير من لغات العالم ، والشاعر هنا يشرح خلاصتها .



يا بنتاهُ : أديري رأسك
في أفق الأحلام
وانتظري - مثلي
أن يتحقق - حلمٌ منها
سيطول الليل .. نَعَمْ سيطول
ولكن ليس إلى غيرِ نهاية
لم يَمِتِ الفجرُ
والنور ولُود
والصمتُ المطبقُ ينسُجُ في بطءٍ
أكفانَ الظلمةِ بالوفِ الأيدي
يَغزُلُ راياتٍ .. تحملُ شاراتِ الإصرار
والصمتُ عنيذٌ يا بنتاهُ
والصبرُ رماذٍ تكمنُ فيه انثارُ
وسكونُ القريةِ مفتاحُ الأملِ الموعود
ما زال يُلجَلجُ في الأقفالِ الصَّدَّةِ
ويحرِّكُها من نومِ طال

وطاخ بها عبّر الأجيال
بنتاه : سيعلو الهمس رويداً
ويقود السيّل
ويجرف أغلال الأوهام
وسيعسل كلّ دروب القرية ويطهرها
وتغني للأطفال نشيد العيد





وكما تركت البيت مازالا قلقاً ، وأعباءً ، وأطفالا
و « معاركاً » بين الصغار غداً حلم النظام بين أطلالا

* * *

أخذت كتابي . ضيقت قلبي شدت يدي ، قفزت على ظهري
ذات الحياة .. وربما اختلفت عما كرهت ، ونحن لا ندري

* * *

فإذا الصباح أطل خضناها حرباً يكون وقودها أختي
هدى تقول : حذاؤها ضاعا زلفى تسائل : أين مزيلتي ؟
وسهام تبحت عن حقيبتها وتصيح ليل : لم أجد قلبي
فتجيبها نجلا بدمعتها وأنا صحوث فلم أجد كتبي
فإذا انصرفن تقوم معركة ويجد أهل البيت في الطلب



مَقَطَّات

يا رَبَّةَ الْبَيْتِ ، ماذا خَلَفَ رَوْنَقِهِ آل.....جادي من النَّقْصِ والتَّنْقِيصِ والقَدْرِ ؟
 جَلَّتْكَ أُمُّكَ لِلْبَعْلِ الَّذِي اجْتَذَبْتَ مرضِيَّةَ الْحُسْنِ والأَخْلَاقِ والبَصْرِ
 وكَاثَمَتْهُ عَلَى عِلْمِ بِحَاجَتِهِ ما تَحْتَ ظَاهِرِكَ المَجْلُوءِ من غَرَرٍ
 حَتَّى تَكْشِفَتْ عَنْ نُكْرٍ تَخَوَّفَهُ مَذْ كان يَخِيطُ بَيْنَ الْخُبْرِ والخَبَرِ
 فَإِنْ أَطَاقَكَ أَحْنَى الْعَبَاءِ كَاهِلُهُ وَإِنْ أَرَاكَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْهَذَرِ
 يا لِلْحَيَاةِ ، أَرَاغَ الصَّفْوِ نَاشِدُهَا فلم تُقَدْ خَطْوُهُ إِلَّا إِلَى الْكَدْرِ
 لَا يَتَّقِي عَاقِلٌ مَحْتَمَ غَايَتِهِ بما تَعَوَّدَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ

* * *

يا خَاطِبَ الطَّبِيَّةِ الْحَسَناءِ مُحْتَقِباً عنها الْأَحَادِيثَ ، ماذا خَلَفَ ظَاهِرُهَا ؟
 لَا تَطْلُبِ الْحُسْنَ تَجْلُوهُ مَفَاتِنُهَا واطْلُبْهُ حُسْنَ خَلَاقٍ فِي مَعَاشِرِهَا
 فَرَبٌّ فَاتِنَةٌ يُخْفِي مَقَابِحَهَا عَنْ نَظَرَةِ الْمُتَمَنِّي وَشَيْءٍ مِثْرِهَا
 الْحُسْنَ مُطْلَبُ أَيَّامٍ يَقْصُرُهَا عَجْزُ الْمَلِيحَةِ عَنْ إِشْبَاعِ سَاتِرِهَا
 وَيَا بَقِيَّةَ حَزْمٍ كُنْتُ أَذْخَرُهَا مَضَى بِهَا ، غَيْرَ سَاعٍ ، حَظٌّ قَامِرِهَا
 ماذا عَلَيْكَ ، وَشَرُّ الْخَطْوِ أَعْجَلُهُ لَوْ اتَّأَذْتُ قَلِيلاً فِي بَوَادِرِهَا
 كَانَتْ نَشِيدَةً مُلْتَاحٍ تَعْجَلُهَا وَرَاحَ يَحْمِلُ إِصْراً مِنْ جَرَائِرِهَا

* * *

وقالو : تزوّج غير ذاتِ جهالةٍ
فجاءت كما شاء النصيحُ أريّةً
ملئتُ هواها زينةً وصباحةً
لقد كان شراً أن طلبتُ عشيرةً
يلوم على أني تشاءمتُ صاحبي
ألا شدّ ما يوهي قواك مبغضُ
تفرّج بهاها خُلّةً ومشاكلا
وزادت فكانت خُلّةً ومشاكلا
لئن ضيقتُ ذرعاً بالطوى وشمائلا
ورأياً على طول التردّد قائلا
ولو أمكن الخطو الكسيح تفاءلا
نراه ، وقد أوليته الصرم واصلا

* * *

على أيّ حالينا من العيش نلتقي
وأيّ ضلالات العواقب يرتجي
عثرت ، وما كان اختيارك فطنةً
بأيّ ملاذ من عنائك أحتمي
فما كنت إلا صفقة الغبن باطناً
زهادة سأل ، أم نهاية مخفق؟
سؤوم متى عاطيته الودّ يصنع
فيالك من خرقاء سيقّت لأحرق
وأيّ سجايك البغيضة أتقي؟
على ظاهري مما اصطنعت مُزوّق

* * *

تُباهين جهلاً بالجمال ، وإنه
وما الحُسنُ عندي غيرُ ملهاةٍ عابث
وما حُسنُ أنثى جانبَ البعل بيتها
لشرّ الذي ألقاه منك ودادةً
تُهمين بي ؟ لو كنتِ ماءً لعفته
رؤيدك ، ما أجريك بالحبّ صبوةً
ذخيرةً هو لا تدوم لمنفق
إذا لم يزنه طيبُ مسعى ومنطق
وجافاه ، لم يحفل ، ولم يتشوّق؟
تنازعني أشلاء صبرٍ ممزّق
على ظمأ ، والموتُ يلوي بمخنقي
وما هي إلا رحمة المتصدّق

ألا ليت يوماً لاظني بك لم يكن فما أنتِ إلا الداءُ حاقٌ بمخلقِ

* * *

كلا اثنيهما فيما أباديك مُرمضي
وما صبرٌ مثلي عند بلهَاءٍ يستوي
لها منزلٌ عافته نفسي قذارَةٌ
وما عرفت من شأنها فيه غيرَ ما
لكِ الويلُ ما تحلو عروسٌ بثوبها
ولكن بأخلاقٍ ومسعاةٍ ناشطٍ
جزيتك بالحبِّ الذي تزعمينه
فما فيكِ للملُتاحِ ريٌّ يُسيغه
فأيُّ أمانِي الهوى فيكِ أقتضي
لقد كان رأيي في اختيارِك عثرةً
جهامةً آلٍ ، أم عداوةً مبغضي
لديها سروري طافحاً ، وتقبضي
تحولَ عنه كالحأ كلُّ أبيضٍ
تُزينُهُ من مُذهبٍ ومُفضضٍ
لدى بعليها فيما تئدّ وتنتضي
لعيدٍ بلبسِ العيشِ ريانَ ، فانهضي
إشاحةً مغبونٍ ونُفرةً مُعرضٍ
وقد غَضَّ إلا آهة المتمرضِ
وأيُّ مرازي طبعكِ الكَرُّ أرتضي؟
فمن لي وقد خارت قُواي بمُنهضي؟



قصة الشيخ والوحل

طرقت - فما أدت - بابها
 فذرت برأسي عبر الفضاء
 وقال أبو واصل : إنها
 ودانت له مصعبات الكلام
 وأنخن في مخطئي دريه
 وأيقنت أن حياء الكريم
 وما صح عند أبي واصل
 فصار بها من ليوث الشرى
 ولم يجهل الشيخ أسبابها
 أما خاضها بعد في درعه
 وفي ذيله قطعة لم تعد
 قد انتزعتهما يدا ناشئ
 وهياً منها له ، لحية
 وألقهما بأبي واصل
 فما ظفرت بالذي ناوشت
 وظلت تقود أبا واصل
 ولمت على العهر جلبابها
 أذكر نفسي بما رابها
 مراسيل ، تعرب ركائبها
 فأنسى الجماعة نذائبها
 إلى « قصة » كان بوابها
 رذيلته ، عند من عابها
 خلا رحلة في الدجي جابها
 وزاد ، فنازعها غابها
 فهل يعرف الشيخ إعرابها ؟
 فعاد يكابر أوصابها ؟
 فهل علم الناس ما نابها ؟
 غرير ، فرجل هذائبها
 تطاول في المعز أترابها
 حصاناً تطارد ، طلابها
 ولا لحقت بالذي هابها
 إلى وجهة أخطأ قابها

* * *

ألا يا أبا واصل إنها	مشارب تقتل شرابها
وإن الفضائل ليست طلى	تُعاطيك دنيك أكوأها
ولكنها قمم ما سمّت	ليبلغ جُهدك ، محرابها
فأنت لحنايك الراويات	تفيء ، وتلثم أعتابها
فجزيك عبأ على أخدمك	مأثم ، تشرب أنخابها
وما أنت فيها ، ولا أنت منها	سوى حوبة خاب من حابها ^(١)
وقد أخلفتك حقول المنى	فكيف توقيك أجدابها ؟

* * *

حسان المعالي ، أبا واصل ،	شكول ، تماثل أضرابها
وتضرب عن شبهات الهوى	ولو أنكر الناس إضرابها
ولو سفة المأل والأغنياء	وفلسفة الشيخ أترابها
وأن العفاف وطهر النفوس	فضائل تضنيك أربابها
وتعرف في الفقر .. في كبره	وإنكاره الآثم - خطابها
بلى ، إنها يا أبا واصل	مصاعيب تُرهب أقتابها
وأن الحياة التي أخطأك	وأخطأتها ، سمرت بابها
زحفت إليها ، على ركبتك	وأعددت للفسوس نُشابها
فها أنت في وحلها . حية	على جسمها سلطت نابها
خسرت الشيوخة ، بعد الشباب	وكم خزية كنت كسابها

* * *

(١) الحوبة : الإثم .

دواعي الهوى ، يا دواعي الهوى	جَفَوْنَا ، ولم نأل ، أصحابها
أيرقصُ شيخُك بين الأطباء	نديمًا ، يعاقرُ أسرارَها ؟
ويُسرِّجُ فروثه للصَّغار	ليغسلَ بالمال ما شابها ؟
تخيَّرَ غايته ، وانتهى	إليها ، فكحلَّ أهدابها
وقدَّمها هبةً تُشتهى	وأثقلَ بالخير .. أوطابها
وما الخيرُ عند أبي واصل	سوى نعيَّة .. كان حَلابها
ففاءت إليه ، وقد أنجيت	فقاسمها الشيخُ إنجابها

* * *

هَلَا بقفالك أبا واصل	لدينا ، ثواكبُ أقطابها
ومرَحَى لأيامك الباقياتِ	تَهزُّ المَواطِرُ ميزابها
ذمتَ لماضيكَ إيجازها	فها أنتَ تحمَدُ إطنابها

* * *

عرفنا بطونَ الهوى والحرام	فما تُنكرُ ، الغد ، إخصابها
وأعراقها فيك أعرافها	ذيولُ توشَّح أنسابها
وتسري بها في تخوم (البلاد)	نواصب ، تكفر أنصابها

* * *

ألا عاشَ فينا أبو واصل	حياةَ ذوي الفضل أوشابها
يعاطي العشرةَ أيامها	ويَروي المضاربَ آدابها ؟
ويكشفُ للنجم عن إبطه	إذا نافر النجم ، أو نابها ؟

وَتَحْنِي الشَّوَامِخُ أَصْلَابَهَا ؟	فِيخْلِي الْهَوَاءُ لَهُ دَرَبَهُ
جَهِيرَ الْعَقِيرَةِ ، خَلَابَهَا	فَيَمْضِي لِطَيْتِهِ رَاشِداً
قَوِيَّ الْعَزِيمَةِ ، غَلَابَهَا	يَقُودُ الطَّبِيعَةَ مِنْ ذَيْلِهَا
غَنِيٌّ ، تَحْسَسَ أَبْوَابَهَا	فَمَا قَادَهَا فِي غَبَارِ الزَّمَانِ
يَدَافِعُ عَنْ ذَقْنِهِ ، عَابَهَا	كَمَا كَانَ فِي فَقْرِهِ حَيْثُ كَانَ
يَرَاغِعُ فِي تَوْبَةٍ تَابَهَا	وَلَكِنَّهُ زَمَنٌ كَافِرٌ

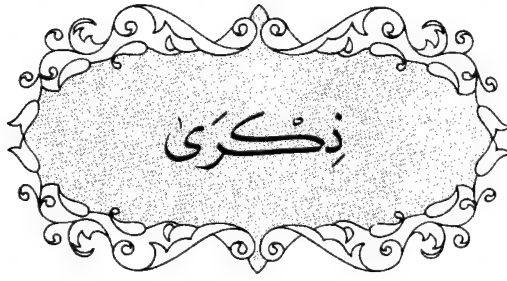
* * *

حَسِينَ الْمَعَارِكِ أَسْلَابَهَا	هَيَا مُلْهِياتِ الْغِنَى وَالشَّرَابِ
وَأُنْكَرَتِ الْأَرْضُ أَوْشَابَهَا	إِذَا هَزَأَ الْمَجْدُ بِالْأَدْعِيَاءِ
بَطُونٌ تَغَامِزُ أَعْقَابَهَا	وَقَامَتْ عَلَى مَشْهَدِ الضَّاحِكِينَ
يَقِيهِ الْحَيَاةَ وَآرَابَهَا	أَلَكُنْ أَبَا وَاصِلٍ مَرْبُطاً
إِلَى بُغْيَةٍ لَمْ أَسْبَابَهَا	فَمَا كَانَ مَذْهَبُهُ يَوْمَ رَاحَ
سَوَى خِيَةِ عَاقِرٍ خَابَهَا	وَلَمْ تَكْ أَوْبَتُهُ حِينَ آبَ
أَدَارَتْ ، عَلَى اللَّصِّ ، أَثْوَابَهَا	عَلَى أَنَّهَا خُطْوَةٌ فِي الظَّلَامِ
فَقَدْ فَضَحَ الصَّبْحُ جَلَابَهَا	فَإِنْ سَتَرَ اللَّيْلُ آثَارَهَا
يَلْحِيَتُهُ .. وَالَّذِي انْتَابَهَا	وَيَا لَيْتَهَا لَطَفَتْ فِي الْعِقَابِ
ذَقُونْ تُسَوِّدُ أُذُنَابَهَا	وَحَسْبُكَ مِزْرَاءَةٌ فِي اللَّحَى
تَدُوسُ - لَتَشْبَعُ - أَلْبَابَهَا	وَأَنْ رُؤُوساً أَدَلَّتْ بِهَا

* * *

نعم ، إِنَّهَا وَثَبَاتُ الْهَوَانِ تَشْمُ ، فَتَعْرِفُ ، وَثَابَهَا
فِيَا قِصَّةَ الْوَحْلِ أَيْنَ الْخِتَامُ بَدِيلٌ لِمَنْ جُرْعُوا صَابَهَا
أَلَيْسَ سِوَى أَنَّ تِلْكَ اللَّحَى تَعِيشُ لَتَعْرِضَ أَلْعَابَهَا ؟
أَسَى الْعَقْلِ فِي رَوْحَةٍ رَاحَهَا أَسَى الْعَقْلِ فِي أُوبَةٍ آبَهَا





سَأَلْتُ اللَّيْلَ عَنْ عَهْدِ التِّي أَهْوَى وَذِكْرَاهَا
وَعَنْ مَسْرَاهِ عَبْرِ الصَّمْتِ ، مَبْتَهلاً لِمَسْرَاهَا
وَعَنْ نَجْوَاهِ فِي نَجْوَايَ ، تَرْتَقِبَانِ مَرَّاهَا
وَعَنْ أَعْيَادِنَا احْتَفَلْتَ ، مِفَاتُهَا بَلْقِيَاهَا
وَعَنْ مَسْرِ خُطَاهَا فِي الطَّرِيقِ تَدَوَّرُ عَيْنَاهَا
رَوَاهَا الرَّمْلُ بِالشَّاطِئِ لِلْمَوْجِ ، فَعَنَّاها
تَسَاجَلَ حَوْلَهَا التَّسْمَاتُ ، أَسْمَاعاً وَأَفْوَاهَا
وَأَطْرَقَ - لَا يَجِيبُ اللَّيْلُ . فِي مَأْسَاتِهِ تَاهَا
وَقَالَ الصَّمْتُ ، مَا أَشْجَتْ بِهِ الْكَلِمَاتُ مَعْنَاهَا
بَلَى يَا لَيْلُ ، إِنَّ الْحَبَّ أَشْقَانَا وَأَشْقَاهَا
وَعَاقَتْ خَطْوَهَا الْأَقْدَارُ عَنْ مَحْرَابِ مَغْنَاهَا
تُضِيءُ بِظِلِّهِ الصَّلَوَاتُ مَشْرِقَةً مَحْيَاهَا
وَتُفْعِمُ جَوْهَ الْقَدْسِيِّ بِالْتَرْتِيلِ عَيْنَاهَا
وَتَفْرِشُ أَرْضَهُ بِالزَّهْرِ فِي الْأَسْحَارِ خَدَاهَا
لَقَدْ ذَهَبَتْ ، وَقَامَ الصَّمْتُ يُجْهَشُ فِي مُصَلَّاهَا

★ ★ ★

مقدمات الديوان

٣	كلمة جامعي الديوان الأستاذين محمد علي مغربي وعبد المجيد شبكشي	هذا الديوان
٧	كلمة صديق الشاعر الأستاذ عزيز ضياء	هذا الشاعر
١٤	كلمة القائم على ضبط الديوان ، وشرح مفرداته ، وطباعته الدكتور بكري شيخ أمين	ما تمَّ عمله في هذا الديوان

الغزل

الصفحة	مطلع القصيدة	عنوان القصيدة
٢١	بعد صفو الهوى وطيب الوفاق	سطوة الحسن
٢٢	جمال .. ولكن لا أراه يثيب	صحوة
٢٣	حسبي بما حمل الفؤاد وما لقي	حسبي
٢٥	أهواك تمنحني الرضا أو تبخل	أهواك
٢٧	هيات لا أمل أجدى ولا لهف	مناجاة
٣٠	حدّقي فيّ عابساً أو طروباً	يا صغيرتي

وَجَّ	٣٢	إِنْ وَجَّأً وَسَامِحَ اللَّهُ وَجَّأً
لـ	٣٣	لَوْلَا تَكُونُ عَلَى الْخِطَارِ مَعْتَفِي
معاناة	٣٤	زَادَتْهُ فِي الْحُبِّ عَقَبَى أَمْرِهِ رَهَقَا
لِمَ أهواك؟	٣٦	يَا حَبِيبِي، يَا مِلْتَقَى السَّحَرِ وَالْفِتْنَةِ
وداع	٤١	وَدَاعَ، وَهَلْ لِي أَنْ أَقُولَ: إِلَى لُقَى؟
في دروب الهوى	٤٤	أَمَّا الْهَوَى فَلَقد وُلِدْتُ بِيَابِهِ
صمت الحزين	٤٦	لَعَتَبْتُ لَوْ أَجَدَى الْعَتَابَ، وَإِنَّمَا
يَا لَيْلُ	٤٧	يَا لَيْلِ طَلَّتْ، أَضَلَّ نَجْمُكَ، أَمْ تَرَيْتَهُ الْقَدَرُ؟
لا تقولي: أهواك	٤٩	يَا بَقَايَا الشَّعَاعِ مِنْ أَلْقَى الشَّمْسِ
نفيسة	٥٥	أَلْهِمْتُ، وَالْحُبُّ وَحْيِي، يَوْمَ لَقِيَاكَ
مناجاة	٦١	لَا تَصُولُ الْجِيَادَ حَيْثُ تَصُولُ
أقبل الليل	٦٥	أَقْبَلَ اللَّيْلَ وَمَا لِي مِنْهُ بِحَرًّا مَظْلَمًا
جدة	٦٧	النَّهْيَ بَيْنَ شَاطِئَيْكَ غَرِيقَ
ازدراء	٧١	شَيَّعْتُ جَبَّكَ بَازِدْرَائِي
يا صديقي	٧١	قَارِنَا حَاضِرِي الْحَزِينِ بِأَمْسِي
تجربة	٧٢	أَنَا لَسْتُ عَاتِبَةً عَلَيْكَ، فَإِنْنِي
ماذا يريك؟	٧٣	مَاذَا يَرِيكَ مِنْ تَأْيِيهَا
نُذِرُ الشَّيْبَ	٧٣	بَلَّغْتُ بِالشَّيْبِ غَايَةَ الْعُمُرِ
تأمل	٧٤	أَجَدْتُ عِلَاقَاتُ الْهَوَى لَذَوِي الْهَوَى
لا أبالي	٧٤	لَا أَبَالِي إِذَا دَعَانِي الْحَنِينُ
مآل	٧٥	فَايْتَانِي مِنْ غَيْرِ وَدَاعٍ يَارَبِّ حَاسِبُهَا
ذكريات	٧٥	لَمْ يَزَلْ لَيْلُكَ يَسْتَوْحِي رُؤَاهَا
إنما	٧٦	أَنَا مَا نَسِيتُ حَنِينَكَ الْمُتَضَرِّمًا
رسالة منها	٧٨	مَازَالَ عَطْرُ يَدَيْكَ بَيْنَ سَطُورِهَا

٧٩	لا تقولي : مضى الربيع وولّى	الربيع الدائم
٨٠	قلبي يحدثني ، ويا لمرارة الذكرى	القلب الخائف
٨٣	كلّ قلب مقيّد بهواه	قصيدة لم تتمّ
٨٤	الحب في عينيك ، يا سمراء ، عاصفة تروع	سمراء
٨٦	لا تقل كانت ظنوننا	نهاية
٨٧	سيرت في ذات مساء شاحب	الماضي الحائل
٨٩	حببتي قلنا .. وأكثرنا	كفّارة
٩٠	أنت التي أيقظت قلبي	أنت
٩٢	لست أشكّو منك	مأساة
٩٤	اذرفي الدمع على ماضيك ، فالدمع عقاب	اذرفي الدمع
٩٥	عدت بعد التأني الطويل .. نعم عدت	عودة
٩٨	العممر ساعاته ثوان	يا حسان
٩٩	أما أنا فقد انتهت	صخرة
١٠٢	سعاد .. يا أنشودة الربيع	رحلة بلا رفيق
١٠٧	اختلفنا .. واتفقنا	العتاب المرّ
١١٠	التقينا .. وافترقنا	لقاء الغرباء
١١٥	أنت ؟ وران الشك على نفسي	لقاء .. في لقاء
١١٨	تعبت ، يا حبيتي ، تعبت	مُحال
١٢٠	هاجرني ! لو كنت تسمعين	فراش .. وجليد
١٢٤	حبيتي ! حنان ! هل بلغ الصمت بنا	حبيتي ! حنان
		عندما تتكلم
١٢٥	هل قلت : أنت ؟ ومن أنا ؟	الجراح
١٢٧	إيزيس ! يا أسطورة الخيال	إيزيس
١٣٠	متى كنّا هنا ؟ قولي متى كنّا ؟	كبرياء

الأرق	دونَ الذي أتمنى اليأسُ والقلقُ	١٣١
أنا لا أغار	من أين جئت ؟ وأين كنت ؟	١٣٢
ضلال في هدى	يا هدى من راح في حبك موصول الضلال	١٣٥

الوجدانيات

الشباب	من للغلاب سوى الشباب	١٤١
نهاية	أخير سبيلك التي تتجنب	١٤٣
المغنى الحائل	أنت مغناي ؟ لا ، فلست بأهل	١٤٧
من أعماق الحياة	الفكر ينجزها ، واليأس يلويها	١٥٠
سراب	دعاء صداه الصمت ليس يُجاب	١٥٢
الشرق والغرب		
لا يلتقيان	أبث قرب الإنسان إلا تلاقيا	١٥٣
لغز الحياة	بئس ما تبغى العقول طلابا	١٥٦
تأملات	آثرت أن أظما وعفت موارد	١٥٩
حظوظ	هدرت شعوري حين صعدته شعراً	١٦١
ضرب .. وطرح	أراحني الله من شهد وتبرج	١٦٣
فلسفة حائر	يا شعاعاً ! يلوح في ظلمة اليأس	١٦٥
خيرة	علام بكى الباكون في الحي هالكاً	١٦٧
ماذا يريك ؟	ماذا يريـــــــــــــــــبك من مآلك	١٦٩
الحياة	ما رأيت الحياة إلا عاباً	١٧٠
تأملات	ألا من لقوم صرّحوا بعدما كنوا	١٧٣
قالو .. وقلت	قالوا : ثقّلت عن الطّلاب	١٧٦
مغاني الهوى	مغاني الهوى ما أنت لولا المآرب	١٧٧

الدنيا	لغاية أمره يمضي القنوع	١٧٩
ليت العقول سواء	كلا طرفها في الغموض سواء	١٧٩
نهايات	علك عجزى بأنه الورع	١٨٠
رؤى	ألا حبذا كأس المدامة لو تسلي	١٨٤
أحلام	ومضينا نشد الحق فأوهانا الطلاب	١٨٥
أبليس	ما اضطباري على الأسى وتوائى	١٨٦
هذا العيد	هذا هلال العيد أشرق فاغبط	٢٠٠
بين الكهولة	شقيت بها بين الكهولة والصبا	٢٠١
والصبا	أكذا نحن ، حيث نحن ، مقيمان على الخسف	٢٠٣
ماذا تقول	قريننا تفيض بالسماح	٢٠٧
شجرة لأختها	لله كم تخفسي الملابس	٢٠٨
قريننا	مالي أتأمل مكفوف الخطوات	٢١١
قلانس	قبر وقبر	٢١٤
صخرتنا السمراء	أقول : قد طال الطريق ؟	٢٢١
التاريخ بلغة	تنهد الريح ملء صدره	٢٢٧
الأساطير	أنا حر ... أنا حر	٢٣٢
الطريق	كانت آمالي فيك	٢٣٧
الريـع	الماضي .. صوت يهتف لي	٢٤٠
ثم الحرية	إصفي يا رياح .. دوني بالي	٢٤٣
الكلمة الأخيرة	ماذا أقول ؟؟ وكم أقول !	٢٤٤
مرحباً بالشوار		
يا رياح		
ماذا أقول ؟		

الملاحم

٢٤٨	هاكها من سحائبى وطفاء	إلى أبو لؤن
٢٥٤	حدّث الليل .. والحديث شجون	ملحمة
٢٦٠	ردّدي يا رياح سخرية الهازل	إلى السّاحر العظيم
٢٧٦	قلّ لضاوٍ خاف الصيّال فعرد	ملحمة
٢٨١	يا شاعر الكون، وفئانه	الليل والشاعر
		إلى الصنم
٢٨٨	لم يُعني بنقده وهجائه	الخواوي وعصبة
٢٩١	إلى طلل، جرّ العفاء ذبّوكه	إلى
٢٩٢	طيوف معانٍ ما تبين لرائي	الجنّادب

المتنوعات

٢٩٧	أفبعد ما سّح الخيال ووافي	أصداف
		بيني وبين الأستاذ
٣٠٠	صوت المودّة لا جرم	محمد حسن فقي
		إلى السيد
٣٠٣	متى يعود الموعدُ الهارب	هاشم زواوي
٣٠٥	من ذاكر العهد إلى ذاكر	إلى صديق
٣٠٨	ماذا وقوفك بالأطلال والدّمن	رسالة إلى شاعر
٣١١	أنت ناغمته النشيد فغناك	تكريم

رسالة إلى	قف بالطلول ، وأرسل دمة الأسف	٣١٢
أبودلش	أقصرْتُ من همِّي ومن تشميري	٣١٦
حظوظ	أقْلِي اللومَ عاذِلَ والعِتابا	٣١٨
هموم	سلامُ النيلِ يا غنْدي	٣١٩
بين صديقين	(سلامٌ من صبا بردي أرق)	٣٢٢
غربلة	لي صديق دَعته داعية العيش	٣٢٤
صورة	أطلنا .. وأوجزنا سدى في عتابها	٣٢٦
الخفافيش	لولا بقايا مزامير وألواح	٣٣١
نقيق الضفادع	جوزيف ، هل خاب الفتى أم أصاب	٣٣٢
جوزيف	يا بنتاه : أديري رأسك	٣٣٦
بنتاه	وكما تركت البيت ما زالا	٣٣٨
أحوال البيت	يا ربة البيت ماذا خلف رونقه	٣٣٩
مقطعات		
قصة الشيخ		
والوحد	طرقْتُ فما أذنتُ ، بابها	٣٤٢
ذكرى	سألتُ الليلَ عن عهد التي أهوى وذكرها	٣٤٧

دار الإضفاء في الطباعة بحدة
رقم الترخيص ١٨ ص - ٤/٥/١٣٩١ هـ